ماركس
انغلز
بيبل
لافارغ
لينين
زتكين
ستالين
تروتسكي
ماوتسي تونغ
كيم ايل سونغ

المرأة في التراث الاشتراكي

ترجمة :
جورج طرابيشي

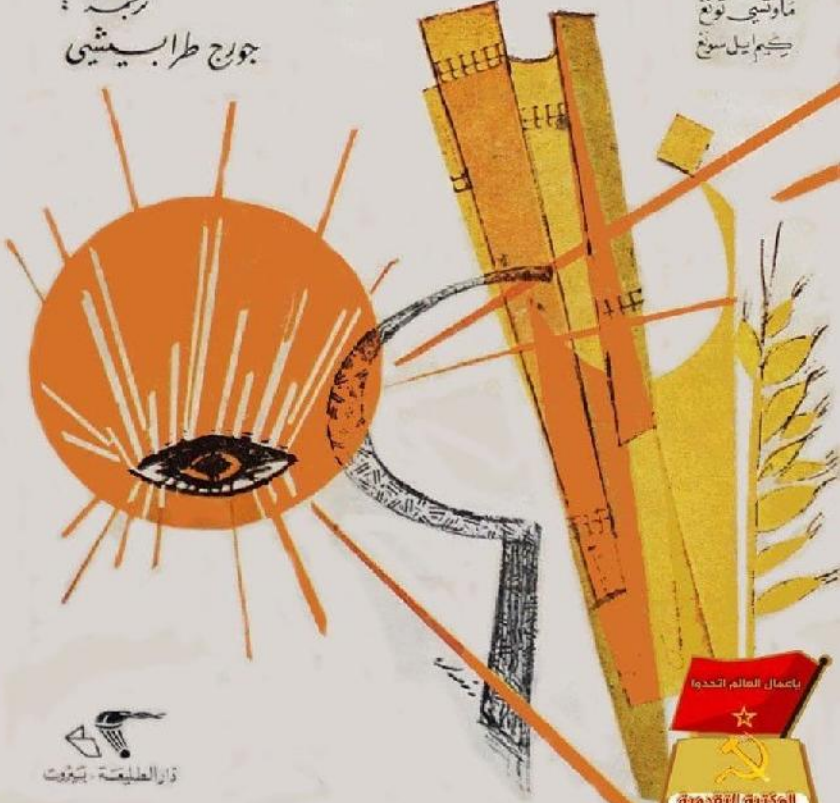

دار الطليعة - بيروت

باعمال العالم اتحدوا
المكتبة التقدمية

المرأة
في التراث الاشتراكي

تصميم الغلاف : بتول ملاطيه لي

المرأة
في التراث الإشتراكي

By: @SA9BB55

ماركس انغلز
بيبل لافارغ
لينين زتكين
ستالين تروتسكي
ماوتسي تونغ كيم ايل سونغ

ترجمة:
جورج طرابيشي

دار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت

جميع الحقوق محفوظة
لدار الطليعة ـ بيروت
ص.ب : ١١١٨١٣
تلفون : ٢٥٧١٧٨
٣٠٩٤٧٠

الطبعة الاولى
ايلول (سبتمبر) ١٩٧٧

تقـــديم

حين كتبت في مقدمة **المرأة والاشتراكية** ، الصادر قبـــل حوالي عشر سنوات ، ان «اصدار قانون جديد تقدمي للاحوال الشخصية يبدو ، من اكثر من زاوية ، اخطر واجـــرا واكثر ثورية من إصدار قانون تأميم» ، انتقدتني على صفحات مجلـــة **الطريق** ناقدة رأت ني ذلك القول ضربا من المثالية .

ومن دون ان أدخل في تحليل تصور ناقدتي الميكانيكـــي للعلاقات بين البنية التحتية والبنية الفوقية ، اقول : ان اكثر من قانون للتأميم قد صدر في اكثر من بلد عربي ــ او حتـــى عالم ثالثي ــ خلال العقدين الاخيرين ، ولكننا ما زلنا الى اليوم نبحث عبثا عن قطر واحد امتلكت قيادته الجراة الكافية لاصدار قانون جديد وتقدمي للاحوال الشخصية (١) .

---

١ ــ حين نطالب بقانون تقدمي للاحوال الشخصية ، فانما نعني مجـــرد قانون ديموقراطي . اذ خلافا للايديولوجيا الطبقوية الـسائدة لدى كثيرين مـن تقدميينا ، فان الديموقراطية ، بمعناها التاريخي والعقلانـــي لا السياسي فحسب : ما تزال مطلبا ثوريا عظيما غير قابل للحرق المرحلي في مجتمعـــات التخلف والتأخر والاوتوقراطية التي هي مجتمعاتنا .

اننا نقترف خطأ شنيعا ، لا ماديا ميكانيكيا فحسب ، لو تصورنا ان الاحوال الشخصية والعلاقات العائلية والموقف من المراة هي مجرد ظواهر تتعلق بالبنية الفوقية وحدها . فنحن هنا امام علل ، ومن طبيعة اولى ، لا امام ظواهر فحسب . وفي الموقف من المراة تنعكس لا البنية الفوقية فحسب ، بل بنية المجتمع كله بتمامها وكمالها . وبتعبير لا يخلو من مجازية ، فان الموقف من المراة اشبه ما يكون بعقدة افاعٍ لا تميّز رؤوسها من اذنابها ، وحلها لا يكون الا بالغوص الى الجذور . وفي جذر كل تاخر وتخلف ، لا ني جذر كل اضطهاد فحسب ، تقف المراة ، او بالاحرى النظرة الى المراة .

هنا ، تحديدا ، نضع اصبعنا على واحد من الاخطاء الاساسية والتاريخية للحركة الماركسية العربية . فهذه الحركة التي تنوء تحت ثقل تراث عظيم لم تشارك في تطويره والتي نادرا ما فكرت بالتالي بالاصالة عن نفسها ، لم تر في الارث الماركسي سوى واقعة الاضطهاد وحلولها ، ولم تر الا لماما وتلمسا واقعة تاخر المجتمع العربي . ولو كانت رات واقعة التاخر بقدر ما رات واقعة الاضطهاد الطبقي ، لما كانت الحركة النسوية العربية بقيت اقرب الى الحركةالخيرية منها الى الحركة السياسية ـ الاجتماعية، ولما كانت الاحزاب العربية التقدمية بقيت احزاب رجال تمارس فن السياسة ، مثلها مثل غيرها من الاحزاب التقليدية ، باعتباره فن رجال بالتعريف .

ان خيبات الامل والهزائم المتتالية التي منيت وتمنى بها حركة الجماهير في العالم الثالث ، وفي العالم العربي على الاخص ، في السنوات الاخيرة ، توجب اعادة نظر شاملة في الاحلام المتفائلة عن امكانية سريعة لحرق المراحل في اقطار العالم الثالث ، ومن ثم في برامج التغيير الثوري التي ارتكزت اليها تلك الاحلام والتي ما استسهلت هذا التغيير الا لانها افترضته سياسيا صرفا . والحال ان التجربة المريرة قد اثبتت ان المطلوب ليس تغيير بنية الحكم

والسلطة فحسب ، بل كذلك بنية المجتمع العربي ، وفي المقام الاول بنية العقل العربي بالذات . والمنظور الذي يمكن ان يرتكز اليه تغيير كهذا لا بد ان يكون منظورا ثقافيـــا ــ حضاريا ، بالاضافة الى كونه طبقيا . والحال انه في الموقف من المراة يتقاطع ويتصالب المنظور الطبقي مع المنظور الثقافـــي ــ الحضاري . فالمراة هي ، من جهة اولى ، مضطهَدة المضطهدين (١) ؛ ووضـــع المراة في المجتمع هو ، من جهة ثانية ، معيار لتقدم هذا المجتمع او لتاخره حضاريا (٢) .

وهذه النصوص التي نقدمها اليوم الى القارىء العربي، تشكل اداة عمل ثمينة ــ وان غير كافية ــ في اعادة صياغة برنامـــج التغيير الثوري العربي . وهي اذ تضم جوهر ما كتبه الماركسيون عن المراة ، فانها لا تزعم انها تجمع ، حصرا ، كل ما كتبوه . وقد اتبعنا في ترتيبها التسلسل التاريخي ، مع انه كان يمكن ايضا ان نرتبها حسب الموضوعات. والتصور الذي تتضمنه هذه النصوص عن المراة له ، على اهميته وجذريته ، محدوديته ايضا . واول ما يطالعنا من هذه المحدودية ان جميع مؤلفي النصوص هم مـــن الرجال . والنص الوحيد الذي كتبته امراة ــ كلارا زتكين ــ انما يعرض وجهة نظر رجل في قضية المراة (وجهـــة نظر لينين) . وعليه ، فان املنا ان نلحق عما قريب بهذه المجموعة من النصوص مجموعة اخرى ، جميع مؤلفيها من النساء اللائي يتحدثن عـــن

---

١ ــ هذه الحقيقة عبر عنها انجلز باقتضاب رائع حين قال ان المراة فـي الاسرة هي البروليتاري ، بينما الرجل هو البورجوازي .

٢ ــ باقتضاب رائع ايضا عبر فورييه عن هذه الحقيقة حين قال ان درجة تحرر المراة في مجتمع ما هي المقياس الطبيعي للتحرر العام . وقد اخذ عنـه ماركس وانجلز هذا المبدأ .

قضية النساء ويناقشن ، في ما يناقشن ، التصور الماركسي نفسه مبيّنات عظمته وحدوده في آن معا فيما يتعلق بهن وبقضيتهن .

ج . ط .

كارل ماركس

الشيوعية الفجة والمراة

تلك الحركة القائمة على معارضة الملكية الخاصة بالملكيـــــة الخاصة المعممة تجد تعبيرها في شكل حيوانـــــي حين تعارض الزواج (الذي هو بالبداهة شكـــل من **الملكية الخاصة الحصرية**) **بمشاع النساء** ، حيث تصبح المراة ملكيـــة **جماعية ومشتركة** . يمكن القول ان فكرة **مشاع النساء** هذه **تهتك سر** تلك الشيوعيـــة التي ما تزال فجة للغاية وخاوية من الفكر . وكما تهجر المـــراة الزواج الى البغاء العام (١) ، كذلك فان كل عالم الثراء ، اي عالم

---

١ ــ ليس البغاء الا تعبيرا خاصا عن البغاء العام للعامل ، وبما ان البغاء علاقة لا يدخل فيها المبغي به وحده بل ايضا الباغي ــ ودناءته اكبر ايضا ــ فان الراسمالي ، الخ ، يسقط هو الآخر في هذه الفئة .

الماهية الموضوعية للانسان ، يهجر علاقة الزواج الحصري مع المالك الخاص الى علاقة البغاء الكلي مع الجماعة . هذه الشيوعية ـ بنفيها في كل مجال **شخصية** الانسان ـ ليست بالضبط الا التعبير المنطقي عن الملكية الخاصة ، تعبير هو بالضبط نفيها . ان **الحسد** العام ، المتكون كقوة ، هو الشكل المقنّع الذي يتلبسه **الظما الى الثروة** ، فلا يفعل من شيء تحت ستاره غير ان يروي غلته بطريقة **اخرى** . ان فكرة كل ملكية خاصة تنقلب **على الاقل** بما هي كذلك على الملكية الخاصة **الاغنى** في شكل حسد وتطلع الى التساوي ، بحيث يشكل هذان الاخيران ماهية المزاحمة بالذات . وما الشيوعية الفجة الا اكمال ذلك الحسد وتلك الرغبة في التساوي انطلاقا من تصور حد ادنى. قياسها **محدد ومحدود.** اما الدليل على ان ذلك الالغاء للملكية الخاصة ليس هو التملك الفعلي ، فنجده على وجه التحديد في النفي المجرد لكل عالم الثقافة والحضارة ، وفي العودة الى بساطة الانسان **الفقير المضادة للطبيعة** ، ذلك الانسان الذي لا حاجة له والذي لم يتخط مرحلة الملكية الخاصة ، بل لم يبلغها بعد .

«مخطوطات ١٨٤٤ الاقتصادية والفلسفية»

علاقة الرجل بالمراة
تحدد علاقة الانسان بالانسان

في العلاقة تجاه **المرأة** ، فريسة اللذة الجماعية وخادمتها ، يتجلى الانحطاط اللامتناهي الذي لا يوجد فيه الانسان الا لذاته، لان سر علاقة الانسان بنظيره يجد تعبيره **غير الملتبس** ، الحاسم ، **الجلي** ، المزاح عنه النقاب ، في علاقة **الرجل بالمراة** ، وفي

الطريقة التي تدرك بها العلاقة النوعية (١) **الطبيعية المباشرة** . ان العلاقة المباشرة ، الطبيعية ، الضرورية ، بين الانسان والانسان هي **العلاقة بين الرجل والمرأة** . ففي هذه العلاقة النوعية **الطبيعية** ، **تكون** علاقة الانسان بالطبيعة هي مباشرة علاقته بالانسان ، وتكون علاقته بالانسان هي مباشرة علاقته بالطبيعة ، تحديده **الطبيعي** ذاته . في هذه العلاقة يظهر **اذن** على نحو **محسوس** ، في شكل **واقعة** عينية ، مقدار صيرورة الماهية الانسانية هي الطبيعة بالنسبة الى الانسان ، او مقدار صيرورة الطبيعة هي ماهية الانسان الانسانية . انطلاقا من هذه العلاقة ، يمكن ان نحكم على كل مستوى ثقافة الانسان . من طابع هذه الثقافة يتضح مقدار ما صار **الانسان** بالنسبة الى ذاته **كائنا نوعيا** ، **انسانا** ، ووعى نفسه على هذا النحو ؛ فعلاقة الرجل بالمرأة هي العلاقة **الاكثر طبيعية** بين الانسان والانسان . فيها يظهر اذن الى اي حد اصبح السلوك **الطبيعي** للانسان **انسانيا** ، او الى اي حد اصبحت الماهية **الانسانية** له هي الماهية **الطبيعية**، والى اي حد اصبحت **طبيعته الانسانية** هي **الطبيعة** بالنسبة اليه. في هذه العلاقة يظهر ايضا الى اي حد اصبحت **حاجة** الانسان حاجة **انسانية**، وبالتالي الى اي حدل اصبح الانسان **الآخر** بوصفه انسانا حاجة بالنسبة اليه ، والى اي حد يكون في وجوده الاكثر فردية كائنا اجتماعيا في الوقت نفسه .

«مخطوطات ١٨٤٤ الاقتصادية والفلسفية» .

---

١ ـ النوع والنوعي مقولة فلسفية بطل استخدامها اليوم ، وتشير الى الانسان من حيث انه كائن نوعي . «م»

انعتاق المراة
بين النقد النقدي وفورييه

بمناسبة اعتقال لويزا بوريل يستغرق رودولف (١) في تأملات تتلخص على النحو التالي :

«كثيرا ما يغوي السيد الخادمة ويفجر بها بالارهاب او المباغتة او باستغلال الفرص التي تتيحها طبيعة **علاقة الخدمية** بالذات . انه يغرقها في الشقاء والعار والجريمة . لكن **القانون** يريد **تجاهل** ذلك كله ... فالمجرم الذي دفع في الواقع بالفتاة الى قتل طفلها ، لا يناله **العقاب**» .

---

١ ــ بطل رواية اوجين سو : «اسرار باريس» . واوجين سو كاتب فرنسي الف روايات مسلسلة نالت في حينه نجاحا كبيرا ، وكانت هادفة اجتماعيا ، وتندرج موضوعاتها في تيار الافكار الاجتماعية والانسانية الذي كان التيار الجارف في الادب الفرنسي في الخمسينات من القرن الماضي . و«بؤساء» فكتور هيغو يمكن ان تقدم للقارىء العربي مثالا متقدما على ما كانته روايات اوجين سو التي تصف بقدر من الواقعية الاوساط الشعبية ، وبخاصة البروليتاريا الرثة الباريسية ، ونير البؤس الذي كانت ترزح تحته . بيد ان اوجين سو ، الذي كان من هذه الزاوية قريب الصلة باشتراكيي عصره الطوباويين ، كان يزج في هذا الوصف الواقعي الابطال التقليديين للروايات المسلسلة : فتى غني وسيم يغيث موسما بائسة حافظت رغم مهنتها على طهرها ، واذا به يكتشف في النهاية انها ابنته من لحمه ودمه ، الخ . ولويزا بوريل هي في رواية «اسرار باريس» ابنة الحرفي بوريل ، وقد اضطرها البؤس الى العمل كخادمة لدى الكاتب العدل جاك فيران ، فكان ان اغتصبها هذا الاخير اثناء سباتها . وقد اعتقلت وسجنت فيما بعد بتهمة قتل طفلها الذي راى النور سفاحا . «م»

ان رودولف لا يذهب في تاملاته حتى الى حد اخضاع **علاقة الخدمية** ذاتها لنقده الجليل . فهو ، بصفته اميرا **صغيرا** ، حام **كبير** للخدمية . بل انه لا يدفع بتفكيره الى حد فهم لا انسانية الشرط العام للمراة في المجتمع الراهن . فوفاء تاما منه للنظرية التي سبق له ان عرضها ، نراه يعرب فقط عن اسفه لعدم وجود **قانون يعاقب** المغرّر ويقرن التوبة والتكفير بعقوبات رهيبة .

وما كان على رودولف في هذه الحال الا ان يدرس التشريع الساري المفعول في اقطار اخرى . فالتشريع الانكليزي يرضي رغباته كافة . فقد بلغ في رهافته ، التي يكيل لها بلاكستون (١) ثناء ما بعده ثناء ، مبلغا يلصق معه تهمة **المكر** بكل من يغوي **مومسا** .

وهنا يطلق السيد زليغا (٢) ابواقه :

« هـــوذاك ! ــ ... الا تفقهـــون !... رودولف !... قارنـــوا اذن **تلك الافكار باوهامكم** عن **انعتاق المراة** . فواقع هذا الانعتاق **نكاد** نلمسه هنا لدى رودولف لمس اليد ، في حين انكم بطبيعتكـــم

---

١ ــ السير وليم بلاكستون (١٧٢٣ ــ ١٧٨٠) : رجل قانون وبرلمانـــي انكليزي . دافع عن النظام الدستوري . «م»

٢ ــ زليغا هو الاسم المستعار لفرانز زيشلن فون زيشلنسكي ، وهو من الهيغليين الشبان من انصار الاخوين باور ، زعيمي مدرسة «النقد النقدي» التي ساطها ماركس وانجلز بلاذع نقدهما في «الاسرة المقدسة» (تلقيب ساخر لمدرسة النقد النقدي) . وكان زليغا قد كتب مقالا كال فيه عاطر الثناء لأوجين سو ، فادخله جنة النقد النقدي ، واعتبر بطله رودولف ، الامير في اصله ، الخادم الاول في «دولة الانسانية» . «م»

عمليون اكثر مما ينبغي (١) ، وتمنون بالتالي بالفشل تلو الفشل في محاولاتكم» .

نحن ندين ، على كل حال ، للسيد زليغا بكشف السر التالي وهو ان واقعا ما يمكن ان يلمس لمس اليد تقريبا في الافكار . اما عن مزاحه فيما يتعلق بمقارنة رودولف بالرجال الذيـــن نادوا بانعتاق المراة ، فحسبنا ان نقارن **افكار** رودولف بأوهام فورييه التالية على سبيل المثال :

«الزنى والغواية يشرفان الفـــواة ويطيب الحديث عنهما ... لكن يا للفتاة المسكينة ! قتلت طفلها ، مـا اظفعها من جريمة ! اذا كانت تحـرص على شرفها ، فعليها ان تخفي آثار عارها ؛ واذا ضحت بطفلها نزولا عند احكام الناس المسبقة ، تجللت بالمزيد من العـار ووقعت تحت احكام القانون المسبقة ... تلك هـــي **الحلقة المفرغة** التي تدور فيها كل اوالية حضارية .

«أليست الفتاة بضاعة معروضة للبيع لكل مـــن يريد المساومة على اقتنائها وامتلاكها ملكية موقوفـــة عليه ؟... وكما يعادل النفيان في القواعـد اثباتا ، كذلك يمكن القول ان **بغائين يعادلان فضيلة** في التجارة الزوجية .

«ان تغير عصر من العصور التاريخية يتحدد علـى الدوام بدالة تقدم النساء نحو الحرية ، لانه في علاقة الرجل بالمراة ، الضعيف بالقوي ، يظهر على أسطـع نحو انتصار الطبيعة الانسانية على الحيوانيـة . ان درجة الانعتاق النسوي هي المقياس الطبيعي لدرجة

---

١ ــ ينبغي ان نتذكر هنا ان جماعة النقد النقدي كانت ترفع عن الروح العملي والممارسة الواقعية وتقول بالروح المطلق والصافي والخالص ، الخ . «م»

الانعتاق العام .

«ان إذلال الجنس النسوي هو سمة اساسيـــة للحضارة وللهمجية معا ، مع فارق وحيـــد وهو ان الحضارة ترفع كل رذيلة من الرذائل التي تمارسهـا الهمجية بلا تجميل الى نمط من الوجود معقد مزدوج المعنى ، ملتبس ومراءٍ ... وما من احد يذوق مـن الذل ما يذوقه الرجل نتيجة لاستعباد المراة» .

لا حاجة بنا ، ازاء افكار رودولف ، الى إرجاع القارىء الى ما تركه لنا فورييه من وصف محكم **للزواج** ، وكذلك الى كتابـــات الجناح المادي النزعة من الشيوعية الفرنسية .

ان اتفه نفايات الادب الاشتراكي ، كما نلفاها لدى الروائي ، تظل تكشف دوما وابدا للنقد النقدي عن «اسرار» مجهولة .

«الاسرة المقدسة او نقد النقد النقدي» .

الحب والشهوة

على غرار اللاهوت التأملي ، ينصحنا الراعي (١) **بالاعتراف** بالشهوانية طبيعة **خاصة بنا** ، كيما نتمكن ، من ثم ، من **كبحها** ، اي سحب ذلك الإقرار . صحيح انه لا يريد كبحها الا حين تشاء ان تفرض نفسها على حساب العقل ـ ذلك ان قوة الارادة والحب **بالتعارض** معالشهوانية ما هما الا قوة الارادة وحب العقل . ان

---

١ ـ هنا بمعنى الراعي البروتستانتي ، وهو لقب ساخر يطلقه ماركس على رليفا اشارة الى تزمته . «م»

كل مسيحي ، حتى ولو لم يكن تأمليا، يعترف **بالشهوانية** ، وذلك بمقدار ما لا تفرض نفسها على حساب العقل الحق ، اي الايمان، والحب الحق ، اي حب الله ، وقوة الارادة الحقة ، اي الارادة في يسوع المسيح .

يميط راعينا اللثام للحال عن رايه الحقيقي حين يتابع فيقول :

«اذا لم يعد الحب جوهر الزواج ، والخلقية بوجه عام ، تصبح **الشهوانية** هي سر الحب والخلقية والمجتمع المثقف ـ الشهوانية بمعناها **الحصري** ، من حيث انها **ارتعاش الاعصاب** ، السيل **الحارق** الذي يجري في العروق ، وكذلك بمعناها الاعم ، من حيث انها ترقى الى مستوى قوة روحية **ظاهرية** ، وتنصب نفسها شهوة الى السيطرةوطموحا وظمأ الى المجد... والكونتيسة ماك غريغور (١) تمثل هذا المعنى الاخير للشهوانية بوصفها سر المجتمع المثقف» .

لقد اصاب الراعي كبد الحقيقة . فحتى يكبح **الشهوانية** لا محيص له عن ان يكبح قبل كل شيء **التيارات العصبية وجريان الدم** السريع . ويتصور السيد زليغا ، بالمعنى «الحصري» للكلمة، انه اذا ارتفعت حرارة الجسم ، فهذا لان الدم يكون حارقا في العروق ؛ وهو لا يعلم ان **الحيوانات ذات الدم الحار** قد سميت بهذا الاسم لان درجة حرارة دمها ، خلا تبدلات لا تذكر ، تبقى ثابتة . وحين لا تعود الاعصاب ترتعش ولا يعود الدم يحرق في العروق ، يسقط **الجسم الخاطىء** ، مقر الشهوات الحسية ، في **سكينة مستوية** ، وتتمكن الارواح بيسر وحرية من التحاور في موضوع «العقلالكوني» و«الحب الحق» و«الاخلاق الصافية».

---

١ ـ من ابطال رواية «اسرار باريس» . «م»

ان راعينا يذل مقام الشهوانية الى درجة يحذف معها بالضبط عناصر الحب الشهوي التي تؤجج أواره : جريان الدم السريع الذي يثبت ان الانسان لا يحب ببرودة فاقدة الحس ، والشبكات العصبية التي تربط الدماغ بالعضو الذي هو المقر الرئيسي للشهوانية . انه يختزل الحب الشهوي الى الفعل **الآلي للافراز المنوي** ، ويتمتم مع ذلك اللاهوتي الالماني الذي اصاب شهرة بئسة: «ليس ذلك بدافع من الحب الشهوي او من الغلمة الجسدية ، وانما لان الرب قال : تكاثروا وتناسلوا» (١) .

«الاسرة المقدسة او نقد النقد النقدي»

تحلل الاسرة البورجوازية

يرى الفلام الكريم (٢) مرة اخرى هيمنة القديس حيثما تهيمن فقط علاقات اختبارية . ان البورجوازي يرى الى مؤسسات نظامه مثلما يرى اليهودي الى الشريعة ؛ فهو ينتهكها ما وجد الى ذلك سبيلا ، لكنه يريد ان ينصاع لها الآخرون جميعا . ولو انتهك البورجوازيون جميعا ، جماعيا ودفعة واحدة ، مؤسسات البورجوازية ، لكفوا عن ان يكونوا بورجوازيين ـ وهو مسلك لا يدور لهم بالطبع في خلد ولا يتعلق البتة بمشيئتهم . البورجوازي المتهتك ينتهك الزواج ويقترف الزنى سرا ؛ والتاجر ينتهك

---

١ ـ يقصد ماركس هنا لوثر . وقد علق لينين على هذا المقطع في «دفاتره الفلسفية» بالقول : «بعض ملاحظات جزئية ضد اذلال الشهوية» . «م»

٢ ـ المقصود ماكس شتيرنر مؤلف «الاوحد وملكه» . «م»

مؤسسة الملكية حارما الآخرين من ملكيتهم عن طريق المضاربة والافلاس الخ ... ؛ والفتى البورجوازي يستقل عن أسرته متى استطاع الى ذلك سبيلا ، يحل الاسرة عمليا لحسابه ؛ لكن الزواج والملكية الخاصة والاسرة تبقى نظريا سليمة لم تمس لانها عمليا الاساس الذي اقامت عليه البورجوازية هيمنتها ، ولانها في شكلها البورجوازي الشروط التي تجعل من البورجوازي بورجوازيا ، مثلما تجعل الشريعة المنتهكة باستمرار من اليهودي المتدين يهوديا متدينا . وعلاقة البورجوازي هذه بشروط..وجوده تجد تعبيرها العام في الاخلاق البورجوازية . ولا نتكلمن اصلا عن «ال» اسرة . فالبورجوازية تضفي تاريخيا على الاسرة طابع الاسرة البورجوازية التي وشائجها الملل والمال ، والتي تتضمن ايضا التحلل البورجوازي للاسرة ، ذلك التحلل الذي تبقى اثناءه الاسرة ذاتها على قيد الوجود . ووجودها الموحل هذا يناظره ايضا تصور مقدس في انشاء الجمل الرسمي وفي النفاق العام . وحيثما تتحلل الاسرة **فعلا** ، كما لدى البروليتاريا، يحدث بالضبط عكس ما يتخيله شتيرنر . ففكرة الاسرة لا يعود لها من وجود، وان كنا نلحظ هنا وهناك نزوعا الى الحياة الاسرية يستند الى علاقات واقعية تماما . في القرن الثامن عشر انحلت فكرة الاسرة تحت ضربات الفلاسفة ، لان الاسرة الواقعية ، في الدرجة العليا من الحضارة ، كانت قد بدأت بالانحلال . وما طفق ينحل انما كان رباط الاسرة الداخلي ، مختلف العناصر التي يتألف منها مفهوم الاسرة : الطاعة ، التقوى ، الوفاء الزوجي ، الخ ... ؛ بيد ان جسم الاسرة الفعلي ، والشروط المتعلقة بالثروة ، والموقف الاستئثاري تجاه الاسر الاخرى ، والتساكن القسري ، والشروط التي يخلقها وجود الاطفال ، وبناء المدن الحديثة ، وتكوين الرأسمال ، الخ ... ، لبثت قائمة ، وان مقلقلة في كثير من الاحيان ؛ لان وجود الاسرة كان قد أمسى ضروريا بحكم ارتباطها بنمط الانتاج ، بصرف النظر عن مشيئة المجتمع البورجوازي .

وتتجلى هذه الضرورة على اسطع نحو في الثورة الفرنسية يوم الغيت الاسرة اذا جاز التعبير ، لهنيهة من الزمن ، نزولا عند حكم القانون . بيد ان الاسرة واصلت وجودها في القرن التاسع عشر، ولكن مع الفارق التالي وهو ان تحللها امسى اكثر عمومية ، لا بسبب الايديولوجيا ، وانما على اثر تطور الصناعة والمزاحمة ؛ وهي ما تزال الى يومنا على قيد الوجود وان يكن الاشتراكيون الفرنسيون والانكليز قد اعلنوا منذ زمن بعيد تحللها ، بل وان تكن الروايات الفرنسية نقلت في خاتمة المطاف هذه الواقعة الى علم أحبار الكنيسة الالمانية .

«الايديولوجيا الالمانية»

البورجوازية وحجاب العاطفية

لعبت البورجوازية في التاريخ دورا ثوريا رفيعا .

فحيثما استولت البورجوازية على السلطة ، داست بقدميها جميع العلاقات الاقطاعية والبطريركية والمثالية العاطفية ، وحطمت بلا رافة جميع الروابط المعقدة والمتنوعة التي كانت تربط الانسان الاقطاعي برؤسائه الطبيعيين ، ولم تبق على صلة بين الانسان والانسان الا صلة المصلحة الباردة والمتطلبات القاسية للدفع «نقدا وعدا» . وأغرقت اقدس قشعريرات الحمية الدينية، والنخوة الفروسية ، والعاطفية البورجوازية الصغيرة في المياه الجليدية للحساب الاناني ...

ونزعت البورجوازية عن كل النشاطات التي كانت تعتبر الى ذلك الحين مبجلة والتي كان ينظر اليها باحترام قدسي ، نزعت عنها هالتها ، وادخلت الطبيب ورجل القانون والكاهن والشاعر

والعالم في خدمتها كشغيلة مأجورين .

ومزقت البورجوازية حجاب العاطفية الذي كان مسدلا على العلاقات العائلية فقضت عليها بأن تكون محض علاقات مالية .

«بيان الحزب الشيوعي»

الاسرة بين الشيوعيين والبورجوازيين

ان مفاهيمكم الانانية المغرضة [ايها البورجوازيون] تدفعكم الى تحويل الاشكال الاجتماعية المتولدة عن نمط الانتاج وعلاقات الملكية الراهنة الى قوانين ازلية من قوانين الطبيعة والعقل ، مع انها ليست سوى علاقات تاريخية تنشأ وتزول خلال مسيرة الانتاج ...

هدم العائلة ! حتى اشد الراديكاليين تطرفا تسخطهم نية الشيوعيين هذه ، الفاضحة المرذولة .

ولكن على اي قاعدة تقوم الاسرة البورجوازية اليوم ؟ على الراسمال وعلى الربح الفردي . وهي ، بتمام بنيانها ، ليست موجودة الا بالنسبة الى البورجوازية . لكن لازمتها الضرورية هي الالغاء القسري لكل اسرة بالنسبة الى البروليتاري ، وكذلك البغاء العام .

ان الاسرة البورجوازية تضمحل بالطبع باضمحلال لازمتها هذه . وكلتاهما ، الاسرة البورجوازية ولازمتها ، تزول بزوال الراسمال .

اتأخذون علينا اننا نريد الغاء استغلال الاهل للابناء ؟ ان كان ذلك ، فنحن نقر بهذه الجريمة .

لكنكم تقولون اننا نحطم الروابط الاكثر حميمية بابدالنا

تربية الاسرة بتربية المجتمع .

وماذا عن تربيتكم انتم ؟ اليس المجتمع ايضا هو الـــذي يحددها ؟ اليست تحددها الشروط الأجتماعية التي تنشئون فيها اولادكم عن طريق التدخل المباشر او غير المباشر للمجتمع ، عن طريق المدرسة ، الخ ؟ ان تاثير المجتمع على التربية ليس مـــن ابتكار الشيوعيين . انهم لا يسعون الا الى تغيير طابع هذا التاثير والى تحرير التربية من نفوذ الطبقة السائدة .

ان تشدق البورجوازيين الفارغ بالاسرة وبالتربية وبالاواصر العطوفة التي تربط الولد بأهله ، اصبح تقز منه النفس اكثـــر فاكثر ، إذ ان الصناعة الكبرى تقوض كل صلة عائلية بالنسبة الى البروليتاريا وتحول الاولاد الى مجرد سلع تجارية وادوات عمل صرف .

والآن اسمعوا البورجوازية تصيح بنا في جوقـــة واحدة : «انكم ، ايها الشيوعيون ، تريدون اشاعة النساء !» .

ليست امراة البورجوازي عنده سوى اداة انتاج ، وهو يسمع ان ادوات الانتاج يجب ان تستغل تشاركيا ، فيستنتج من ذلك بالطبع ان النساء انفسهن سوف يسري عليهن ذلك .

ولا يدور في خلد البورجوازي ان المسألة هي على العكس من ذلك تماما ، واننا نريد اعطاء المراة دورا غير هذا الدور الذي تقوم به الان كمجرد اداة انتاج .

ولشد ما يضحكنا ذعر بورجوازيتنا المبالغ في اخلاقيته من مشاع النساء الرسمي الذي يزعمون ان الشيوعيين يدعون اليه . فلا حاجة بالشيوعيين الى تطبيق مشاع النساء ، فهو كـــان موجودا على الدوام تقريبا .

ولا يكتفي البورجوازيون بأن يكون تحت تصرفهم نســـاء البروليتاريين وبناتهم ــ هذا من غير ان نتكلم عن البغاء الرسمي ــ بل يجدون لذة خاصة في تركيب قرون لبعضهم بعضا .

ليس الزواج البورجوازي في واقع الامر الا مشاع النساء المتزوجات . فقصارى ما يمكن ان يتهم به الشيوعيون اذن هو انهم يريدون احلال مشاع صريح ورسمي للنساء محل مشاع مقنّع مُراءٍ . ومن البديهي ، بعد كل شيء ، ان يزول مشاع النساء ، اي البغاء الرسمي وغير الرسمي ، بإزالة نظام الانتاج الحالي الذي يتولد عنه .

«بيان الحزب الشيوعي»

العمل حتى الموت

في طائفة العمال المبرقشة ، من كل مهنة وكل عمر وكل جنس ، اولئك الذين يتدافعون امامنا باعداد اكبر من عدد ارواح الموتى امام (اوليس) في الجحيم ، والذين نتعرف فيهم منذ النظرة الاولى آثار العمل المفرط ، لنلتقط ايضا ، ولو على نحو عابر ، صورتين يثبت تناقضهما الواضح انه امام الراسمال يتساوى الناس جميعا : صانعة ازياء ، وحداد .

في الاسابيع الاخيرة من حزيران ١٨٦٣ نشرت جميع صحف لندن مقالا تحت هذا العنوان المثير **(موت لمجرد الافراط في العمل)**. وكان الامر يتعلق بموت صانعة الازياء ماري آن والكلاي ، وعمرها عشرون عاما ، المستخدمة في معمل محترم جدا تستثمره سيدة تحمل الاسم الرقيق «إليزا» ، وهي مجهّزة القصر ... صحيح ان العاملات الشابات ما كن يعملن بصورة وسطية الا ١٦ ساعة ونصف الساعة يوميا ، وخلال الموسم فقط كن يعملن ٣٠ ساعة متوالية دون انقطاع . ولكن من الصحيح ايضا انه كان يقدم اليهن ، لاحياء قواهن الخائرة ، بعض اقداح الشيري والبورتو والقهوة . والمعروف ان الموسم كان يومئذ في ابانه . وكان

المطلوب تصميم الزينة في طرفة عين لسيدات نبيلات ينويـــن الذهاب الى حفلة الرقص التي ستقام على شرف اميرة الويلز (١)، المستوردة حديثا ... لقد اشتغلت ماري آن والكلاي ٢٦ ساعة ونصف الساعة دون انقطاع مع ٦٠ فتاة اخرى . وتجب الاشارة الى ان اولئك الفتيات كن يعملن كل ٣٠ فتاة في غرفة تتضمن اقل من ثلث كمية الهواء الضرورية ، وفي الليل كن ينمن كـل اثنتين في كوخ حقير ، وفيه غرفة نوم مصنوعة من مختلـف الحواجز الخشبية (٢) .

---

١ ـ اي ولية عهد انكلترا . «م»

٢ ـ لقد صرح يومئذ الدكتور ليتبي الطبيب المستخدم في الادارة الصحية: «ان الحد الادنى من الهواء الضروري للراشد في غرفة نومه هو ٣٠٠ قدم مكعب، وفي غرفة السكن ٥٠٠» . ويقول الدكتور ريتشاردسون رئيس الاطباء في احد مستشفيات لندن : «ان الخياطات من كل نوع ... يصبن دائما بثلاث آفات : الافراط في العمل ، ونقص التهوية ، ونقص الغذاء والهضم . ان شغل الابرة هو ، بصورة عامة ، اكثر ملاءمة في جميع الظروف للنساء منه للرجال . ولكن مصيبة المهنة انها ، وخصوصا في لندن ، قد احتكرها ٢٦ رأسماليا ، وهـم يقتصدون ، بوسائل قسرية ناتجة عن الرأسمال نفسه ، في النفقات لكـي يبذروا في قوة العمل . وهذه الحالة نشعر بها في جميع فروع صناعـة الخياطة . فما ان تتوصل الواحدة من خياطات الثياب ، مثلا ، الى تكويـن دائرة صغيرة من الزبائن ، حتى ترغمها المزاحمة على العمل حتى الموت (فـي محلها) للمحافظة عليهم ، وعلى ارهاق عاملاتها بالعمل . فان لم تنجح في عملها او ان لم تستطع ان تؤسس محلا مستقلا ، اتجهت الى مؤسسة ليس العمل فيها اقل ، ولكن الدفع فيها مؤكد ؛ وفي هذه الشروط تصبح محض امة مسترقة، تتارجح هنا وهناك مع كل هزة من هزات المجتمع ، تارة في بيتها في غرفـة صغيرة وهي تموت من الجوع او تكاد ، وطورا في معمل تشتغل فيه ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ساعة من اصل ٢٤ ، في جو يكاد لا يطاق. وبغذاء لا يمكن هضمه حتى ولو =

وكان ذلك معملا من افضل معامل الازياء . سقطت ماري آن والكلاي مريضة يوم الجمعة ، وماتت يوم الاحد ، دون ان تمنح شفلها القطبة الاخيرة ، وذلك على دهشة من السيدة إليزا . ولقد اعلن الطبيب الذي دعي ، بعد فوات الاوان ، الى سرير الوفاة ، اعلن بصراحة متناهية امام «محلفي التحقيـــق» ، ان ماري آن والكلاي توفيت اثر ساعات العمل الطويلة في موضع من المعمل مكتظ جدا ، وفي غرفة نوم ضيقة للغاية وبدون تهوية . ولكن «قاضي التحقيق» اعلن على العكس ، كي يلقن الطبيب درسا في اللباقة ، ان المرحومة توفيت بالسكتة القلبية ، وان يكن ثمة مجال للتخوف من ان تكون وفاتها قد عجل بها عمل مفرط ، في معمل مكتظ جدا ، الخ .

وهتفت صحيفة «المورننغ ستار» ، لسان حال نصـــيري التبادل الحر كوبون وبرايت : ان ارقاءنا البيض هم ضحايا العمل الذي يقودهم الى القبر . انهم يستنزفون ويموتون بلا طبل ولا زمر (١) .

العمل حتى الموت ، هذه هي القضية المطروحة اليوم ، ليس

= كان جيدا؛ وذلك للافتقار الى الهواء النقي. هذه هي الضحايا المقدمة كل يوم للسل ، والتي توسع مجال سلطانه ! ذلك ان هذا المرض ليس له من سبب آخر غير الهواء الفاسد» .

١ ــ المورننغ ستار ، ٢٣ حزيران ١٨٦٣ . وقد اغتنمت «التايمز» هـذه المناسبة للدفاع عن انصار الرق الاميركيين ضد برايت وشركاه ، فقالت : «يرى الكثيرون منا اننا ما دمنا نشغّل فتياتنا الشابات ، حتى الموت ، باستعمال منخس الجوع بدلا من طرقعة السوط ، فاننا لا نكاد نملك الحق في الاستنجاد بالحديد والنار ضد الاسر التي ولدت مالكة للارقاء ؛ وهي على كل حال تغذي ارقاءها تغذية جيدة وتشغّلهم باعتدال» (التايمز ، ٢ تموز ١٨٦٣) .

فقط في مخزن صانعات الازياء، وانما ايضا في اية مهنة كانت..

«رأس المال ـ الكتاب الاول»

الآلة وعمل النساء والاولاد

ان الآلة ، اذ تجعل القوة العضلية غير مجدية ، تسمح باستخدام عمال لا يتمتعون بقوة عضلية كبيرة ... حين استولى راس المال على الآلة ، كانت صرخته هي : اريد عمل النساء ، اريد عمل الاولاد ! وسرعان ما تحولت هذه الوسيلة القوية لتخفيض جهود الانسان الى وسيلة لزيادة عدد المأجورين ؛ فقد اخضعت جميع افراد الاسرة ، دون تمييز في السن او الجنس ، لنير الراسمال ...

لقد كانت قيمة قوة العمل محددة بتكاليف قوت العامل واسرته . بيد ان الآلة اذ تطرح الاسرة في السوق ، وتوزع قيمة قوة واحدة على عدة قوى ، تنقص من قيمة هذه القوة . من الجائز ان القوي الاربع ، مثلا ، التي تبيعها الان الاسرة العمالية، تدر عليها اكثر مما كانت تدر عليها في السابق قوة رئيسها وحده؛ لكن اربعة نهارات عمل حلت ايضا محل نهار واحد ، وسعرها انخفض بالتناسب مع زيادة فائض عمل الاربعة عن فائض عمل الواحد . وينبغي الان ان يقدم اربعة اشخاص لا عملا فقط ، وانما ايضا عملا اضافيا ، لكي تتمكن اسرة واحدة من العيش . وهكذا ، فان الآلة بزيادتها المادة البشرية الصالحة للاستغلال ترفع في الوقت نفسه درجة الاستغلال (١) .

---

١ ـ كانت الزيادة العددية للشغيلة كبيرة جدا اثر الاحلال المتزايد للنساء =

ان الاستخدام الراسمالي للآلات يخرق خرقا تاما العقد الذي كان شرطه الاول انه ينبغي للراسمالي والعامل ان يواجه واحدهما الآخر بوصفهما شخصين حرين ، كلاهما بائع ، وواحدهما مالك المال او وسائل الانتاج ، والآخر مالك قوة العمل . كل هـــذا ينقلب راسا على عقب منذ ان بات الراسمال يشتري القاصرين. ففي السابق ، كان العامل يبيع قوة عمله الخاصة التي يستطيع ان يتصرف بها بحرية ، والآن هو يبيع زوجته وأولاده ؛ انه يصبح نخاسا وبائع رقيق .

«راس المال ـ الكتاب الاول»

النساء ومقاومة استبداد الراسمال

ان الآلة ، اذ تضم الى مجموعة الشغيلة المستخدمين فـــي المصنع كتلة من الاولاد والنساء ، ذات وزن اعظم ، تنجح اخيرا

= محل الرجال الراشدين ، وبخاصة إحلال الاولاد محلهم . لقد اصبح الرجل البالغ اشده ، والذي كانت تتراوح اجرته بين ١٨ و٤٥ شلنا في الاسبوع ، ينوب منابه الان ثلاث فتيات ، عمر الواحدة منهن ١٣ عاما ، واجرتهن تتراوح بين ٦ و٨ شلنات ... ونظرا الى ان بعض الوظائف في الاسرة مثل العنايـــة بالاطفال وإرضاعهم لا يمكن ان تلغى الغاء تاما ، فان ربات الاسر اللواتي صادرهن الراسمال يجدن انفسهن مرغمات الى حد ما على استئجار من ينوب عنهن في ذلك . ولا مناص من ان تحل محل الاعمال المنزلية كالخياطة والرتق ، الخ ، بضائع جاهزة . وتخفيف الانفاق في العمل البيتي تقابله زيادة في الانفـــاق المالي . وعليه ، كانت نفقات اسرة الشغيل تتزايد وتتوازن مع زيادة الدخل .

في تحطيم المقاومة التي كان الشغيل الذكر في المعمل ما يـــزال يناهض بها استبداد الراسمال (١) .

«رأس المال ــ الكتاب الاول»

التاريخ والاسرة

مهما بدا في الوسط الراهن انحلال الاواصر القديمة للاسرة فظيعا كريها ، فان الصناعة الكبرى ، بفضل الدور الحاسم الذي تقلده للنساء والاولاد ، خارج دائرة البيت ، في عمليات انتاجية منظمة اجتماعيا ، تخلق اساسا اقتصاديا جديدا لذلك الانحلال، اساسا سوف ينهض عليه شكل اسمى للاسرة وللعلاقـــات بين الجنسين . ومن السخف ان نعتبر النمط الجرماني ــ المسيحي للأسرة نمطا مطلقا ونهائيا ، تماما كما انه من السخف ان نعتبر انماطها الشرقية والاغريقية والرومانية ، التي تؤلف فيما بينها بالاصل سلسلة متدرجة ، انماطا مطلقة ونهائية . وحتى تركيب الشغيل الجماعي من أفراد من الجنسين ومن جميع الاعمار ، وعلى الرغم من انه يشكل مصدرا للفساد والعبودية في ظـــل

---

١ ــ «أعلمني السيد ! انه يستخدم النساء فقط على انواله الالية ؛ وهو يفضل النساء المتزوجات ، وخصوصا ربات الاسر الكثيرة الافراد ؛ فهن اكثر انتباها وانضباطا من النساء غير المتزوجات ، وهن بالاضافة الى ذلك مرغمات على العمل حتى الهلاك للحصول على وسائل المعاش الضرورية . وهكذا تتحول الفضائل التي تتحلى بها المراة الى مضرة تنزل بها . فما تتسم به طبيعتها من حنان ورقة وتمسك بالاخلاق يصبح اداة استعبادها وبؤسها» (خطاب اللـــورد اشلي ، لندن ، ١٨٤٤ ، ص ٢٠) .

النظام الراسمالي ، يحمل في ذاته بذور تطور اجتماعي جديد . ففي التاريخ ، كما في الطبيعة ، نرى ان العفونة هي معمـــل الحياة .

«راس المال ــ الكتاب الاول»

النساء والعمل في المناجم

لم تعد النساء ، منذ عام ١٨٤٢ ، يستخدمن **تحت الارض** ، وانما **فوقها** ، وذلك في تحميل الفحم وغربلته وجر البراميل الى الاقنية وشاحنات السكة الحديدية ، الخ . وقد ازداد تعدادهن زيادة كبيرة خلال السنوات الثلاث او الاربع الاخيرة . وهن ، بصورة عامة ، زوجات لعمال المناجم او بناتهـــم او ارامله ، وتتراوح أعمارهن بين الثانية عشرة والخمسين والستين .

«ما راي عمال المناجم بعمل النساء في المناجم ؟ ــ انهم يذمونه بصورة عامة (رقم٦٤٨)(١) ــ لماذا ؟ ــ انهم

---

١ ــ هذه الاسئلة والاجوبة يستقيها ماركس من تقرير وضعته لجنـــة برلمانية بتكليف من مجلس العموم البريطاني لدراسة اوضاع العمل والعمال في المناجم . والاسئلة هي لاعضاء اللجنة البرلمانيين ، والاجوبة هي للعمال ، لكن طريقة طرح الاسئلة وانتزاع الاجوبة كانت اشبه بالطريقة التي يتبعها المحامون في استجواب الشهود في المحاكم . وهي طريقة يصفها ماركس بانها «وقحة ، مفاجئة ، مبهمة ، مشوشة ، يحاول بها المحامي ان يخيف الشاهد ويباغتـــه ويفحمه ويحرف الكلمات التي ينتزعها منه» . وقد اعاد ماركس ترتيب الاسئلة والاجوبة بحسب الموضوع . اما الارقام فتشير الى ترتيبها الاصلي في تقريـــر اللجنة . «م»

يرون انه يمتهن الجنس ويحط من شانه (رقم ٦٤٨). فالنساء يرتدين ثياب الرجال . ومنهن من يدخّن لفائف التبغ . وفي كثير من الحالات ، يخلعن عنهن كل عذار . ولا تقل قذارة العمل عما هي في المناجم . وبينهن كثيرات من النسوة المتزوجات اللواتي لا يستطعن اداء واجباتهن المنزلية (رقم ٦٥٠ ، ٦٥٤ ، ٧٠١) ـ هل بوسع الارامل ان يجدن في مكان آخر عملا يدر عليهن مثلما يدر هذا العمل ؟ (٨ او ١٠ شلنات في الاسبوع) ـ لا استطيع ان اقول شيئا في هذا الموضوع (رقم ٧٠٩ ، ٧٠٨) ـ ومع ذلك تقول انه لو كان الامر بيدك لكنت حرمتهن من وسيلة العيش هذه [يا للقلب الحجري !] ـ بالتأكيد (رقم ٧١٠) ـ ما مصدر هذا الاستعداد ؟ ـ ان احترامنا ، نحن عمال المناجم ، للجنس اكبر من ان نطيق رؤيتهُ يتمرغ في حفرة الفحم ... فهذا العمل شاق للغاية بصورة عامة . وكثيرات من اولئك الصبايا يرفعن عشرة اطنان في اليوم (رقم ١٧١٥ ، ١٧١٧) ـ هل تعتقد ان العاملات المستخدمات في المناجم هن أحط اخلاقا من المستخدمات في المعامل ؟ ـ ان عدد سيئات الخلق عندنا اكبر منه في اي موضع آخر (رقم ١٧٣٢) ـ ولكنك لست راضيا ايضا عن الحالة الاخلاقية في المعامل ؟ ـ كلا (رقم ١٧٣٣) ـ اتريد اذن الغاء عمل النساء في المعامل ايضا؟ ـ لا. لا اريد (رقم ١٧٣٤) ـ لماذا لا تريد ؟ ـ ان العمل في المعامل اشرف واكثر مواءمة للاناث (رقم ١٧٣٥) ـ الا تعتقد مع ذلك انه مضر بأخلاقهن ؟ ـ ليس الى هذا الحد ، فشتان بين ضرره وضرر العمل في المناجم . ثم انني لا اتكلم من وجهة النظر الاخلاقية فحسب ، وانما ايضا من وجهة

النظر الجسمانية والاجتماعية . ان الانحطاط الاجتماعي للفتيات مجاوز الحد ويدعو للرثاء . وحين تغدو هؤلاء الصبايا زوجات لعمال المناجم ، يعانـي الرجال آلاما عميقة من انحطاطهن ، وهذا ما يدفع بهم الى هجران البيت ومعاقرة الشراب (رقم ١٧٣٦) — ولكن اليس هذا ايضا وضع النساء المستخدمات في المصانع ؟ — لا استطيع ان اقول شيئا عن الفروع الصناعية الاخرى (رقم ١٧٣٧) — ولكن ما الفرق بين النساء المستخدمات في المناجم والنساء العاملات في المصانع ؟ — لم يسبق لي الاهتمام بهذه المسالة (رقم ١٧٤٠) — هل تستطيع ان تجد فارقا بين هذه الفئة وتلك ؟ — لست واثقا من شيء فيما يتعلق بهذه المسالة ، لكني اعرف ، عن طريق الزيارات التي اقوم بها من منزل الى منزل ، الحالة البشعة السائدة في مقاطعتنا (رقم ١٧٤١) — الا تراودك رغبة كبرى في الغاء عمل النساء حيث يكون مسببا للانحطاط ؟ — بالتاكيد ... فافضل مشاعر الاطفال يجب ان يكون منبعها تربية الام (رقم ١٧٥٠) — لكن الا ينطبق ذلك على عمل النساء في الزراعة ايضا ؟ — انه لا يدوم غير فصلين ؛ اما عندنا فتعمل النساء خلال الفصول الاربعة ، واحيانا يصلن الليل بالنهار ، وهن مبتلات حتى العظام ؛ اجسامهن تضعف ، وصحتهن تسوء (رقم ١٧٥١) — هذه المسالة [تشغيل النساء] لم تدرسها بصورة عامة ؟ — لقد اجلت النظر فيما حولي، وكل ما استطيع قوله هو انني لم اجد في اي مكان ما يمكن ان يقارن به عمل النساء في مناجم الفحم ... انه عمل رجال ، ورجال اقوياء (رقم ١٧٥٣ ، ١٧٩٣ ، ١٧٩٤) . والفئة الفضلى بين عمال المناجم ، تلك التي

تسعى الى الارتقاء واكتساب الصفات الانسانية ، بدلا من ان تجد سندا لها لدى نسائها ، ترى نفسها على العكس مدفوعة من قبلهن على الدوام الى اسفل (١٨٠٨) » .

وبعد سيل آخر من الاسئلة التي يوجهها السادة البورجوازيون كيفما اتفق ، يتضح اخيرا سر عطف هؤلاء على الارامل والاسر الفقيرة ، الخ :

«يكلف رب العمل بعض السادة بأمر المراقبة ، وينتهج هؤلاء ، اكتسابا لرضاه ، سياسة تنفيذ الاعمال باكبر قدر ممكن من التوفير ؛ فلا تحصل الفتيات المستخدمات الا على شلن ، الى شلن و٦ دراهم يوميا ، بينما كان يتوجب اعطاء الرجل شلنين و٦ دراهم (رقم ١٨١٦) » .

«راس المال ـ الكتاب الاول»

اكتظاظ المساكن والفجور

ان جميع اولئك الذين يتمسكون بحشمة الحياة واخلاقيتها ينظرون بأعمق ما يمكن من الاسى الى ازدحام مساكن العمال الزراعيين ... ولقد قام الدليل الف مرة بعد الف مرة على ان التجمع المزدحم ، الذي ينشط الى تلك الدرجة المرتفعة انتشار الامراض السارية ، يساهم كذلك ، بالمقدار نفسه ، في توليد الامراض العادية . واولئك الذين فضحوا هذه الحالة لم يسكتوا عن مصيبة اكبر ايضا . ففي حين كانت مهمتهم [واضعي التقارير] مقتصرة على تمحيص الجانب الصحي ، رأوا انفسهم شبه مرغمين على ان يعالجوا ايضا الجوانب الاخرى من المسالة ،

بإثباتهم بالوقائع ان البالغين من الجنسين ، سواء المتزوجون منهم او غير المتزوجين ، يكونون في غالب الاحيان مكدسين كيفما اتفق في غرف نوم ضيقة . وقد عملوا على توليد الاقتناع بأنه في أمثال هذه الظروف تنتهك جميع مشاعر الحياء والحشمة على النحو الاكثر فظاظة ، وان كل شعور اخلاقي يكون مخنوقا حتما (١) .

---

١ ـ «ان منظر المتزوجين من الشبان والشابات لا ينطوي على شيء من الفضيلة بالنسبة الى الاخوة والاخوات البالغين الذين ينامون في الغرفة نفسها ؛ وعلى الرغم من انه يتعذر تسجيل هذه الضروب من الامثلة ، فثمة عدد كاف من الوقائع لتبرير الملاحظة بأن شرورا كبرى ، بل الموت في كثير من الاحيان ، تكون من نصيب النساء اللواتي يقترفن اثم حب المحارم» (الدكتور هنتر ـ المرجع الآنف الذكر ـ ص ١٣٧) . ويتحدث واحد من مستخدمي الشرطة الريفية ، وكان عمل مخبرا لسنوات عديدة في اسوأ حانات لندن ، على النحو التالي عن فتيات قريته : «ان تهتكهن المريع في اقتى أعمارهن وخلاعتهن وفجورهن تتجاوز اسوأ ما رأيته في لندن طوال مدة خدمتي ... ان البالغين من الشبان والشابات ، والآباء والامهات ، هؤلاء جميعا يعيشون كالخنازير وينامون معا في غرفة واحدة» .

فردريك انجلز

الاخلاق والواقع الطبقي

يشكل الشطط الجنسي مع الشطط في السكر واحدة من الرذائل الرئيسية لدى الكثير من العمال الانكليز . وهذه بدورها نتيجة محتومة وضرورة لا مهرب منها لوضع طبقة متروكة لنفسها ، من دون ان تتوفر لها الوسائل لاستعمال هذه الحرية على نحو مناسب . ان البورجوازية لم تترك لها الا تينك المتعتين ، بينما ارهقت كاهلها بشتى ضروب العذاب والشقاء : وعاقبة ذلك ان العمال يركزون كل حميتهم على تينك الملذتين ويتعاطونهما بإسراف وشطط وذلك ليتمتعوا بقدر من الحياة . وحين يوضع الناس في وضع لا يمكن ان يصلح الا للحيوان ، فلا يبقى امامهم غير ان يتمردوا او يسقطوا في الحيوانية . ولئن تكن البورجوازية ، ناهيك عن ذلك ، تساهم بنفسها مساهمة مباشرة ، وبقسط لا يستهان به ، في انتشار البغاء ـ فكم من

الـ ٤٠٠٠٠ مومس اللائي يملأن كل مساء شوارع لندن يعشن من افضال البورجوازية الفاضلة؟ وكم منهن من كان إغواء البورجوازي لهن السبب الذي يضطرهن اليوم الى عرض أجسادهن على عابر السبيل كي يتدبرن امر معيشتهن ؟ ــ فان البورجوازية هي أقل الناس حقا في لوم الطبقة العاملة على فظاظتها الجنسية .

ترتد اخطاء العمال جميعها اصلا الى الشطط في السعي وراء المتعة ، والى قلة التبصر والخضوع للنظام الاجتماعي ، وبمختصر القول ، الى العجز عن التضحية باللذة الآنية في سبيل مكسب ابعد مدى . ولكن انى لنا ان ندهش لذلك ؟ فالطبقة التي لا تستطيع ، مقابل عمل مضنك ، ان تحصل الا على النزر اليسير من الاشياء وإلا على المتع المادية فحسب ، الا يتوجب عليها ان ترمي بنفسها خبط عشواء على تلك الملذات ؟ الطبقة التي لا يهتم احد بتثقيفها ، الطبقة الخاضعة لجميع المصادفات الممكنة، الجاهلة بأمان الحياة ، ماذا يمكن ان يكون دافعها وأين يمكن ان تكمن مصلحتها في ان تكون متبصرة وفي ان تحيا حياة «رصينة»، وبدل ان تستفيد من الفرصة السانحة ، في ان تفكر بمتعة بعيدة وغير مؤكدة بالمرة **بالنسبة اليها** وبالنسبة الى وضعها الذي يتبدل ويتقلب بلا انقطاع ؟ الطبقة المرغمة على تحمل جميع محاذير النظام الاجتماعي من دون ان تستفيد من مزاياه ، الطبقة التي لا يبدو لها هذا النظام الاجتماعي الا معاديا ، أهي التي يطلب اليها ايضا ان تحترم هذا النظام الاجتماعي ؟ هذا ، وايم الحق ، لكثير. لكن الطبقة العاملة ، ما دام هذا النظام الاجتماعي قائما ، لن تستطيع الافلات من طوقه ؛ فلو ثار عليه الشغيل الفرد لجلب على نفسه بنفسه أفدح الضرر . ومن ذلك ان النظام الاجتماعي يجعل حياة الاسرة شبه مستحيلة بالنسبة الى الشغيل ؛ مسكن قذر غير قابل للسكنى ، لا يكاد يصلح الا ليكون ملجأ ليليا ، رديء الاثاث ، غير محمي في اكثر الاحيان من المطر وغير مدفأ ، وهواء فاسد في حجرة مكتظة بساكنيها لا تسمح بحياة بيتية ؛ الرجل

يعمل طيلة النهار ، وربما ايضا الزوجة وكبار الاولاد ، وجميعهم في اماكن متفرقة ، فلا يشاهد بعضهم بعضا الا صبيحة وعشية ـ اضف الى ذلك الاغراء المتواصل بشرب الكحول ؛ فكيف يراد ان يكون ثمة وجود للحياة العائلية ؟ ومع ذلك لا يستطيع العامل افلاتا من الاسرة ، ولا محيص له عن العيش بين ظهراني الاسرة ؛ وينجم عن ذلك باستمرار منازعات عائلية ومشاحنات بيتية تترك في الزوجين كما في الاولاد تأثيرا مفسدا للاخلاق الى اقصى درجة . واهمال الواجبات البيتية كافة ، وبخاصة تجاه الاولاد ، شائع للغاية في اوساط العمال الانكليز ، وشيوعه متأتٍ من المؤسسات الاجتماعية القائمة . ان الاولاد الذين ينشؤون تلك التنشئة الوحشية ، في جو مفسد للاخلاق الى حد لا يتصور ، ومنه يتحدر في غالب الاحيان الاهل انفسهم ، كيف يمكن ان يجدوا طريقهم فيما بعد الى رهافة الفكر الاخلاقية ؟ ان مطالب البورجوازي ، الراضي عن نفسه ، من العامل لتتجاوز ، وايم الحق ، في سذاجتها كل حد .

«وضع الطبقة الكادحة في انكلترا»

الامومة المستلبة

تتحدث **المانشستر غارديان** ، في كل عدد من اعدادها ، عن حالة او اكثر من حالات الحروق تلك . واما ان النسبة العامة لوفيات الاطفال في اول العمر تتزايد بسبب عمل الامهات ، فهذا امر بدهي ، والوقائع شاهدة عليه . فالنساء يرجعن الى المعمل في كثير من الاحيان في اليوم الثالث او الرابع للولادة ، هاجرات بالطبع اطفالهن الرضع ؛ ويتوجب عليهن في ساعات الحرية ان يهرعن الى منازلهن ليرضعن الطفل ، وليتناولن هن انفسهن

بالمناسبة شيئا ما ـ فلنتصور اي إرضاع هذا في مثل تلـــك الشروط ! ويقدم لنا اللورد آشلي تصريحات بعـض العاملات : م . ه ، في العشرين من العمر ، لها طفلان ، ثانيهما ما يزال رضيعا وبحراسة الآخر الذي يكبره سنا بقليل؛ تذهب الام بعيد الساعة الخامسة صباحا الى المعمل ، وتعود في الثامنة مساء ؛ وطوال اليوم يسيل الحليب من ثدييها فيلوث ثيابها . ه . و ، لها ثلاثة اطفال ، تغادر بيتها في الساعة الخامسة من صباح يوم الاثنين ولا ترجع الا في مساء السبت ، في الساعة السابعة ؛ وتنهمك عندئذ في تدبير شؤون اطفالها فلا يمكنها ان تلوذ بالفراش قبل الثالثة فجرا . وكثيرا ما يبللها المطر حتى العظام ، وتضطر الى العمل في تلك الحالة . «ثدياي يؤلمانني الما فظيعا ، والحليب يسيل منهما» . واستعمال المنومات لإلزام الاولاد جانب الهـدوء يلقى تشجيعا كثيرا من ذلك النظام البشع ، ويعرف ذيوعا فائقـا في المقاطعات الصناعية ؛ ويقدر الدكتور جونز ، المفتش الاعلى لمقاطعة مانشستر ، ان هذه العادة هي العلة الرئيسية للكثير من حالات الوفاة تشنجا . وعمل المراة في المعمل يحل بصورة نهائية ـ هذا شيء محتوم ـ الاسرة ، وتترتب على هذا الانحـــلال بالنسبة الى المجتمع المعاصر القائم علـــى اساس الاسرة عواقب وخيمة للغاية من وجهة النظر الاخلاقية ، سواء أبالنسبة الـــى الازواج ام بالنسبة الى الاولاد . ان الام التي لا يسنح لها الوقت للاهتمام بطفلها ولإحاطته في السنوات الاولى بالعناية الضرورية والاولية ؛ الام التي لا يكاد يتهيأ لها ان تشاهد طفلها ، لا يمكن ان تكون اماً بالنسبة اليه : فمن المحتم ان تغدو لامبالية ، فتعامله بلا حب ، ولا عناية ، وكأنه طفل غريب . والاطفال الذين يترعرعون في شروط كهذه تخسرهم الاسرة فيما بعد خسارة تامة ؛ فلـــن يكون في مستطاعهم ابدا ان يحسوا بأنهم بين ذويهم في الاسرة التي سيؤسسونها بأنفسهم ، لانهم لم يعرفوا الا العزلة فـــي

حياتهم ، ولهذا السبب نراهم يساهمون بالضرورة في تدمير الاسرة ـ وهو تدمير عام بالاصل ـ لدى العمال .

«وضع الطبقة الكادحة في انكلترا»

انحلال الاسرة

ان انحلالا مماثلا للاسرة ينجم عن عمل الاولاد . فحين يتوصلون الى ان يكسبوا اكثر مما يتكلف اهلهم لإعالتهم ، يبدؤون باعطاء اهلهم قدرا من المال مقابل معيشتهم وسكناهم ، وينفقون الباقي على انفسهم . وهذا ما يحدث غالبا حين يبلغون الرابعة عشرة او الخامسة عشرة (باوير : **تقرير عن ليدز** ، وتوفنل : **تقرير عن مانشستر** ، ص ١٧ ، الخ ... في التقرير عن المعمل). وبكلمة واحدة ، ينعتق الاولاد ويعتبرون البيت العائلي فندقا ، وغالبا ما يقايضونه بآخر حين لا يعجبهم .

في العديد من الحالات لا تتهدم الحياة العائلية بتمامها نتيجة لعمل المراة ، وانما تقلب راسا على عقب . فالمراة هي التي تطعم الاسرة ، بينما يلازم الرجل البيت ويحرس الاطفال ويكنس الغرف ويقوم بالطهي . واشباه هذه الحالة كثيرة ، بل كثيرة جدا : ففي مانشستر وحدها يمكن احصاء مئات من الرجال ممن قضي عليهم بأعمال بيتية مماثلة . وبوسعنا ان نتخيل اي ثورة مشروعة يحدثها هذا الخصي الحقيقي بين العمال (١) ، وما ينجم عنه من انقلاب في جميع العلاقات العائلية ، بينما تلبث العلاقات

---

١ ـ منطق انجلز الشاب يبدو هنا وفي مواضع اخرى «رجاليا» ، وبالتالي رجعيا ، وقد عدله في نصوصه اللاحقة كما سنرى . «م»

الاجتماعية الاخرى ثابتة كما هي .

... لئن انحلت اسرة المجتمع الراهن ، فاننا نرى من هذا الانحلال بالذات ان ليس الحب العائلي هو الذي كان الرابـــط الصائن للاسرة ، وانما المصلحة الخاصة المحافظ عليها بصـــورة محتمة في شيوع الاملاك الزائف ذاك بين الزوجين .

«وضع الطبقة الكادحة في انكلترا»

العواقب الخلقية لعمل النساء

بيد ان ذلك كله ليس الا اهون الاشياء . فالعواقب الخلقية لعمل النساء في المعامل اشد خطورة بكثير . فاجتماع الجنسين ومن جميع الاعمار في محترف واحد ، وما ينجم عنه من تخالط محتم ، وتكدس كائنات لم يقيض لها اي تربية فكرية او اخلاقية في مكان ضيق ، ان ذلك كله لا يفترض فيه ان يترك اثرا طيبا في تطور الخلق النسوي . ولا يستطيع صاحب المعمل ان يتدخل ، حتى لو فتح عينيه ، الا في حالة الفضيحة السافرة ؛ ولا تتاح له الفرصة ليعرف ، ولا بالتالي ليمنع ، التاثير الدائم ، وان الاقل بروزا ولفتا للانظار ، للطبائع الماجنة على الطبائع الاشد تمسكـــا بأهداب الاخلاق ، وبخاصة على الشباب . والحال ان ذلك التاثير هو الاشد ايلاء وخبثا . وقد وصفت اللغة الدارجة في المعامل، من اكثر من وجه ، من قبل مفوضي المعامل في عام ١٨٣٣ بانها «لا محتشمة» و«سيئة» و«قذرة» ، الخ (كوبل ، ص ٣٥ ، ٣٧ ، وفي مواضع اخرى كثيرة) . والوضع بصورته المصغرة هو عين ما نشهده بالصورة المكبرة في المدن الكبيرة . وتمركز السكان له نفس النتائج على الناس ، سواء أتم في مدينة كبيرة ام في معمل اصغر حجما . وان كان المعمل صغر حجما ، يكن الاختلاط اكبر،

والعلاقات اكثر قسرا . والعواقب المترتبة على ذلك لا تتاخر عن الظهور . يقول شاهد من لايشستر انه يحبذ ان يرى بناتـــه يتسولن على ان يذهبن الى المعمل : فالمعامل جحور جحيـــم حقيقية ، وتدين معظم موسسات المدينة للمعامل بما آل اليـــه مصيرهن (باوير ، ص ٨) ؛ ولا يتردد شاهد آخر من مانشستر «في التوكيد ان ثلاثة ارباع العاملات الصبايا اللائي تتـــراوح اعمارهن بين ١٤ و٢٠ عاما قد فقدن بكارتهن» (كويل ، ص ٥٧). ويعرب المفوض كويل عن رايه بأن اخلاقية عاملات المصانع ادنى بكثير من المعدل المتوسط لاخلاقية الطبقة العاملـــة (ص ٨٢) ، ويقول الدكتور هاوكنز (ص ٤) :

«لا نستطيع بيسر ان نختزل الى ارقام التقديرات الواجب القيام بها بصدد الاخلاقية الجنسية ، لكـن اذا صدقت ملاحظاتي الخاصة والراي العام لاولئـك الذين تحادثت واياهم ، وكذلك كل فحوى الشهادات التي قدمت الي ، فان الفكرة التي يجب ان نكوّنهـا عن التاثير الذي تمارسه حياة المصنع على اخلاقيـــة الشابات من النساء مثبطة للعزيمة الى ابعد حد» .

من المفهوم على كل حال ان العمل في المعامل ، مثله مثل اي عمل آخر ، واكثر من اي عمل آخر ، يقلد رب العمل الحق في ان يكون القاطف الاول Jus primœ noctis . وصاحب العمل هو ، من هذا المنظور ايضا ، سيد جسد عاملاته ومفاتنهـــن . والطرد عقوبة قوية بما فيه الكفاية في تسع حالات من اصل عشر، بل في تسع وتسعين حالة من اصل مئة ، للتغلب على وساوس الضمير لدى فتيات ليس عندهن بالاصل استعداد كبير للعفة . واذا كان رب العمل سافلا ــ وتقرير اللجنة يذكر حالات عديدة ــ كان معمله في الوقت نفسه حريمه ؛ واذا كان اصحاب المعامل لا يستعملون جميعهم حقهم ، فهذا لا يغير شيئا من الوضع بالنسبة

الى الفتيات . وفي اول عهد الصناعة المعملية ، يوم كان جميع اصحاب المعامل تقريبا محدثي نعمة بلا تربية وبلا مراعاة للرياء الاجتماعي ، ما حال رادع بينهم وبين ممارسة حق «كسبوه عن حق» .

«وضع الطبقة الكادحة في انكلترا»

العاملات وزينة سيدات البورجوازية

انه لمن مفارقات الامور ان يرتبط صنع السلع التي تستعمل لزينة **سيدات البورجوازية** باوخم العواقب على صحة الاشخاص الذين يعملون في مضماره . سبق لنا ان راينا ذلك في صنع المخرمات ، ولدينا الان في مخازن بيع الملابس اللندنية برهان جديد على صحة ذلك القول . فهذه المؤسسات تستخدم عددا كبيرا من الصبايا ـ يقال ان اجمالي عددهن يبلغ ١٥٠٠٠ ـ اللائي يسكن ويأكلن في البيوتات ، وغالبيتهن اصلهن من الريف ، وهن على هذه الحال مسترقات تماما لأرباب العمل . وفي عز الموسم، الذي يدوم حوالي اربعة شهور من السنة ، يبلغ دوام العمل ، حتى في افضل البيوتات ، خمس عشرة ساعة . واذا طرات اعمال ملحة ، فثماني عشرة ساعة ؛ بيد ان معظم هذه البيوتات تعمل خلال تلك الفترة بدون اي تحديد للزمن ، بحيث لا يبقى للفتيات سوى ست ساعات ، وفي كثير من الاحيان ثلاث او اربع ساعات فقط ، بل احيانا ساعتين لا غير في الاربع والعشرين ساعة كي ينلن قسطا من الراحة والنوم ، وهن يعملن ما بين تسع عشرة ساعة الى اثنتين وعشرين ساعة في اليوم ، هذا اذا لم يرغمن ـ كما يحدث غالبا ـ على تمضية الليل كله في الشغل! والحد الوحيد لعملهن هو العجز الجسماني المطلق عن ضم الابرة

لدقيقة واحدة اخرى . وقد حصلت حالات كانت فيها تلك المخلوقات البائسة يمكثن تسعة ايام متوالية من دون ان يخلعن عنهن ملابسهن ، ولا يستطعن الاخلاد الى الراحة الا لبضع لحظات من هنا وهناك على فراش يقدم لهن عليه طعامهن وهو مقطع قطعا صغيرة حتى يمكنهن ابتلاعه في أقل زمن ممكن ؛ بمختصر الكلام، ان اولئك الفتيات المنكودات الحظ ، الشبيهات بالإماء ، محكوم عليهن ، تحت التهديد المعنوي لسوط الخوف من التسريح، بعمل مضنك ومتواصل الى حد يعجز عن القيام بمثله الرجل القوي البنية ، فكم بالاحرى الفتيات الصغيرات الرقيقات العود اللائي تتراوح اعمارهن بين الرابعة عشرة والعشرين . أضف الى ذلك ان الجو الخانق في المشاغل ، وكذلك في المراقد ، والوضعية المنحنية ، والطعام الرديء والعسير الهضم في غالب الاحوال — هذا كله ، ولكن في المقام الاول العمل المستديم والحرمان من الهواء الطلق ، يترك اوخم العواقب على صحة الفتيات . وسرعان ما يظهر للعيان التعب والانهاك ، والهزال ، وفقدان الشهية ، واوجاع الكتف والظهر والخواصر ، ولكن على الاخص اوجاع الراس . ويعقب ذلك ميل العمود الفقري ، وارتفاع الاكتاف وتشوهها ، والنحول ، والعيون المنتفخة الدامعة التي تخز المآ ثم لا تلبث ان تغدو حسيرة ، والسعال ، والربو ، والنفَس القصير ، وكذلك سائر امراض النمو النسوي . وفي الكثير من الحالات تصاب العيون بوجع جديد فيضربها عمى عضال لا برء منه ، واختلال كامل في نظام البصر ، واذا بقيت الرؤية صالحة بما فيه الكفاية لمتابعة العمل ، فان السل هو الذي يضع في غالب الاحوال نهاية لحياة صانعات القبعات القصيرة والحزينة . وحتى اللواتي يهجرن العمل منهن في زمن مبكر ، يعانين من تدهور دائم في الصحة ومن انهيار في قوة البنيان ؛ وعند زواجهن بوجه خاص يبرز هزالهن وعاهاتهن ، فلا ينجبن الا

اطفالا مرضى . وقد اجمع جميع الاطباء ، الذين استجوبهم بهذا الخصوص عضو لجنة عمل الاولاد ، على التصريح بأنه مـــن المستحيل تصور طرز من الحياة ينزع ، اكثر من ذلك الطرز ، الى تدمير الصحة والتسبب في موت مبكر .

«وضع الطبقة الكادحة في انكلترا»

النظام الشيوعي والاسرة

السؤال ٢١ ـ **ما موقف النظام الشيوعي من الاسرة ؟**

جواب ـ سوف يحول العلاقات بين الجنسين الى مجـــرد علاقات شخصية لا تعني احدا سوى الاشخاص المرتبطين بها ، ولا يكون من حق المجتمع ان يتدخل فيها . ويتحقق هذا التحول يوم يلغي النظام الشيوعي الملكية الفردية ويشرع بتربية الاطفـال تربية جماعية ، ويقوض بالتالي الدعامتين الرئيسيتين لمؤسسة الزواج الحالية : تبعية المراة للرجل وتبعية الاطفال للاهل . هذا هو الجواب على كل تخرصات الكتبـــة الاخلاقيين البورجوازيين بصدد مشاع النساء الذين يزعمون ان الشيوعيين يريدون العمل به . ان مشاع النساء ظاهرة لا يعرفها سوى المجتمع البورجوازي وحده وتتحقق اليوم عن طريق البغاء . غير ان البغاء يرتكز الى الملكية الفردية ، وبزوالها يزول . وعليه ، ان النظام الشيوعي لن ياخذ بمشاع النساء ، بل على العكس سوف يلغيه .

«مبادىء الشيوعية»

فورييه وتحرر النساء

يحاسب فورييه البورجوازية ، وانبياءها المفعمين حماسة قبل الثورة ، ومداحيها المغرضين بعدها ، استنادا الى اقوالهم بالذات . انه يزيح النقاب بلا شفقة عن البؤس المادي والمعنوي للعالم البورجوازي ، ويجابهه بالوعود البراقة لفلاسفة الانوار عن المجتمع الذي لن يسود فيه الا العقل وحده ، وعن الحضارة التي تحمل في ثناياها السعادة للجميع ، وعن الكمال اللامحدود للانسان ؛ كما يجابهه بالتصريحات الوردية للايديولوجيين ، معاصريه ؛ ويبين كيف ان انشاء الجمل المفخم والطنان يقابله واقع يدعو للرثاء ؛ ويصب سخريته اللاذعة على افلاس العبارة هذا الذي لا علاج له . وليس فورييه ناقدا فحسب ؛ فطبيعته الميالة دوما الى الدعابة تجعل منه هجّاء ، بل واحدا من اعظم الهجائين في سائر الازمان . انه يصور بقدر مساوٍ من البراعة والتفكه المضاربات المجنونة التي ازدهرت فوق حطام الثورة الفرنسية ، والروح الحانوتية التي طفت على التجارة في ذلك الزمان . واعظم جلالا من ذلك نقده للمظهر الذي اسبغته البورجوازية على العلاقات الجنسية ، ولوضع المراة في المجتمع البورجوازي . ولقد كان اول من اعلن ان درجة انعتاق المراة في مجتمع بعينه هي المقياس الطبيعي للانعتاق العام .

«ثورة الهر يوجين دهرينغ في العلوم»

الاسرة وتحولها في رأي دهرينغ

كما كان يخيل للهر دهرينغ ان في الامكان استبدال نمط الانتاج الراسمالي بالنمط الاجتماعي من دون اعادة النظر في

الانتاج نفسه ، كذلك يتصور هنا انه من الممكن سلخ الاسرة البورجوازية الحديثة عن كل اساسها الاقتصادي من دون تغيير شكلها كله في الوقت نفسه . فهذا الشكل في نظره ثابت ثباتا عظيما حتى انه يجعل من «القانون الروماني القديم» ، وان اضفى عليه شكلا «محسنّا» ، القانون الابدي للاسرة ، ولا يسعه ان يتصور أسرة ما الا «وارثة» ، اي وحدة مالكة . وبصدد هذه النقطة يتخطى الطوباويون دهرينغ بمسافة بعيدة . ففي نظرهم، كان لا بد ان يؤدي التشريك الحر للبشر ، وتحويل العمل المنزلي الخاص الى صناعة عامة ، الى تشريك تربية الاحداث ، وبالتالي الى علاقة متبادلة حرة فعلا بين اعضاء الاسرة . ناهيك عن ذلك، كان قد سبق لماركس ان أوضح :

«ان الصناعة الكبرى ، بفضل الدور الحاسم الذي تقلده للنساء والاولاد ، خارج دائرة البيت ، في عمليات انتاجية منظمة اجتماعيا، تخلق اساسا اقتصاديا جديدا سوف ينهض عليه شكل اسمى للاسرة وللعلاقات بين الجنسين» .

«ثورة الهر يوجين دهرينغ في العلوم»

المادية التاريخية والاسرة

ان العامل الحاسم في التاريخ هو في التحليل الاخير ، وبحسب التصور المادي ، انتاج واعادة انتاج الحياة المباشرة . لكن هذا الانتاج هو بدوره ذو طبيعة مزدوجة . من جهة ، انتاج وسائل الحياة : سلع التغذية ، الالبسة ، المساكن ، والادوات الضرورية لذلك ؛ ومن الجهة الثانية ، انتاج الانسان نفسه ،

مواصلة النوع . والمؤسسات الاجتماعية التي يعيش في ظلها اهل عصر تاريخي معين وبلد معين تتحدد بمظهرين من الانتاج : درجة تطور العمل من جهة ، ودرجة تطور الاسرة من جهة ثانية. فكلما كان العمل أقل تطورا ، وكانت كمية منتجاته ، وبالتالي ثروة المجتمع ، أقل حجما ، بدت روابط الدم وكأنها تسيطر بمزيد من القوة على النظام الاجتماعي . ولكن في اطار هذه البنية الاجتماعية القائمة على روابط الدم تتطور انتاجية العمل اكثر فاكثر ، وتتطور معها الملكية الخاصة ، والتبادل ، وتفاوت الثروات ، وامكانية الاستفادة من قوة عمل الغير ، ويتطور بالتالي اساس التناقضات الطبقية : العناصر الاجتماعية الجديدة التي تحاول على مر الاجيال ان تكيف التنظيم الاجتماعي القديم مع الظروف الجديدة ، الى ان يؤدي التنافر بين ذلك التنظيم وهذه الظروف الى انقلاب تام . ان المجتمع القديم ، القائم على روابط الدم ، ينفجر بفعل تصادم الطبقات الاجتماعية المتشكلة حديثا ، فيحل مكانه مجتمع جديد ، متركز في الدولة ، لا تتألف تشعباته كما في السابق من اتحادات على اساس روابط الدم ، وانما من تجمعات اقليمية ، مجتمع يخضع فيه نظام الاسرة خضوعا تاما لنظام الملكية ، وتتطور فيه منذ ذلك الحين فصاعدا بكل حرية التناقضات الطبقية والصراعات الطبقية التي تشكل مضمون كل التاريخ **المكتوب** حتى يومنا هذا .

«اصل الاسرة والملكية الخاصة والدولة ـ مقدمة الطبعة الاولى» .

بداية التاريخ للاسرة

قبل بداية الستينات لم يكن من الممكن ان يتحدث المرء عن

تاريخ للاسرة . فعلم التاريخ في هذا المضمار كان لا يزال خاضعا بعد بكليته لتأثير اسفار موسى الخمسة (١) . فشكـــل الاسرة البطريركي ، الموصوف في تلك الاسفار بإسهاب وتفصيل اكثر مما في اي مكان آخر ، لم يكن يعتبر اقدم شكل فحسب ، بل اعتبر ايضا ــ باستثناء تعدد الزوجات ــ هو عينه شكل الاسرة البورجوازية المعاصرة ، بحيث لا تكون الاسرة قد عرفت على هذا الاساس اي تطور تاريخي . واكثر ما كانوا يجيزونه هو احتمال وجود مرحلة من العلاقات الجنسية غير الخاضعة لأي نظـام او ضابط في الازمنة البدائية . صحيح انهم كانوا يعرفون ايضا ، علاوة على الزواج الاحادي ، تعدد الزوجات الشرقي وتعـــدد الازواج الهندي ــ التيبتي ، ولكن كان من المستحيل ترتيب هذه الاشكال الثلاثة في تعاقب تاريخي ، فكانت تصطف بجانب بعضها بعضا بدون اي رابط بينها . صحيح ان النسب عند بعض شعوب العالم القديم ، كما لدى الشعوب المتوحشة في العصر الحاضر ، لم يكن الى الاب ، وانما الى الام ، وان ذرية المراة بالتالي كانت هي وحدها التي تعتبر شرعية ، وصحيح ان الزواج محظور عند كثير من الشعوب المعاصرة داخل فئات معينة ، متفاوتة الاهمية من حيث الحجم ، وان لم تتناولها الدراسة بعد عن كثب ، وان هذه العادة منتشرة في جميع ارجاء العالم ــ صحيح ان هـذه الوقائع كانت معروفة كلها ، وان الامثلة عليها كانت تتراكم اكثر فاكثر ، ولكن احدا ما كان يعرف كيف يتناولها ويدرسها ، وحتى في كتاب ا. ب. تايلـــور : **ابحاث في تاريخ البشرية البدائي** (١٨٦٥) لم تظهر الا بصفة «عادات غريبة» ، مثلها في ذلك مثل عادة تحريم بعض المتوحشين لمس حطبة مشتعلة باداة حديدية ،

---

١ ــ اول خمسة اسفار من التوراة . «م»

وغير ذلك من الترهات الدينية .

ان دراسة تاريخ الاسرة تبدأ منذ عام ١٨٦١ ، عندما صدر مؤلف باخوفن **حق الام** (١) . فقد تقدم كاتبه بالموضوعات التالية : ١ ــ في البدء عاشت البشرية في علاقات جنسية غير خاضعة لأي نظام او ضابط ، اطلق عليها اسم «الهيتيرية» غير الموفق ؛ ٢ ــ لما كانت هذه العلاقات لا تسمح بالتثبت من الابوة، لذا لا يمكن اعتماد النسب الا على اساس الخط النسوي ــ بموجب حق الام ــ كما كانت الحال في البدء عند جميع شعوب الازمنة الغابرة ؛ ٣ ــ من جراء ذلك تمتعت النساء ، بوصفهن امهات ، بوصفهن المنجبات الاكيدات الوحيدات للجيل الفتي ، بقدر كبير من الاحترام والنفوذ بلغ ، برأي باخوفن ، حد الجينوقراطية (٢) التامة ؛ ٤ ــ ان الانتقال الى الزواج الزوجي ، الذي تخص فيه المرأة رجلا واحدا، كان ينطوي على انتهاك لوصية دينية قديمة (اي ، في الواقع ، على انتهاك للحق التقليدي للرجال الآخرين في تلك المرأة عينها) ، انتهاك كان ينبغي التكفير عنه ، او كان ينبغي على المرأة ان تشتري السماح لها بمضاجعتها رجالا آخرين لاجل محدد .

«اصل الاسرة والملكية الخاصة والدولة ــ مقدمة الطبعة الالمانية الرابعة» .

---

١ ــ «حق الام . بحث في حكم النساء في العالم القديم على اساس طبيعته الدينية والحقوقية» . شتوتغارت ١٨٦١ . «م»

٢ ــ اي حكم النساء . «م»

فضل باخوفن وحدوده

واضح ان مثل ذلك التصور ، الذي يقول ان الدين يقـــوم بالدور الفاصل في تاريخ العالم ، يؤدي في آخر المطاف الـــى الصوفية الصرف . ولهذا كان استيعاب كتاب باخوفن الضخـم الكبير القطع من اوله الى آخره عملا شاقا وغير مثمر كثيرا فـي معظم الاحوال . ولكن هذا لا يقلل من منزلة باخوفن كمجدد ؛ فهو اول من استبدل الصيغة الجوفاء عن حالة بدائية مجهولـة سادت فيها علاقات جنسية غير خاضعة لاي نظام او ضابط ، بالبرهان على وجود شواهد كثيرة في ادب العهد القديم تؤكد ان الاغريق والآسيويين قد عرفوا بالفعل قبل الزواج الزوجي حالة لم يكن فيها الرجل وحده يقيم علاقات جنسية مع عدة نساء ، بل كانت المراة فيها ايضا تقيم علاقات جنسية مع عدة رجال ، من دون ان يشكل ذلك خرقا للاعراف ؛ واثبت باخوفن ايضا ان هذه العادة لم تختف من دون ان تترك آثارا تجلت في التخلي المؤقت عن المراة للرجال الآخرين بحيث تشتري بمضاجعتهم حقها في زواج زوجي ؛ واثبت ان النسب ما كان يمكن بالتالي ان يعتمد في البداية الا على الخط النسوي ، اي من ام الـــى ام ؛ وان الاخذ بالخط النسوي دون غيره في النسب ظل ساري المفعول لأمد طويل من الزمن في عهد الزواج الزوجي جنبا الى جنب مع الابوة التي صارت مضمونة فيه ، او على الاقل معترفا بها بوجه عام ؛ وان وضع الامهات الاولي ذاك بوصفهن الوالدات الاكيدات الوحيدات لاولادهن قد كفل لهن ، وللنساء على العموم في الوقت نفسه ، منزلة اجتماعية عالية لم يشغلن مثلها قـــط بعدئذ . صحيح ان باخوفن لم يصغ هذه الموضوعات بمثل هذا الوضوح ـ فقد اعاقته عن ذلك نظرته الصوفية الى العالم . ولكنه قدم عليها

البرهان ، وكان ذلك في عام ١٨٦١ بمثابة ثورة كاملة .

«أصل الاسرة والملكية الخاصـــة والدولة ـ مقدمة الطبعة الالمانيـة الرابعة» .

عادة واد البنات

يتساءل ماك لينان (١) : من اين جاءت عادة الزواج الخارجي تلك ؟ ان الامر لا يمت بصلة في رايه الى مفهوم قرابة العصب الواحد وحب المحارم ، لان هذه تصورات لم تتطور في تقديره الا في زمن متأخر جدا . بيد انه من الممكن ان يكـــون الزواج الخارجي ناجما عن عادة دارجة جدا لدى المتوحشين ، عادة قتل الاناث من الاطفال فور ولادتهن . فمن جراء هذه العادة يظهر في كل قبيلة بمفردها فيض من الرجال تكون عاقبته الضرورية الاولى تشارك عدة رجال في امتلاك امراة واحدة : تعدد الازواج . ومن هنا ينجم ، برأي ماك لينان ، ان ام الولد كانت معروفة بينما كان ابوه غير معروف ، ولهذا لم يكن يجري حساب القرابة الا تبعا

---

١ ـ ج. ف. ماك لينان (١٨٢٧ ـ ١٨٨١) : حقوقي ومؤرخ اسكوتلندي ، له ابحاث في تاريخ الزواج والاسرة ، اعتبره انجلز الوريث الاقرب الـــى باخوفن ، وان لم يضارعه خيالا جامحا وعبقرية صوفية . ومأثرة ماك لينان تمييزه لشكلين متباينين من الزواج : الزواج الداخلي ، وفيه لا يجوز للرجال ان يأخذوا نساء لهم الا من داخل جماعتهم باللات ، والزواج الخارجي ، وفيه يحرم الزواج بين اعضاء القبيلة الواحدة ولا يباح اخذ الزوجات ـ وكذلك الازواج ـ الا من قبائل اخرى . «م»

للخط النسوي ، لا تبعا لخط الذكور ـ الحق الاموي . اما العاقبة الثانية لنقص النساء داخل القبيلة ـ وهو نقص يخفف من وطأته تعدد الازواج ولكنه لا يزيله ـ فقد كانت الخطف الدائم والعنيف للنساء من قبائل اخرى .

«اصل الاسرة والملكية الخاصة والدولة ـ مقدمة الطبعة الالمانية الرابعة» .

اكتشاف مورغان التاريخي

ان اكتشاف مورغان (١) ذاك ، الذي يتعرف في العشيرة البدائية ، المنظمة بحسب الحق الاموي ، الطور السابق لطور العشيرة المنظمة بحسب الحق الابوي لدى الشعوب المتحضرة ، يتسم بالنسبة الى التاريخ البدائي بنفس القدر من الاهمية الذي تتسم به نظرة داروين في النشوء والارتقاء بالنسبة الى البيولوجيا ، ونظرية ماركس في فضل القيمة بالنسبة الى الاقتصاد السياسي .

«اصل الاسرة والملكية الخاصة والدولة ـ مقدمة الطبعة الالمانية الرابعة» .

---

١ ـ لويس هنري مورغان (١٨١٨ ـ ١٨٨١) : انثوغرافي اميركي ، مادي عفوي ، كتب انجلز «اصل الاسرة والملكية الخاصة والدولة» تعليقا على ابحاثه واكتشافاته ، وبخاصة كتابه «المجتمع القديم او مبحث في خطوط التقدم البشري من الوحشية عبر البربرية الى الحضارة» . «م»

الحيوان ليس مقياس الانسان
فـــي العلاقات الجنسية

في الآونة الاخيرة ، اصبح من الدارج إنكار ذلك الطـــور الاولي من الحياة الجنسية البشرية . وثمة رغبة في تحريـــر البشرية من ربقة ذلك «العار» (١) . ومن هنا كان الالحاح علـى عدم وجود اي برهان مباشر ، ولهذا ايضا يريد بعضهم الاستعانة بمثال بقية العالم الحيواني ؛ ففي هذا الميدان جمع لوتورنـــو (**تطور الزواج والاسرة** ، ١٨٨٨) وقائع كثيرة تبين ان العلاقـات الجنسية التي لا ينظمها اي ضابط هي علاقات موقوفة على درجة دنيا من تطور عالم الحيوان . بيد ان الاستنتاج الوحيد الـــذي يسعني استخلاصه من تلك الوقائع كافة هو انها لا تثبت شيئا البتة بالنسبة الى الانســـان والشروط البدائية لوجـــوده . فالسفاد (٢) الطويل الامد لدى الفقاريات تفسره بصورة كافيـــة اسباب فيزيولوجية : فعند الطيور مثلا تفسره حاجة الانثى الى الحماية اثناء فترة الحضن والترخيم ؛ اما امثلة الوفاء لاحاديـة الزواج كما تشاهد عند الطيور فلا تثبت شيئا فيما يتعلق بالبشر، لان البشر لا يتحدرون من الطيور . واذا كان الزواج الاحـــادي الصارم ذروة كل فضيلة ، فان قصب السبق في هذا المجـــال

---

١ ــ المقصود بهذا الطور الاولي «المخزي» هو الطور الجنسي البدائي الذي لم يكن فيه للعلاقات الجنسية من ضابط ، والذي كانت فيه كل امرأة ملكا لجميع الرجال ، وكان فيه كل رجل ملكا لجميع النساء ، وكان فيه الاولاد مشتركين . مورغان هو الذي اكد على وجود ذلك الطور . «م»

٢ ــ السفاد : جماع الحيوان . «م»

يعود بحق واستحقاق الى الدودة الوحيدة التي تملك في كل واحدة من حلقاتها او عقدها التي يتراوح عددها بين الخمسين والمئتين جهازا جنسيا مذكرا ومؤنثا كاملا ، والتي تقضي حياتها كلها في مضاجعة نفسها بنفسها في كل فص من فصوصها . اما اذا رجعنا الى الثدييات ، فاننا نجد عندها جميع اشكال الحياة الجنسية : الاختلاط بلا ضابط ، اشكالا مماثلة للزواج الجماعي، تعدد الزوجات ، الزواج الزوجي ؛ ولا ينقص عندها الا تعدد الازواج اذ لا تستطيع ان تمارسه الا كائنات بشرية . وحتى اقرب اقربائنا ، الرباعيات الايدي ، تقدم لنا جميع الاشكال الممكنة لجماع الذكور والاناث ؛ واذا حصرنا انفسنا ضمن نطاق اضيق، ولم نأخذ بالحسبان غير الانواع الاربعة من القرود الشبيهة بالانسان ، فان كل ما يستطيع لوتورنو ان يقوله لنا في هذا الصدد هو ان تلك القرود تأخذ تارة بأحادية الزواج ، وطورا بتعدد الزوجات ، بينما يزعم سوسور (١) ، كما ذكر جيرو طولون (٢) ، انها احادية الزواج . اما توكيدات وسترماك (٣) الحديثة العهد عن احادية الزواج لدى القرود الشبيهة بالانسان (**تاريخ الزواج البشري** ، لندن ١٨٩١) فبعيدة عن ان تكون ادلة وبراهين . وبمختصر الكلام ، تجبر المعلومات المتوفرة لوتورنو الفاضل النزيه على الاقرار بأنه «لا توجد ، مع ذلك، عند الثدييات

---

١ ـ هنري سوسور (١٨٢٩ ـ ١٩٠٥) : عالم حيوان سويسري «م»

٢ ـ الكسيس جيرو طولون : استاذ في التاريخ في جامعة جنيف ، مؤلف «اصول الاسرة والزواج» . جنيف ـ باريس ١٨٨٤ . «م»

٣ ـ ادوار الكسندر وسترماك (١٨٦٢ ـ ١٩٣٩) : عالم انثوغرافي واجتماعي فنلندي . «م»

اي صلة وثيقة بين درجة التطور العقلي وشكل العلاقات الجنسية » .

«اصل الاسرة والملكية الخاصة والدولة ـ الفصل الثاني»

تحريم حب المحارم

اذا كانت الخطوة المتقدمة الاولى في تنظيم الاسرة قد تلخصت في تحريم المعاشرة الجنسية بين الاهل والاولاد ، فقد تمثلت الخطوة المتقدمة الثانية في تحريمها بين الاخوة والاخوات . وقد كان التقدم الاخير ، بالنظر الى ازدياد نسبة التساوي في السن بين ذوي العلاقة ، اهم من الاول بما لا يقاس ، ولكنه كان اصعب منه ايضا . فهو لم يتحقق دفعة واحدة ، بل تدريجيا ، بادئا في ارجح الظن بتحريم المعاشرة الجنسية بين الاخوة والاخوات الاخياف (١) (اي من جانب الام فقط) ؛ وقد شمل هذا التحريم حالات منفردة اولا ، ثم صار تدريجيا هو القاعدة (في جزر هاواي كانت لا تزال هناك استثناءات للقاعدة حتى في قرننا هذا) ، لينتهي به المطاف الى تحريم الزواج حتى بين الاخوة والاخوات من عمود الحواشي ، اي، بحسب مصطلحاتنا الحديثة، بين اولاد واحفاد واولاد احفاد الاخوة والاخوات .

«اصل الاسرة والملكية الخاصة والدولة ـ الفصل الثاني»

---

١ ـ الاخوة الاخياف : من كانت امهم واحدة وآباؤهم شتى . «م»

المراة في طور الاقتصاد المنزلي الشيوعي

ان الاقتصاد المنزلي الشيوعي يعني سيادة النساء في البيت، كما ان الاعتراف بالام وحدها بشخصها، نظرا الى استحالة معرفة الاب الحقيقي بكل ثقة ، يعني رفيع الاحترام للنساء، اي للأمهات. اما الراي الذي يزعم ان المراة كانت امَة الرجل في بداية تطور المجتمع فهو من اسخف الآراء التي خلفها لنا عصر الانوار . فالمراة لدى جميع المتوحشين ولدى جميع البرابرة في الطورين الادنى والاوسط ، وجزئيا حتى لدى برابرة الطور الاعلى ، لا تتمتع بالحرية فحسب ، بل تشغل ايضا مركزا مرموقا جدا ...

ان الاقتصاد المنزلي الشيوعي ، الذي كانت فيه جميع النساء او غالبيتهن ينتمين الى عشيرة واحدة ، بينما كان الرجال ينقسمون الى عشائر شتى ، هو الاساس العيني لتلك الهيمنة التي كانت تتمتع بها النساء في كل مكان في الازمنة البدائية ، والتي كان اكتشافها مأثرة باخوفن الثالثة ـ . واضيف ايضا ان اخبار الرحالة والمبشرين عن العمل المرهق الملقى على عاتق النساء لدى المتوحشين والبرابرة لا تناقض البتة ما تقدم اعلاه . فتقسيم العمل بين الجنسين مشروط بأسباب لا تمت بصلة الى مركز المراة في المجتمع . فالشعوب التي يتوجب عندها على النساء ان يشتغلن اكثر بكثير مما يناسبهن بموجب تصوراتنا ، تبدي في في كثير من الحالات من الاحترام الحقيقي للنساء اكثر بكثير مما يبديه اوروبيونا . ان «سيدة» عصر الحضارة ، المحاطة بالإجلال المتكلف والمتغربة عن كل عمل حقيقي ، تشغل مركزا اجتماعيا ادنى بكثير من مركز المراة البربرية التي كانت تكدح كدحا شاقا وتعتبر في نظر شعبها سيدة حقيقية ، والتي كانت كذلك حقا وفعلا بحكم مركزها .

«اصل الاسرة والملكية الخاصة والدولة ـ الفصل الثاني»

حق الليلة الاولى

عند بعض الشعوب ، يمارس اصدقاء العريس وانسباؤه او الضيوف المدعوون الى العرس ، اثناء العرس بالذات ، حقهم التقليدي في العروس ، ولا ياتي دور العريس الا في الاخير . هكذا كانت الحال في الازمنة الغابرة في جزر البالیار وعند الاوجليين الافريقيين ، وهكذا هي الحال في الازمنة الحاضرة عند الباريا في الحبشة . وعند شعوب اخرى ، يمثل شخص رسمي ـ زعيم القبيلة او العشيرة ، الشيخ او الشامان او الكاهن او الامير ، او ايا كان لقبه ـ الجماعة المعنية ويمارس حق الليلة الاولى على العروس . وبالرغم من جميع محاولات الرومانسيين الجدد تبييض صفحة هذا الـ Jus primœ noctis (١) ، فانه لا يزال ساري المفعول في الوقت الحاضر ، بوصفه اثرا من آثار الزواج الجماعي ، عند غالبية سكان آلاسكا (بانكروفت ، **العروق الاصلية** ، المجلد الاول ، ص ٨١) ، وعند التاهو في شمالي المكسيك (المرجع ذاته ، ص ٥٨٤) ، وعند شعوب اخرى ؛ وكان قائما طوال القرون الوسطى ، على الاقل في البلدان السلتية الاصل ، في الاراغون على سبيل المثال ، تلك البلدان التي تحدر فيها مباشرة من الزواج الجماعي . وبينما لم يكن الفلاح يوما في قشتالة قنا ، ساد ابشع اشكال القنانة في الاراغون حتى صدور مرسوم فرديناند الكاثوليكي في عام ١٤٨٦ (٢) . وقد جاء في

---

١ ـ باللاتينية في النص : حق الليلة الاولى . «م»

٢ ـ المرسوم المقصود هنا هو «مرسوم غوادولوب» الصادر في ٢١ نيسان ١٤٨٦ . وكان بمثابة قرار تحكيم اصدره الملك الاسباني فرديناند الخامس الكاثوليكي تحت ضغط الانتفاضة الفلاحية في قطالونيا. وقد نص المرسوم على =

هذه الوثيقة :

«اننا نقرر ونعلن ان السادة المذكورين (السنيورات ، البارونات) ... لا يملكون كذلك الحق في قضاء الليلة الاولى مع المراة التي يتزوجها الفلاح ، ولا الحق في الفشخ ، كدليل على سيادتهم ، في ليلة العرس فوق المراة او فوق السرير بعد ان تضطجع المراة ؛ كذلك لا يحق للسادة المذكورين استخدام ابنة الفلاح او ابنه رغما عنهما ، سواء بأجر او بدون أجر» .

«اصل الاسرة والملكية الخاصة والدولة ـ الفصل الثاني»

الزواج الاحادي
مائرة نسوية

لا مراء في ان باخوفن يصيب كبد الحقيقة مرة اخرى حين يؤكد ، بلهجة جازمة ، ان الانتقال مما يسميه بـ «الهيتيرية» او «المزاوجة الفاجرة» الى الزواج الاحادي كان من صنع النساء اساسا . فبقدر ما كانت تتطور شروط الحياة الاقتصادية ، فتقوض اسس الشيوعية القديمة ، وبقدر ما كانت كثافة السكان تجنح الى التزايد ، كانت العلاقات الجنسية التقليدية تفقد طابعها الساذج البدائي وتبدو مذلة ومرهقة للنساء اللواتي صرن يتطلعن، بتوق متعاظم باستمرار ، الى الحق في العفة او الحق في

= الغاء ارتباط الفلاح بالارض، والغى عددا من الاتاوات الاقطاعيةالمثيرة لشديد كراهية الفلاحين ، بما فيها حق الليلة الاولى ؛ ونص بالمقابل على إلزام الفلاحين بدفع تعويضات كبيرة . «م»

الزواج المؤقت او الدائم من رجل واحد ، بوصفه سبيلا الى الخلاص . وما كان من الممكن ان يتحقق هذا التقدم بفضل الرجال ، وذلك لاسباب عديدة ، منها انه لم يخطر لهم قط في بال حتى ايامنا هذه ان يتخلوا عن ملذات الزواج الجماعي القائم فعلا .

«اصل الاسرة والملكية الخاصة والدولة ـ الفصل الثاني»

الهزيمة التاريخية الكبرى لجنس النساء

كان إسقاط الحق الأمومي **الهزيمة التاريخية الكبرى** لجنس النساء . فحتى في البيت امسك الرجل بدفة القيادة ؛ وانحط مركز المراة ، واسترقت ، وصارت عبدة لذة الرجل ، وامست مجرد اداة للانجاب . ان وضع المراة المذل هذا ، الذي يتجلى على نحو سافر عند اغريق العصر البطولي ، وعلى نحو سافر اكثر عند اغريق العصر الكلاسيكي ، قد جرى طلاؤه وتجميله تدريجيا ، واسبغت عليه مظاهر براقة خداعة ، والبس احيانا اشكالا اخف وارق ؛ ولكن لم يقض عليه اطلاقا .

«اصل الاسرة والملكية الخاصة والدولة ـ الفصل الثاني»

تعدد الازواج والزوجات

قبل الانتقال الى الزواج الاحادي ، الذي تطور بسرعة عقب

سقوط الحق الامومي ، نقول بضع كلمات اخرى عن تعـــدد الزوجات وتعدد الازواج . ان شكلي الزواج هذين لا يمكن ان يكونا سوى استثناء ــ سوى منتوجين كماليين وباذخين مـــن منتوجات التاريخ اذا جاز التعبير ــ اللهم الا اذا وجد كلاهما في البلد الواحد في آن معا ، وليست الحال كذلك كما هو معلوم . اذن ، بما انه لم يكن في مقدور الرجال المحال بينهم وبين تعدد الزوجات ان يجدوا العزاء عند النساء اللواتي صرن زائدات بفعل تعدد الازواج ، وبما ان عدد الرجال والنساء ظل حتـــى الان متساويا تقريبا دونما اعتبار للمؤسسات الاجتماعية ، فلم يكن من الممكن ان يغدو اي من شكلي الزواج هذين شكلا عاما . وبالفعل، كان تعدد الزوجات لدى رجل واحد نتيجة للعبودية ، وكـــان مقصورا على من يشغل من الرجال مراكز استثنائية . ففـــي الاسرة البطريركية السامية ، كان الاب وحده ، وبعض من ابنائه في احسن الاحوال ، يعيشون في حالة تعدد الزوجات ؛ بينما كان ينبغي على الآخرين الاكتفاء بزوجة واحدة . ولا تزال هذه هي الحال في الوقت الحاضر في الشرق قاطبة ؛ فتعدد الزوجـــات امتياز الاغنياء والاعيان ويتم اساسا عن طريق شراء الإماء ؛ اما سواد الشعب فيعيش في حالة الزواج الاحادي . ويشكل تعدد الازواج في الهند والتيبت استثناء هو الآخر ؛ ولا ريب في ان اصل هذا الشكل من الزواج ، المثير للاهتمام بالتأكيد والمرتبط بالزواج الجماعي ، ما يزال بحاجة الى المزيد من الدراسة . وعلى كل حال ، يبدو تعدد الازواج في ممارسته العملية اكثر تساهلا وتسامحا بكثير من تنظيم الحريم عند المحمديين ، القائم علـــى الغيرة . تلك هي الحال ، على الاقل ، لدى النايير في الهند: فلكل ثلاثة رجال او اربعة او اكثر امراة مشتركة واحدة ، ولكن فـــي مقدور كل واحد ان تكون له ايضا ، بالمشاركة مع ثلاثة رجـــال

آخرين أو اكثر ، زوجة ثانية ، بل ثالثة ورابعة الخ .

«اصل الاسرة والملكية الخاصة والدولة ـ الفصل الثاني»

الاسرة الاحادية

انها تنشأ ، كما سبق لنا البيان ، من الاسرة الازدواجية (١) في المرحلة الفاصلة بين الطورين الاوسط والاعلى من البربرية وانتصارها النهائي هو واحدة من علائم بداية عصر الحضارة . وتقوم على هيمنة الرجل ، وغايتها الصريحة إنجاب اولاد ثابتي الابوة ، وهذه الابوة الثابتة مطلوبة لان الاولاد سيملكون ذات يوم الثروة الابوية بوصفهم ورثته المباشرين . وتتميز عن الزواج الازدواجي بكون الزواج فيها امتن عرى بكثير، اذ لا يعود بالمستطاع فسخ هذه العرى بمشيئة الطرفين . فالرجل وحده على وجه العموم هو الذي يسعه الان ان يفسخ هذه العرى وان يطلق امراته . ثم ان حق الخيانة الزوجية يبقى مضمونا له حتى في ايامنا هذه ، بحكم العرف والعادة على الاقل (تسلم له قوانين نابليون عن طواعية بهذا الحق ، بشرط الا يأتي بمحظيته الى البيت الزوجي) ؛ وهذا الحق يمارس على نطاق اوسع فأوسع طردا مع التطور الاجتماعي . اما اذا تذكرت الزوجة الممارسة

---

١ ـ الاسرة الازدواجية هي تلك التي يكون فيها للرجل زوجة رئيسية في عداد زوجات كثيرات ، ويكون للمرأة زوج رئيسي في عداد ازواج كثيرين . هي اذن شكل متميز ومتطور من الزواج الجماعي . «م»

الجنسية القديمة وارادت ان تستأنفها ، فانها تلقى عقوبة اقسى واصرم مما كانت تلقاه في اي وقت غبر ... وان وجود العبودية الى جانب الزواج الاحادي ، ووجود اماء شابات وجميلات يحوزهن **الرجل** جسما وروحا ، هو الذي اضفى على الزواج الاحادي من البداية طابعه الخاص ؛ اذ جعل منه زواجا احاديا بالنسبة الى **المرأة وحدها** ، لا بالنسبة الى الرجل . ولا يزال الزواج الاحادي محافظا على هذا الطابع حتى ايامنا هذه ...

لم يكن نشوء الزواج الاحادي ثمرة الحب الجنسي الفردي ، ولم يكن يجمع بينهما اي جامع على الاطلاق . بيد ان الزواج الاحادي كان اول شكل للاسرة لم يرتكز الى الشروط الطبيعية، بل الى الشروط الاقتصادية ، نعني بها انتصار الملكية الخاصة على الملكية المشتركة البدائية والعفوية . سيادة الرجل في الاسرة وانجاب اولاد لا يمكن ان يكونوا الا من صلبه ومرشحين لوراثة ثروته مستقبلا : ذلك كان الهدف الوحيد من الزواج الاحادي ، كما جاهر به الاغريق بلا لبس او ابهام ...

وعليه ، لا يدخل الزواج الزوجي في التاريخ بوصفه مصالحة بين الرجل والمرأة ، او بوصفه الشكل الاعلى للزواج . بل على العكس : فهو يظهر كاستعباد جنس من قبل الجنس الآخر ، كإعلان لصراع بين الجنسين لم يشهد له مثيل على امتداد ما قبل التاريخ . واني لأجد في مخطوطة قديمة غير مطبوعة ، وضعتها انا وماركس في عام ١٨٤٦ ، السطور التالية : «ان اول تقسيم للعمل كان بين الرجل والمرأة لانجاب الاولاد» (١). وبوسعي الان ان اضيف الى ذلك قائلا : ان اول تعارض طبقي ظهر في التاريخ يتزامن مع تطور التناحر بين الرجل والمرأة في ظل الزواج الزوجي ، كما يتزامن اول اضطهاد طبقي مع اضطهاد

---

١ ـ «الايديولوجيا الالمانية» . «م»

جنس الرجال لجنس النساء . لقد كان الزواج الاحادي تقدما تاريخيا كبيرا ، لكنه يدشن في الوقت نفسه ، الى جانب العبودية والملكية الخاصة ، تلك المرحلة التي لا تزال مستمرة حتى ايامنا، والتي يعني فيها كل تقدم خطوة نسبية الى الوراء ، وذلك ما دام رفاه بعضهم وتطوره يتحققان عن طريق آلام الآخرين وقمعهم . ان الزواج الاحادي هو الشكل الخلوي للمجتمع المتمدين ، شكل نستطيع بالاستناد اليه دراسة طبيعة التناحرات والتناقضات التي تدرك في هذا المجتمع ملء تطورها .

ان الحرية القديمة النسبية في العلاقات الجنسية لم تختف البتة مع انتصار الزواج الازدواجي ، ولا حتى مع انتصار الزواج الاحادي ...

يقصد مورغان بالهيتيرية العلاقات الجنسية خارج الزواج التي يقيمها الرجال مع النساء غير المتزوجات ، **على هامش الزواج الاحادي** ، وقد كانت هذه العلاقات ، كما هو معروف ، مزدهرة بأشكالها الاكثر تباينا طوال حقبة عصر الحضارة ، وراحت تتحول اكثر فأكثر الى بغاء سافر . وتتحدر هذه الهيتيرية مباشرة من الزواج الجماعي ، من مجامعة الغرباء التي بها كانت النساء يشترين حقهن في العفة . وقد كان وهب الجسد من اجل المال عملا دينيا في البداية ؛ وكان يجري في معبد إلهة الحب ، وكان المال يذهب في البدء الى خزينة المعبد ... وعند شعوب اخرى تتأتى الهيتيرية من الحرية الجنسية الممنوحة للفتيات قبل الزواج ؛ ــ وعليه فانها هنا ايضا اثر من آثار الزواج الجماعي ، ولكنه اثر وصل الينا بطريق مغاير . ومع ظهور التفاوت في الخيرات المادية ، اي ابتداء من الطور الاعلى من البربرية ، يظهر العمل المأجور هنا وهناك الى جانب العمل المسترق ، ويظهر في الوقت نفسه احتراف البغاء من قبل النساء الحرائر الى جانب اكراه المرأة المسترقة على اباحة جسدها ، وذلك باعتبار البغاء

الاحترافي لازمة ضرورية للعمل المأجور . وهكذا كان الارث الذي تركه الزواج الجماعي للحضارة ذا وجهين ، مثلما ان كل ما تبدعه الحضارة ذو وجهين ، ملتبس ، ذو حدين ، ومتناقض : فمن جهة الزواج الاحادي ، ومن الجهة المقابلة الهيتيرية مع شكلها المتطرف ، البغاء . ان الهيتيرية مؤسسة اجتماعية ، مثلها مثل اي مؤسسة اخرى ؛ فهي تبقي على الحرية الجنسية القديمة ... لصالح الرجال . انها تشجب لفظا ، مع انها في الواقع لا تحظى بالتساهل والتغاضي عنها فحسب ، بل تمارس ايضا على نطاق واسع وبضمير غير مثقل ، ولاسيما من قبل الطبقات السائدة . على ان هذا الاستهجان لا يصيب البتة الرجال ، وانما يستهدف النساء وحدهن ؛ فهؤلاء الاخيرات يعاملن بازدراء واحتقار ، وينبذن جانبا من وجهة النظر الاجتماعية ، وذلك بغية المناداة على هذا النحو ، من جديد ، بسيادة الرجل اللامشروطة على جنس النساء قانونا اساسيا من قوانين المجتمع .

ولكن بدءاً من هنا يتطور في قلب الزواج الاحادي بالذات تناقض ثان . فالى جانب الزوج ، الذي يرفه عن حياته بالهيتيرية ، تعيش الزوجة المهجورة . والحصول على احد حدي التناقض مستحيل بدون الآخر ، مثلما يستحيل ان تقبض اليد على التفاحة بكاملها بعد ان يكون نصفها قد اكل . ولكن الرجال ما كانوا ، على ما يبدو ، يرون هذا الرأي الى ان فتحت نساؤهم عيونهم . فمع الزواج الاحادي يظهر على الدوام نمطان اجتماعيان متميزان كانا مجهولين حتى ذلك الحين : عشيق الزوجة المواظب، والزوج المخدوع . لقد انتزع الرجال الغلبة على النساء ، لكن المغلوبات على امرهن اخذن على عاتقهن بكل سخاء وكرم ان يتوجن هام قاهريهن . فالزنى ـ المحظر ، المعاقب عليه بصرامة، لكن الذي يستحيل القضاء عليه ـ يصبح الى جانب الزواج الاحادي والهيتيرية مؤسسة اجتماعية راسخة . وكما في الماضي ، لبثت صحة الابوة ترتكز ، في احسن الاحوال ، الى

قناعة معنوية ؛ ولحل هذا التناقض المستعصي نصت قوانين نابليون في المادة ٣١٢ منها على ما يلي : «الزوج هو والد الولد الذي تحبل به أمه اثناء الزواج» . تلك هي النتيجة النهائية لثلاثة آلاف سنة من الزواج الاحادي .

تقدم لنا اذن الاسرة الزوجية ـ في الحالات التي تحافظ فيها على طابع اصلها التاريخي وتبرز للعيان التنازع بين الرجل والمراة كما يتجلى من خلال سيادة الرجل المطلقة ـ صورة مصغرة عن تلك التناجرات والتناقضات التي يتحرك فيها المجتمع المنقسم الى طبقات منذ بداية عصر الحضارة ، من دون ان يستطيع ان يجد لها حلا او ان يذللها ويتغلب عليها. وبديهي انني لا اتكلم هنا الا عن تلك الحالات من الزواج الاحادي التي تتقيد فيها الحياة الزوجية فعلا بالفروض المترتبة على الطابع الاصلي لهذه المؤسسة، ولكن التي تثور فيها المراة على سيطرة الرجل . اما ان الزيجات لا تجري على هذا النحو على الدوام ، فليس ثمة من يعرف ذلك خيرا من الدعي الضيق الافق الالماني الذي يعجز عن ان يكون سيدا في البيت كما في الدولة ، والذي تنوب عنه زوجته بملء الحق في ارتداء السروال الذي ما هو بأهل له . لكنه بالمقابل يتصور نفسه متفوقا بكثير على رفيقه الفرنسي في التعاسة وسوء الطالع ، ذلك الرفيق الذي يصطدم ، اكثر مما يحدث له هو ، بمتاعب ومقالب اشد وادهى بكثير ...

لكن اذا كان الزواج الاحادي ، بين جميع الاشكال المعروفة للاسرة ، هو الشكل الوحيد الذي امكن ان ينشأ منه ويتطور الحب الجنسي الحديث ، فهذا لا يعني البتة ان هذا الاخير قد تطور في اطار الزواج الاحادي بوجه الحصر، او حتى بصورة رئيسية، وذلك في شكل حب متبادل بين الزوجين . فالزواج الاحادي المستقر والخاضع لسيطرة الرجل كان يتنافى وذلك بحكم طبيعته بالذات . ولدى جميع الطبقات النشيطة تاريخيا ، اي لدى جميع

الطبقات الحاكمة ، بقي عقد الزواج كما كان عليه منذ عهد الزواج الازدواجي : اي صفقة منفعة يعقدها الاهل . وحين ظهر الحب الجنسي للمرة الاولى في التاريخ بوصفه هوى ـ هوى يليق بكل كائن انساني (على الاقل اذا كان ينتمي الى الطبقات الحاكمة) ، وبوصفه الشكل الاسمى للغريزة الجنسية ـ وهذا بالتحديد ما يضفي عليه طابعه الخاص المميز ـ لم يكن ذلك الشكل الاول ، الحب الفروسي في العصر الوسيط ، حبا زوجيا على الاطلاق . بل على العكس . فالحب الفروسي ، في شكله الكلاسيكي لدى البروفنساليين ، كان يندفع بكل اشرعته نحو الزنى الذي يتغنى به الشعراء . ان زهرة الشعر الغزلي البروفنسالي (١) هي اغاني «البا» ، وبالالمانية Tagelieder (اغاني الصباح ، التصبيحات) . وتصور هذه التصبيحات بألوان حارة كيف يضطجع الفارس قرب حسنائه ـ وهي امراة رجل آخر ـ بينما يقف الحارس في الخارج لينبئه بأولى تباشير الصباح (البا) حتى يتمكن من الفرار من دون ان يلمحه احد ...

في ايامنا هذه يتم عقد الزواج في البيئة البورجوازية بطريقتين . ففي البلدان الكاثوليكية يتولى الوالدان ، كما من قبل ، البحث عن زوجة تليق بشاب ابن بورجوازي ؛ والنتيجة الطبيعية لذلك هي التطور الاكمل للتناقضات التي ينطوي عليها الزواج الاحادي : ازدهار الهيتيرية من جانب الزوج ، وازدهار الزنى من جانب الزوجة . ولئن الغت الكنيسة الكاثوليكية الطلاق ، فلسبب واحد فقط في ارجح الظن ، وهو اقرارها بأنه لا مناص من الزنى كما لا مناص من الموت . اما في البلدان البروتستانتية بالمقابل ، فابن البورجوازي يتمتع ، على وجه

---

١ ـ المقصود هنا شعر التروبادور (المغنين الجوالين) في فرنسا الجنوبية بين اواخر القرن الحادي عشر واوائل القرن الثالث عشر . «م»

العموم ، بحق اختيار زوجة له من بنات طبقته ، بهذا القدر او ذاك من الحرية ؛ ولهذا يمكن ان يكون الحب ، بقدر ما ، اساسا لعقد الزواج ، ناهيك عن انه ينبغي دائما ، بحكم اللياقة ، افتراض وجوده تبعا لروح الرياء البروتستانتي . وهنا يمارس الرجل الهيتيرية بحمية اقل ، كما تخف ممارسة المراة للزنى . ولكن بما ان الناس يبقون في ظل الزواج ، ايا كان شكله ، مثلما كانوا من قبله ، وبما ان البورجوازيين في البلدان البروتستانتية هم في غالبيتهم ادعياء ضيقو الافق ، فان ذلك الزواج الاحادي البروتستانتي لا يؤدي ، في المعدل الوسطي لأحسن الحالات ، الا الى مساكنة زوجية مملة لا تطاق ، يطلق عليها اسم السعادة البيتية . وخير مرآة لهذين النوعين من الزواج هي الرواية : الرواية الفرنسية بالنسبة الى الطريقة الكاثوليكية ، والرواية الالمانية بالنسبة الى الطريقة البروتستانتية . ففي كل من الروايتين «ينال الرجل نصيبه» : في الرواية الالمانية ينال الفتى الفتاة ، وفي الرواية الفرنسية ينال الزوج قرنين . وليس من الميسور على الدوام القول اي منهما هو الاسوأ نصيبا . ولهذا يثير سأم الرواية الالمانية في نفس البورجوازي الفرنسي قدرا من الاشمئزاز والنفور مماثلا للقدر الذي تثيره «لااخلاقية» الرواية الفرنسية في نفس الدعي الالماني الضيق الافق . ولكن في الآونة الاخيرة ، منذ ان «اخذت برلين تصبح عاصمة عالمية» ، طفقت الرواية الالمانية تتطرق بقدر اقل من الارتباك والتحرج الى ظاهرتي الهيتيرية والزنى المعروفتين جيدا هناك منذ زمان بعيد.

لكن الزواج يقوم في كلتا الحالتين على الوضع الطبقي للطرفين ، ولذا يبقى على الدوام زواج منفعة . وفي كلتا الحالتين ايضا ، ينقلب زواج المنفعة هذا في احيان كثيرة جدا الى بغاء في منتهى الدناءة والخسة من جانب الطرفين احيانا ، ولكن في احيان اكثر بكثير من جانب الزوجة ؛ فلئن اختلفت هذه الاخيرة

عن الغانية العادية ، فهذا من حيث انها لا تكري جسدها بالقطعة كما لو انها عاملة بالاجرة ، بل تبيعه دفعة واحدة ونهائية شان الجارية . وعلى زواج المنفعة بجميع انواعه واشكاله ، تصـــح كلمة فورييه :

«كما ان نفيين في اللغة يعادلان اثباتا ، كذلك يعادل بغاءان في قواعد الاخلاق الزوجية فضيلة» .

ان الحب الجنسي لا يمكن ان يكون ، وما هو بالفعل ، قاعدة في العلاقات مع المراة الا لدى الطبقات المضطهَدة ، اي في الوقت الحاضر لدى البروليتاريا ، سواء اكانت هذه العلاقات مصادقا عليها رسميا ام لا . وآية ذلك ان جميع اسس الزواج الاحادي الكلاسيكي مقوضة هنا . فلا وجود هنا لاي ملكية انشئت بهدف صيانتها وتوريثها احادية الزواج وهيمنة الرجل ؛ وبالتالي لا وجود لأي حافز لإحقاق الهيمنة المذكرة . بل ان وسائل إحقاقها بالذات معدومة الوجود : فالقانون البورجوازي الذي يحمي تلـك الهيمنة لا وجود له الا برسم المالكين وبرسم علاقاتهم مـــع البروليتاريين ؛ وهو باهظ الكلفة ، ونظرا الى افتقار العامل الى المال ، فلا سبيل الى تطبيقه على علاقته مع زوجته . والكلمـــة الفاصلة هنا هي لظروف ولمشكلات شخصية واجتماعية مغايرة تماما . ناهيك عن انه منذ ان انتزعت الصناعة الكبيرة المراة من البيت ورمت بها في سوق العمل وفي المعمل ، وجعلت منها في كثير من الاحيان عماد الاسرة ، زالت من مسكن البروليتاري كل تربة لآخر بقايا سيادة الرجل ــ اللهم الا بقية من فظاظة في معاملة الزوجة شقت طريقها الى الاعراف منذ بدء العمـــل بالزواج الاحادي . هكذا لم تبق اسرة البروليتاري احادية الزواج بمعنى الكلمة الصرف ، حتى وان سادها احرّ الحب وامتن الاخلاص من كلا الطرفين ، وبصرف النظر عن جميع البركات الدينيـــة والدنيوية من كل شاكلة وطراز . ولهذا لا يضطلع هنا الرفيقان الدائمان لاحادية الزواج ، الهيتيرية والزنى ، الا بدور آخـــذ

بالتضاؤل باستمرار ؛ فالزوجة قد استعادت بالفعل الحق في الطلاق ؛ واذا عاد الطرفان لا يطيقان العيش معا ، آثرا الانفصال. بمختصر الكلام ، ان الزواج البروليتاري زواج بالمعنى الاشتقاقي للكلمة ، لا بمعناها التاريخي .

بيد ان حقوقيينا يرون ان تقدم التشريع ينتزع من النساء ، بصورة متعاظمة ، كل مبرر للشكوى . فالانظمة التشريعية للحضارة الحديثة تعترف اكثر فاكثر ، اولا ، بأن الزواج كي يكون صحيحا فلا بد ان يكون عقدا يعقده الطرفان بملء الحرية، وبأنه ينبغي ان يكون للطرفين ، ثانيا ، خلال مدة الزواج كلها نفس الحقوق والواجبات حيال واحدهما الآخر . فاذا ما تحقق هذان الشرطان على نحو منطقي ، حصلت النساء على كل ما يمكن ان يرغبن فيه .

ان هذه المحاكمة الحقوقية الصرف هي عينها التي يلجأ اليها البورجوازي الراديكالي ليرد دعوى البروليتاري ويفحمه . فعقد العمل مفروض فيه انه تم عقده بملء رضى الطرفين . لكنه يعتبر معقودا بملء رضى الطرفين لمجرد ان القانون يقرر **على الورق** المساواة بين الطرفين . اما السلطة التي يخولها اختلاف الوضع الطبقي لواحد من الطرفين ، واما الضغط الذي يمارسه هذا الطرف بفضل ذلك على الطرف الآخر ـ الوضع الاقتصادي الحقيقي لكلا الطرفين ـ فذلك امر لا يعني القانون بتاتا. ويفترض القانون ايضا بالطرفين ، طوال مدة عقد العمل ، انهما يتمتعان بحقوق متماثلة ، ما لم يتنازل واحدهما بصراحة عنها . اما ان الظروف الاقتصادية تجبر العامل على التخلي حتى عن آخر مظهر من مظاهر المساواة في الحقوق ، فلا شأن للقانون بذلك هنا ايضا .

فيما يخص الزواج يشعر القانون ، حتى وان كان اكثر القوانين ليبيرالية ، بالرضى الكامل اذا اعرب الطرفان المعنيان

عن موافقتهما طوعا واختيارا ، حسب الاصول المرعية الاجراء ، على محضر ضبط الزواج . اما ما يدور وراء كواليس القانون حيث تجري الحياة الفعلية ، واما كيف تنتزع تلك الموافقة الحرة ، فان القانون ورجل القانون لا يأبهان لذلك . هذا مع ان اللجوء الى ابسط مقارنة بين قوانين مختلف البلدان يكفي ليبين لرجال القانون ما قيمة هذه الموافقة الحرة . ففي البلدان التي يكفل فيها القانون للاولاد نصيبا الزاميا من تركة والديهم ، والتي لا يمكن فيها بالتالي حرمانهم من الميراث ــ في المانيا وفي الاقطار التي اخذت بالقانون الفرنسي ، الخ ــ يلزم الاولاد بالحصول على موافقة الوالدين لاجل عقد الزواج . اما في البلدان التي تبنت القانون الانكليزي ، والتي لا يشترط فيها القانون موافقة الوالدين لاجل عقد الزواج ، فان الوالدين يتمتعان بكامل الحرية عند التوصية بتركتهما ، ويمكنهما ، اذا ما طاب لهما ، ان يحرما اولادهما من الميراث . ولكن من الواضح ان حرية عقد الزواج في انكلترا واميركا ، بالرغم من ذلك ، بل بسبب ذلك على وجه التحديد ، لا تزيد ، عند الطبقات التي يوجد لديها ما تورّثه ، بقلامة ظفر عما هي عليه في فرنسا والمانيا .

ليست الحال بأفضل فيما يخص المساواة القانونية بين الرجل والمراة في الزواج . فالتفاوت في الحقوق بين الطرفين ، الذي ورثناه عن شروط اجتماعية سابقة ، ليس سبب اضطهاد المراة في المضمار الاقتصادي ، بل نتيجته . ففي الاقتصاد المنزلي الشيوعي القديم الذي كان يضم عددا من المتزوجين مع اولادهم ، كانت ادارة البيت ، المعهود بها الى النساء ، تمثل نشاطا عاما ضروريا للمجتمع ، شأنها في ذلك شأن الواجب الملقى على عاتق الرجال بتدبر امر القوت . لكن الوضع تغير منذ ظهور الاسرة البطريركية ، وعلى الاخص منذ ظهور الاسرة الفردية الاحادية الزواج . فقد فقدت ادارة البيت طابعها العام . ولم تعد تعني المجتمع . وصارت **خدمة خاصة** ؛ كما صارت المراة الخادمة

الرئيسية ، واقصيت عن المشاركة في الانتاج الاجتماعي . اما في ايامنا هذه فان الصناعة الكبيرة هي وحدها التي فتحت من جديد امام المراة ـ المراة البروليتارية فقط ـ السبيل الى الانتاج الاجتماعي؛ ولكن في ظل شروط اذا ما قامت معها المراة بواجباتها الخاصة في خدمة الاسرة ، بقيت مقصية عن الانتاج الاجتماعي وعجزت عن تحصيل اي دخل ؛ فاذا ما شاءت بالمقابل ان تشارك في النشاط العام وان تكسب دخلا لحسابها الخاص ، عجزت عن الوفاء بواجباتها العائلية . ان حال المراة واحد في هذا الصدد في شتى فروع النشاط ، سواء أفي الطب والمحاماة ام في المصنع . ان الاسرة الزوجية الحديثة تقوم على العبودية البيتية السافرة او المقنعة للنساء ، وما المجتمع الحالي الا كتلة تتالف بوجه الحصر من اسر زوجية هي بمثابة جزيئاتها. وفي الوقت الحاضر يفترض بالرجل ، في غالب الاحوال ، ان يكون عماد الاسرة ومعيلها ، على الاقل لدى الطبقات المالكة ؛ وهذا ما يضمن له سلطة وهيمنة لا حاجة به الى دعمهما بأي امتياز قانوني . فالرجل في الاسرة هو البورجوازي ، بينما تمثل المراة البروليتاريا . لكن الطابع المميز للاضطهاد الاقتصادي الذي ينيخ بكلكله على البروليتاريا في عالم الصناعة لا يبرز بكامل جلائه وحدّته الا بعد ان تلغى جميع الامتيازات القانونية للطبقة الراسمالية وإلا بعد ان تقر المساواة الحقوقية الكاملة بين الطبقتين ؛ فالجمهورية الديموقراطية لا تزيل التطاحن بين الطبقتين ، بل على العكس : فهي اول من يمهد ارض الميدان الذي سيتقرر عليه مصير العراك بينهما . كذلك فان الطابع الخاص لسيطرة الرجل على المراة في الاسرة الحديثة ، وضرورة وطريقة اقرار مساواة اجتماعية حقيقية بين الجنسين ، لن تتجلى بكامل السطوع الا متى صار الزوج والزوجة ، من الناحية القانونية ، متساويين مطلق المساواة في الحقوق . فآنئذ سيتبين ان

الشرط الاول لانعتاق المراة هو عودة جنس النساء برمته الى الانتاج الاجتماعي ، وان هذا الشرط يتطلب بدوره الغاء الاسرة الزوجية بوصفها وحدة اقتصادية في المجتمع .

«اصل الاسرة والملكية الخاصة والدولة ـ الفصل الثاني»

الحب الجنسي الفردي
ماضيا وحاضرا ومستقبلا

هناك اذن ثلاثة اشكال رئيسية للزواج تتطابق بوجه الاجمال مع المراحل الرئيسية الثلاث من تطور البشرية . فالوحشية يقابلها الزواج الجماعي ، والبربرية يناظرها الزواج الازدواجي ، والحضارة يطابقها الزواج الاحادي المقرون بالزنى والبغاء . وبين الزواج الازدواجي والزواج الاحادي يندرج ، في الطور الاعلى من البربرية ، استرقاق الرجال للنساء الإماء وتعدد الزوجات .

ان التقدم الذي تحقق من خلال تعاقب اشكال الزواج تلك يرتبط ، كما يتبين من كل عرضنا السابق ، بحرمان النساء ، لا الرجال ، على نحو متزايد باستمرار من الحرية الجنسية الملازمة للزواج الجماعي . وبالفعل ، ما يزال الزواج الجماعي قائما حتى يومنا هذا بالنسبة الى الرجال . فما هو جريمة من جانب المراة وما يستتبع عواقب قانونية واجتماعية وخيمة هو بالنسبة الى الرجل امر مشرف ، او لا يعتبر ، في اسوا الفروض ، الا لطخة اخلاقية طفيفة تطيب لحاملها . لكن كلما تغيرت الهيتيرية التقليدية في ايامنا هذه تحت تأثير الانتاج البضاعي الراسمالي ، وكلما تكيفت واياه وتحولت الى بغاء سافر ، اشتد تأثيرها المفسد للاخلاق . وهي تفسد اخلاق الرجال اكثر بكثير مما تفسد اخلاق

النساء . فبين النساء لا يحط البغاء الا من قدر التعيسات اللائي يقعن في شراكه ، وحتى هؤلاء النسوة لا يكون نصيبهن من الانحطاط بالقدر الذي يتصوره الناس عادة . وبالمقابل ، انه يذل صفة عالم الذكور بأسره . هكذا تكون اطالة زمن الخطوبة ، في تسع حالات من اصل عشر ، مدرسة اعدادية حقيقية للخيانة الزوجية .

اننا نسير الان نحو ثورة اجتماعية ستزول فيها حتما الاسس الاقتصادية الراهنة للزواج الاحادي ، مثلما ستزول اسس تتمته وتكملته ، البغاء . لقد نشأ الزواج الاحادي من تركز ثروات طائلة في يد واحدة ــ يد الرجل ــ ومن الرغبة في توريث هذه الثروات لاولاد هذا الرجل بالذات ، دون سواه . ولهذا الغرض كان لا بد ان تقوم احادية زواج المراة ، لا احادية زواج الرجل ، وذلك على نحو لا تعيق معه احادية زواج الاولى تعدد زيجات الثاني ، سواء اأخذ هذا التعدد شكلا سافرا ام مستترا . بيد ان الثورة الاجتماعية الوشيكة اذ ستحول الى ملكية اجتماعية القسم الاعظم على الاقل من الثروات الدائمة القابلة للتوريث ، اي وسائل الانتاج ، ستقلل الى الحد الادنى جميع تلك الهموم المتعلقة بمعرفة الورثاء وكيفية نقل الارث اليهم . ولكن اذا كان الزواج الاحادي قد نشأ لاسباب اقتصادية ، فهل سيزول اذا زالت هذه الاسباب ؟

قد يمكن الجواب ، وليس دون مبرر ، بأنه لن يزول ، وبأنه على العكس لن يتحقق ملء التحقق الا ابتداء من ذاك اليوم . فمع تحويل وسائل الانتاج الى ملكية اجتماعية يزول ، بالفعل ، العمل المأجور وتزول البروليتاريا ؛ وتزول بالتالي الضرورة التي تقضي على عدد من النساء (عدد يمكن حسابه بالاحصاء) ببيع اجسادهن لقاء المال . ان البغاء سيزول ؛ اما الزواج الاحادي ، فبدلا من ان تغرب شمسه سيصبح اخيرا حقيقةواقعة ــ بالنسبة

الى الرجال ايضا .

ان وضع الرجال سيتغير ، على كل حال ، تغيرا عميقا . بيد ان وضع النساء ، **جميع** النساء ، سيطرأ عليه بدوره تغير هام . فمع انتقال وسائل الانتاج الى الملكية العامة، تكف الاسرة الزوجية عن ان تكون وحدة المجتمع الاقتصادية . ويغدو الاقتصاد المنزلي الخاص فرعا من فروع النشاط الاجتماعي. وتغدو العناية بالاطفال وتربيتهم من اختصاص المجتمع ؛ ولسوف يرعى المجتمع الاطفال جميعا ، سواء اكانوا شرعيين أم غير شرعيين . وبفضل ذلك يزول هم «العواقب» الذي يشكل في الوقت الحاضر السبب الاجتماعي الرئيسي ــ والاخلاقي والاقتصادي ــ الذي يمنع الفتاة من وهب نفسها بلا تحفظ للرجل الذي تحبه . الن يكون ذلك سببا كافيا لكي يقوم تدريجيا مزيد من الحرية في العلاقات الجنسية ، ولكي يتكون في الوقت نفسه راي عام اكثر تساهلا حيال شرف العذارى وحشمة النساء؟ او لم نر، اخيرا، ان الزواج الاحادي والبغاء في العالم الحديث ضدان متناقضان ، ولكنهما ضدان لا ينفصل واحدهما عن الآخر باعتبارهما قطبين لوضع اجتماعي واحد ؟ فهل يمكن ان يزول البغاء دون ان يجر في اثره الزواج الاحادي الى الهاوية ؟

هنا يدخل الحلبة عنصر جديد ، عنصر لم يكن له من وجود في عهد نشوء احادية الزواج الا بصورة نواة في أحسن الفروض: الحب الجنسي الفردي .

قبل العصر الوسيط لم يكن ثمة مجال للحديث عن حب جنسي فردي . وبديهي ان الجمال الجسماني والمودة والالفة والمشارب المتماثلة ، الخ ، ايقظت على الدوام لدى افراد الجنس المغاير الرغبة في الاتصال الجنسي ، ومؤكد ان الرجال والنساء على السواء ما كانوا لامبالين مطلق اللامبالاة باقامة حميم العلاقات مع هذا الشريك او ذاك . ولكن الشقة بين ذلك وبين الحب الجنسي كما نعرفه اليوم كبيرة الى ما لا حد له . فعلى امتداد

العصور القديمة كانت الزيجات تعقد من قبل الاهل بالنيابة عن الاولاد ، وكان هؤلاء يتكيفون معواقع الحال بكل هدوء وطمانينة. وذلك النصيب الطفيف من الحب الزوجي الذي عرفه العالم القديم ليس ميلا ذاتيا ، بل واجب موضوعي ، ليس علة الزواج، بل لازمته . وما كانت علاقات الحببمعناها الحالي تقوم في الازمنة القديمة الا خارج المجتمع الرسمي ...

ان الحب الجنسي كما نفهمه اليوم يختلف اختلافا جوهريا عن مجرد الرغبة الجنسية، عن «ايروس» القدامى. فهو يفترض، من جهة اولى ، لدى الكائن المحبوب حبا متبادلا ؛ والمراة من هذه الزاوية مساوية للرجل ، في حين ان موافقتها لم تكن مطلوبة دائما لدى «ايروس» القديم . ومن جهة ثانية ، يكون الحب الجنسي على درجة من القوة والديمومة تجعل الطرفين يتصوران الانفصال وعدم الوصال بلية كبيرة ، ان لم تكن افدح البلايا ؛ وحتى يتاحلهما الوصال لا يحجمان عن ركوبالمجازفات الجسيمة، بل حتى عن تعريض حياتهما للخطر ، الامر الذي ما كان يحدث في العصور القديمة الا في حالة الزنى ، واخيرا ، يظهر الى حيز الوجود معيار اخلاقي جديد للحكم على المعاشرة الجنسية ؛ فلا يكون السؤال الوحيد المطروح هو : اهي معاشرة زوجية ام خارج نطاق الزواج ؟ بل ايضا : هل تقوم على الحب ، والحب المتبادل، ام لا ؟ وغني عن البيان ان هذا المعيار الجديد لا يلقى من الاحترام في الممارسة الاقطاعية والبورجوازية اكثر مما تلقاه سائر المعايير الاخلاقية الاخرى ــ اذ يُضرب عنه الصفح . ولكنه لا يُعامل بأسوأ مما تعامل به المعايير الاخرى : فهو معترف به مثله مثل غيره ... نظريا ، على الورق . وهذا اقصى ما يستطيع ان يطالب به في الوقت الحاضر .

لقد بقي الزواج في غالبية الاحوال ، وحتى نهاية القرون الوسطى ، ما كان عليه في البداية : قضية لا يسويها المعنيون

انفسهم ... وعندما بدأ عهد سيادة الحق الابـــوي والزواج الاحادي مع انتصار الملكية الخاصة على الملكية الجماعية والاهتمام بنقلها عن طريق الوراثة ، اصبح عقد الزواج مرهونا برمتـــه باعتبارات اقتصادية . ان **شكل** الزواج بالشراء يزول ، لكـــن ممارسته تتسع نطاقا اكثر فاكثر بحيث صار للرجـــل ايضا ، علاوة على المراة ، سعره الخاص ــ سعر يتحدد بحسب ثروتـه لا بحسب سجاياه الشخصية . اما ان يتغلب ميل متبادل لـدى الطرفين على جميع الاعتبارات الاخرى عند عقد الزواج ، فهذا ما بقي مجهولا بصورة دائمة في ممارسة الطبقات المالكة . ولم يكن يحدث شيء من هذا القبيل الا في عالم الروايات او ... فـــي اوساط الطبقات المظلومة التي لم يكن يحسب لها اي حساب ..

لقد كان الزواج ، بحسب المفهوم البورجـــوازي ، عقدا ، صفقة قانونية ، بل اهم الصفقات جميعا لانه يقرر مصير الجسد والروح لدى شخصين اثنين على مدى حياتهما كاملة. ولقد كانت هذه الصفقة القانونية تعقد ، من حيث الشكل ، طوعا واختيارا ، وما كان من الممكن ان تتم بدون «نعم» الطرفين . ولكـــن كان معلوما خير علم كيف يتم الحصول على هذه الـ «نعم» ومن هو العاقد الفعلي للزواج ... لقد راحت البورجوازية الصاعـــدة ــ ولاسيما في البلدان البروتستانتية حيث تزعزع النظام القائم اكثر مما في البلدان الاخرى ــ تعترف اكثر فاكثر بحرية عقـد العقد فيما يتعلق بالزواج ايضا ، وان ظلت تمارس هذه الحرية على النحو الموصوف اعلاه . ولبث الزواج زواجا طبقيا ، لكن الطرفين المعنيين نالا في حدود طبقتهما درجة معينة من حريـة الاختيار . وعلى الورق ، وفي النظرية الاخلاقية كما في الوصف الشعري ، لم يقرر اي مبدأ على نحو اثبت وارسخ من النحـــو الذي قرر به المبدأ الذي ينص على عدم اخلاقية كل زواج لا يقوم على حب جنسي متبادل وعلى موافقة الزوجين الحرة حقا وفعلا. وبمختصر الكلام ، نودي بزواج الحب حقا من حقوق الانسان ،

وليس فقط حقا **الرجل** ، وانما ايضا وعلى سبيل الاستثناء حقا **للمراة** .

لكن حق الانسان هذا كان يختلف في نقطة واحدة عن سائر **حقوق الانسان** المزعومة . فبينما لبثت هذه الحقوق وقفا موقوفا في الممارسة على الطبقة السائدة ، على البورجوازية ، وانتهكت بصورة مباشرة او غير مباشرة بالنسبة الى الطبقة المظلومة ، البروليتاريا ، تأكدت هنا من جديد سخرية التاريخ . فقد ظلت الطبقة السائدة محكومة بسلطان الاعتبارات الاقتصادية المعلومة ؛ ولهذا ندر الا استثناءً ان تقع في اوساطها زيجات معقودة فعلا بحرية ، بينما هذه الزيجات الحرة فعلا هي القاعدة السارية المفعول في اوساط الطبقة المضطهَدة ، كما سبق ان راينا .

وعليه ، لا يمكن ان تتحقق الحرية التامة في عقد الزواج بصورة كاملة وعامة الا بعد ان يقضي الغاء الانتاج الراسمالي وعلاقات الملكية الناشئة عنه على جميع الاعتبارات الاقتصادية الثانوية التي لا تزال تؤثر الى اليوم تأثيرا بالغا في اختيار الزوجين . وعند ذاك ، لن يبقى اي دافع غير دافع الميل المتبادل.

وبما ان الحب الجنسي هو بطبيعته حصري ــ مع ان هذه الحصرية لا تتحقق في ايامنا هذه كامل التحقق الا بالنسبة الى المراة ــ فان الزواج القائم على الحب الجنسي هو بطبيعته زواج احادي . ولقد راينا كم كان باخوفن على حق حينما اعتبر الانتقال من الزواج الجماعي الى الزواج الاحادي خطوة تقدمية قامت بها النساء اساسا ؛ اما الرجال فلا يمكن ان نعزو اليهم من فضل الا فضل التخلي عن الزواج الازدواجي لصالح الزواج الاحادي . ومن حيث الجوهر ، ادت هذه الخطوة تاريخيا الى تردي وضع المراة والى تسهيل الخيانة الزوجية من جانب الرجال . ولذا ، ما ان تزول الاعتبارات الاقتصادية التي تتحمل النساء بسببها عادة

الخيانة الزوجية من جانب الرجال (اهتمامهن بأمر معيشتهن ، وعلى الاخص بأمر مستقبل الاولاد) ، حتى تتحقق مساواة المراة فعلا وحتى تؤدي هذه المساواة ، استنـــادا الى كل الخبرات السابقة ، الى تيسير التزام الرجال بأحادية الزواج اكثر بكثير مما ستؤدي الى تيسير تعدد الازواج لدى النساء .

لكن ما سيزول بكل تأكيد من الزواج الاحادي هو تلـــك السمات المميزة التي طبعته بها شروط الملكية التي يدين لهـــا بنشأته . وهذه السمات المميزة هي ، اولا ، هيمنـــة الرجل ، وثانيا ، استحالة فسخ الزواج . ان هيمنة الرجل في الزواج هي محض نتيجة لهيمنته الاقتصادية ، وستزول من تلقاء نفسهـــا بزوال هذه الاخيرة . اما استحالة فسخ الزواج فهي ، جزئيا ، نتيجة الوضع الاقتصاذي الذي تأسس فيه الزواج الاحادي ، وجزئيا ، تقليد موروث عن ذلك الزمن الذي لم تكن قد فهمت فيه بعد الصلة بين ذلك الوضع الاقتصادي وبين الزواج الاحـــادي فهما صحيحا والذي كان فيه الدين يفسر تلك الصلة تفســـيرا مشوها . ان استحالة الفسخ تلك عرضة من الان للتآكل والانتهاك من الف جانب وجانب . ولئن يكن الزواج القائم على الحب هـــو وحده الاخلاقي ، فانه لن يبقى كذلك الا ما دام الحب باقيا . لكن مدة تأجج جذوة الحب الجنسي الفردي تختلف كثيرا باختـــلاف الافراد ، وبخاصة لدى الرجال . وحين يستنفد الميل استنفادا كاملا او حين يحل محله حب جديد مشبوب العاطفة ، يغـــدو الطلاق عملا حسنا بالنسبة الى الطرفين كما بالنسبة الى المجتمع. وكل ما هنالك ان الناس توفّر عليهم في هذه الحال مشقـــة التخبط في وحل دعاوى الطلاق .

اذن ، ان ما يمكننا ان نتكهن به من الان فيما يتعلق باشكال العلاقات الجنسية بعد تكنيس الانتاج الراسمالي ــ وهو تكنيس بات وشيكا ــ يتسم على الاغلب بطابع سلبي ، ويقتصر بصـــورة رئيسية على ما سيزول . ولكن ما العناصر الجديدة التي ستطرا

على تلك العلاقات ؟ هذا سيتقرر بعد ان يترعرع جيل جديد : جيل من رجال ما تأتى لهم قط في حياتهم ان اشتروا جسد المراة بالمال او بأي وسيلة اخرى من وسائل السلطـــان الاجتماعي ، وجيل من نساء ما وجدن انفسهن قط في حياتهن مضطرات الى الاستسلام لرجل لغير دافع الحب الحقيقي ، او مضطرات الى الامتناع عن الاستسلام لمن يحببن خوفا من العواقب الاقتصادية لهذا الاستسلام . ويوم يظهر هؤلاء الناس الى حيز الوجود ، فانهم لن يأبهوا البتة بالافكار السائدة اليوم حول ما ينبغي عليهم فعله ؛ فهم سيجدون لانفسهم بأنفسهم ممارستهم ، وسيخلقون الراي العام المطابق الذي سيحكمون بموجبه على سلوك كل فرد ـ هذا كل ما في الامر .

«اصل الاسرة والملكية الخاصـــة والدولة ـ الفصل الثاني»

التقسيم الاول للعمل وهزيمة النســـاء التاريخيـــة

مع اقتناء قطعان الماشية وغير ذلك من الثروات الجديدة ، حدثت ثورة في الاسرة . فقد كان تحصيل اسباب المعيشة من شؤون الرجل على الدوام، فكان هو الذي ينتج الوسائل الضرورية لهذا الغرض وكان هو مالكها . وكانت القطعان تشكل الوسائـل الجديدة للكسب ؛ وكان من شأن الرجل تدجينها اولا ، وحراستها ثانيا . ولهذا كانت الماشية تخصه ؛ مثلما كانت تخصه البضائع والعبيد التي كان يقايضها مقابل رؤوس الماشية . وصار كـــل الربح الذي يدره الان الانتاج يعود الى الرجل ؛ وكانت المـــراة

تستفيد هي ايضا من هذا الفائض ، ولكن لم يكن لها من حصة في ملكيته . لقد كان «المتوحش» ، المحارب والصياد ، يكتفي في البيت بالمرتبة الثانية بعد المراة ؛ اما الراعي «الاكثر دماثة اخلاق» فقد احتل ، متبجحا بثروته ، المرتبة الاولى ، وازاح المراة الى المرتبة الثانية . وما كان يسعها ان تتشكى وتتذمر . فقد كان تقسيم العمل في الاسرة قد حدد توزيع الملكية بين الرجل والمراة؛ وبقي هذا التوزيع قائما كما هو ، ولكنه راح يقلب الان العلاقات البيتية السابقة لمجرد ان تقسيم العمل خارج الاسرة قد تغير . ان السبب الذي كان قد ضمن من قبل للمراة تفوقها في البيت ـ اي انصرافها الى الاعمال المنزلية وحدها ـ ان السبب نفسه قد ضمن الان للرجل التفوق في البيت : فعمل المراة المنزلي قد فقد الان اهميته بالقياس الى عمل الرجل الانتاجي ؛ فعمله هو كل شيء بينما عملها مجرد تكملة غير ذات شأن . ومن ذلك الحين اتضح ان انعتاق المراة وتساويها في الوضع مع الرجل امر غير ممكن وسيبقى غير ممكن ما دامت المراة مقصية عن العمل الانتاجي الاجتماعي ومضطرة الى الاكتفاء بالعمل البيتي الخاص . ولن يغدو انعتاق المراة قابلا للتحقيق الا متى استطاعت اولا ان تشارك في الانتاج على نطاق اجتماعي كبير ومتى صار العمل البيتي لا يستغرق من وقتها الا قدرا طفيفا . وهذا ما لم يصبح ممكنا الا بفضل الصناعة الكبيرة الحديثة التي لا تسمح بعمل النساء على نطاق واسع فحسب ، بل تتطلبه بإلحاح وتنزع اكثر فاكثر الى تحويل العمل البيتي الخاص الى نشاط عام .

«اصل الاسرة والملكية الخاصة والدولة ـ الفصل التاسع»

الخيانة الزوجية
بين المرأة الارستقراطية والمرأة البورجوازية

يقدم لنا بلزاك ، الذي أعده استاذا من اساتذة الواقعيـــة اعظم اهمية بما لا يقاس من جميع اضراب زولا في الماضي والحاضر والمستقبل ، يقدم لنا في **الملهاة البشرية** (١) اروع قصة واقعية لـ «المجتمع» الفرنسي تصف في شكل تأريخي ، سنة فسنـــة تقريبا ــ من ١٨١٦ الى ١٨٤٨ ــ الضغط المتعاظم باستمرار الذي تمارسه البورجوازية على المجتمع الراقي الذي اعاد تنظيـــم صفوفه، بعد ١٨١٥ ، وقدم من جديد ، وبالقدر الممكن يومئذ ، نموذجا للياقة الفرنسية القديمة . وهو يُبين لنا كيـــف راحت بقايا ذلك المجتمع ، الذي يعده نموذجيا ، تضمحل شيئا فشيئا تحت ضغط محدث النعمة السوقي . ويصف كيف تحل محـل السيدة النبيلة ، التي لم تكن خياناتها الزوجية سوى وسيلـــة لتوكيد ذاتها والتي كانت على مستوى المكانة التي يهيئها لهـــا الزواج ، المرأة البورجوازية التي تركّب لزوجها قرونا حبا بالمال وترهات الزينة . وانما حول هذه اللوحة المركزية مَحور بلزاك كل تاريخ المجتمع الفرنسي .

«من رسالة الى الكاتبة م. هاركنس ــ نيسان ١٨٨٨»

---

١ ــ الملهاة البشرية : العنوان العام الذي اطلقه بلزاك على رواياته ابتداء من عام ١٨٤٢ وكأنها كتبت حسب خطة واحدة . «م»

أوغست بيبل

قضية المرأة
وجه من المسألة الاجتماعية

اننا نعاصر ثورة اجتماعية كبرى تتعاظم ابعادها يوما بعد يوم. ويعتمل الان في جميع طبقات المجتمع بحدة لا تني تتزايد باستمرار غليان وهيجان نفوس . الجميع يدركون ان الارض تميد تحت مواطىء اقدامهم . وقد برز عدد غفير من المسائل التي يدور النقاش بصدد حلها في كلا الاتجاهين . وان لواحدة من اهم المسائل المطروحة هي تلك التي تسمى بمسألة المرأة .

ما المكانة التي ينبغي للمرأة ان تشغلها في جسمنا الاجتماعي؟ كيف يسعها ان تطور قدراتها جميعا وطاقاتها كافة حتى تغدو في المجتمع الانساني عضوا كاملا ، له ما للجميع من حقوق ، قادرا على اظهار كل ما أوتي من قدرة على النشاط ؟ ان هذا السؤال يتداخل ، في راينا ، مع ذاك المتعلق بمعرفة التنظيم الذي ينبغي

ان يتلقاه المجتمع الانساني حتى يحل محل شتى أشكال الاضطهاد والاستغلال والعوز والبؤس انسانية حرة ، مجتمع موفور الصحة ، سواء أمن وجهة النظر المادية ام من وجهة النظر الاجتماعية . ليست مسألة المرأة في نظرنا اذن سوى واحد من جوانب المسألة الاجتماعية العامة التي تشغل الان خواطر الجميع وتجيش لها عقولهم ومشاعرهم . وبناء عليه ، لا سبيل الى ان تحظى بحلها النهائي الا في اطار الغاء التناقضات الاجتماعية وزوال الشرور الناجمة عنها .

«المرأة والاشتراكية» (١)

النسوية البورجوازية
وصراع الطبقات

يترتب على ذلك ان للنساء جميعا ، دون تمييز في المرتبة الاجتماعية ، ومن خلال وَضعهن كجنس يهيمن عليه الرجال ويهضمه حقوقه ، مصلحة في ان تتغير حالة الاشياء بواسطة اصلاحات في الاوضاع الاجتماعية القائمة واعادة النظر في القوانين . ان الغالبية الساحقة من النساء لهن اعظم المصلحة في تبدل هذا الوضع تبدلا جذريا . وعلى هذا النحو ستزول عبودية العمل المأجور التي تئن غالبيتهن تحت نيرها ، كما ستزول العبودية الجنسية المرتبطة وثيق الارتباط بشروط الملكية والصناعة .

---

١ ــ نشرت دار الطليعة قسما مطولا من هذا الكتاب تحت عنوان «المجتمع المستقبل» . «م»

ان النساء المهتمات بالحركة النسوية البورجوازية لا يدركن ضرورة مثل ذلك التغيير الجذري . وتحت تأثير المكانة المتميزة التي يشغلنها في المجتمع ، يرين في الحركة النسوية البروليتارية وشتى صبواتها ميولا خطرة ، وغير معقولة ، وتجب مكافحتها . وعلى هذا النحو ، لا يكتفي فارق الطبقات بأن يحفر هوة بين العمال والراسماليين ، بل يحدث مفاعيله ايضا في قلب الحركة النسوية . وهذه المفاعيل تتزايد اهمية طردا مع تزايد توتر العلاقات الاجتماعية .

«المراة والاشتراكية»

تاريخ المراة هو
تاريخ اضطهادها

الصفة الجامعة بين المراة والشغيل هي التالية : كونهما كليهما رازحين تحت نير الاضطهاد . وقد طرات على هذا الاضطهاد تعديلات في شكله ، باختلاف الازمان والبلدان ، لكن الاضطهاد ظل قائما . وكثيرا ما وعى المضطهَدون ، عبر التاريخ، اضطهادهم ، وادى هذا الوعي الى تعديلات وتسكينات لاوضاعهم . لكنهم ما استطاعوا ان يحددوا الطبيعة الحقيقية لهذا الاضطهاد . ولدى المراة كما لدى الشغيل ، يرقى تاريخ هذه المعرفة الى ايامنا هذه فحسب .

لقد كان من الواجب اولا ان تعرف الطبيعة الحقيقية للمجتمع وللقوانين التي كانت بمثابة الاساس لتطوره حتى يتوفر حظ من النجاح لاي حركة تريد ان تضع حدا لاوضاع يعلم الجميع انها ظالمة ومجحفة . واهمية حركة كتلك واتساع مداها مرهونان

بوعي الفئات المغبونة وبحرية الحركة المتاحة لها .

من هذا المنظور المزدوج نجد المراة دون الشغيل مكانة ، سواء امن حيث الاعراف والتربية ام من حيث الحرية المتاحة لها . وبالاصل، ان الشروط التي تستمر على حالها اجيالا واجيالا تغدو في النهاية عادات : فالوراثة والتربية تجعلانها تبدو «طبيعية» في انظار الاطراف المعنية . على هذا النحو لا تزال المراة تقبل حتى في ايامنا هذه بدونية وضعها باعتبارها امرا بديهيا . وشاقة هي مهمة كل من يريد ان يثبت لها ان وضعها لا يليق بها ،وان عليها ان تسعى الى ان تصير في المجتمع عضوا يتمتع بنفس ما يتمتع به الرجل من حقوق ، وعديلته المساوية له من كل النواحي .

واذا كان ثمة نقاط تشابه كثيرة بين وضع المراة ووضع العامل ، فان بينهما ايضا فارقا اساسيا : **فالمراة هي اول كائن بشري اضطر الى ان يرسف في قيود العبودية** . فقد كانت عبدة قبل ان يكون العبد .

ان كل تبعية اجتماعية تعود في اصلها الى تبعية المضطهَد الاقتصادية للمضطهِد . ومن ازمنة لا تعيها الذاكرة ، وجدت المراة نفسها في ذلك الوضع ؛ وهذا ما نعلمه علم اليقين من تاريخ تطور المجتمع الانساني .

«المراة والاشتراكية»

النساء والثورة الفرنسية

ان الحركة الفكرية الكبرى ، التي تجسدت على امتداد القرن الثامن عشر في رجال من امثال مونتسكيو وفولتير ودالامبير وهولباخ وهلفسيوس ولامتري وروسو وآخرين ، لم تقابل من النساء بعدم الاكتراث . ولئن انجرفت كثيرات منهن في تيار

الحركة مجاراة للموضة ، او اشباعا لرغبتهن في المغامرات والدسائس ، او لأي دوافع اخرى مماثلة ، فان الكثيرات منهن ايضا شاركن مشاركة فعالة في الحركة التي ساوت بين أسس المجتمع واطاحت بالنظام الاقطاعي .

فعلى امتداد العشرين سنة التي سبقت انفجار ثورة ١٧٨٩ الكبرى التي مرت فوق فرنسا كالعاصفة المطهرة وقطعت أوصال البنيان الاجتماعي القديم وحررت العقول ، كانت النساء يقبلن بأعداد غفيرة على النوادي السياسية والعلمية . وقد بذلن مساعدتهن في الاعداد للثورة التي حولت النظريات الى وقائع .

حين بدأت الثورة الكبرى اخيرا في تموز ١٧٨٩ بالاستيلاء على الباستيل ، شاركت في الحركة نساء الطبقات الراقية ونساء الشعب على حد سواء ، ومارسن تأثيرا مرموقا لصالح الحركة او ضدها . وقد بذلن ، بما عرفن به من فرط حمية في الخير كما في الشر ، معاونتهن حيثما سنحت لهن الفرصة. ولكن معظم المؤرخين لم يدونوا الا أعمال الشطط والتجاوزات التي ارتكبت ـ وقد كانت محتمة نتيجة للفساد المستشري والاستغلال والاضطهاد واحتقار الطبقات المالكة للشعب وخيانتها له . وبالمقابل هونوا من شأن الاعمال البطولية او مروا بها مرور الكرام ولزموا الصمت بصددها . وتحت تأثير هذا الحكم السطحي انشد شيلر: «تحولت النساء الى ضباع وهزئن بالخوف» . بيد انهن ضربن في الواقع امثلة كثيرة على البطولة والمروءة والتفاني الذي ينتزع الاعجاب في تلك السنوات الرهيبة ، بحيث ان تحرير كتاب منصف وغير متحيز عن «النساء ابان الثورة الكبرى» سيكون بمثابة نصب يرفع على شرفهن (١) . وقد قال ميشليه (٢) ان

---

١ ـ راجع ايما آدلر : «شهيرات نساء الثورة الفرنسية» ، بالالمانية ، فيينا ١٩٠٦ .

٢ ـ كاتب ومؤرخ فرنسي ليبيرالي (١٧٩٨ ـ ١٨٧٤) . «م»

النساء كن طليعة الثورة .

كما هي الحال في كل زمان ، عض البؤس العام الذي كان يخيم على الشعب الفرنسي النساء في المقام الاول بنابه . فقد كانت القوانين السارية المفعول تسد في وجوههن ابواب كل مهنة شريفة ، فسقطن بعشرات الآلاف في بؤرة البغاء . اضف الى ذلك مجاعة ١٧٨٩ التي رفعت بؤسهن وبؤس ذويهن الى نقطة الاوج . وقد هاجمن دار البلدية ، وتوجهن بجموع غفيرة نحو فرساي حيث كان البلاط الملكي . وطالبت اخريات في عريضة لهن الجمعية الوطنية بـ «اقرار المساواة بين الرجل والمراة ، وبمنحهن حرية العمل ، وبقبولهن في الوظائف التي تؤهلهن لها قابلياتهن». وبما انهن كن يدركن انه لا غنى لهن عن القوة ليحصلن على تلك الحقوق ، وبما ان القوة لا تتأتى الا بالتنظيم والاتحاد ، فقد نظمن في جميع ارجاء فرنسا نوادي نساء ، ضم بعضها عددا كبيرا جدا من العضوات . وقد شققن طريقهن ايضا الى نوادي الرجال . وفيما كانت السيدة رولان تحاول ، بما أوتيت من ذكاء ، ان تلعب دورا سياسيا راجحا في صفوف الجيروندين ، «رجال دولة» الثورة ، كانت اولمب دي غوج ، الملتهبة حماسة والمفوهة لسانا ، تتولى قيادة نساء الشعب وتذود عنهن بما عرفت به من اندفاع جارف .

حين اعلنت الجمعية التاسيسية في ١٧٩٣ **حقوق الانسان** ، ادركت ذوات البصيرة والنظر الثاقب من النساء ان تلك الحقوق هي للرجال وحدهم . وبادرت اولمب دو غوج وروز لاكومب واخريات الى معارضة تلك الحقوق بـ «حقوق المراة» في سبع عشرة مادة ، استنادا الى التصريح التالي الذي ادلي به في ٢٨ برومير (٢٠ تشرين الثاني ١٧٩٣) امام بلدية باريس : «اذا كان

من حق المراة ان تصعد الى منصة الاعدام ، فمن حقها ايضا ان ترتقي منصة الخطابة» . وقد رُدت تلك المطالب ورفضت . ولكن قام الدليل ، ولو بصورة دامية ، على صحة ما قلنه بصدد الحق في ارتقاء منصة الاعدام . فالذود عن حقـــوق المراة من جهة ، والنضال ضد تجاوزات الجمعية التأسيسية من الجهة الثانية ، رشحاهن للمقصلة . وقد فصل راس اولب دي غوج في شهر تشرين الثاني من العام نفسه ؛ وقضت السيدة رولان نحبها بعد خمسة ايام . وقد ماتت كلتاهما ميتة الابطال . وقبيل مصرعهما، كانت الجمعية التأسيسية قد دللت في ١٧ تشرين الاول ١٧٩٣ على عدائها للنساء بإغلاقها النوادي النسائية كافة . وفي وقت لاحق ، ونظرا الى ان النساء والين الاحتجاج على الجور اللاحق بهن ، حرم عليهن حتى الدخول الـى الجمعية التاسيسيـــة والاجتماعات العامة ، وعوملن معاملة المتمردات .

ومع ذلك ، حين اعلنت الجمعية التأسيسية ، في مواجهة اوروبا الرجعية الزاحفة باسرها ضدها ، ان «الوطن في خطر»، ودعت جميع الرجال القادرين على حمل السلاح ان يهبوا بسرعة للذود عن حياض الوطن والجمهورية ، عرض عدد من الباريسيات الملتهبات حماسة ان يفعلن ما فعلته حقا وفعلا بعد عشرين عامـا نساء بروسيات ضد استبداد نابليون : الدفاع عن الوطـــن والبندقية باليد .

«المراة والاشتراكية»

الحب والبؤس

لا مجال لدى الطبقات الدنيا للزواج من اجل المال . فالعامل

يتزوج بصورة عامة عن حب؛ ولكن كثيرة هي العقبات التي تقف في وجه سعادة العامل الزوجية .

ان عدم الطمأنينة والتقلب سمة حياته . فضربات القدر تجعل الطباع تخشوشن ، فتؤثر اول ما تؤثر على الحياة البيتية، حين يجد الاب نفسه مطالبا كل يوم ، كل ساعة ، من قبل المراة والاولاد بالقليل القليل الذي لا غنى عنه من دون ان يقدر على تلبية مطالبهم . وهكذا تقع المشاحنات والشقاق . وذلك يقوض الزواج وحياة الاسرة من أسسهما . وقد يذهب الرجل والمراة كلاهما الى العمل. وعندئذ يترك الاولاد ليتدبروا امرهم بانفسهم، او برعاية اخوتهم واخواتهم الاكبر سنا ، مع ان هؤلاء بحاجة هم ايضا الى العناية والتربية . اما ما يسمى بالغداء ، بوجبة الظهر البائسة ، فانه يبتلع ابتلاعا بعجلة كبيرة ، هذا اذا اتيح للوالدين اصلا ان يرجعا الى بيتهما ، وهو امر مستحيل في آلاف الحالات، نظرا الى بعد المسافة بين الورشة والبيت ونظرا الى قصر مدة الاستراحة .

في المساء يؤوب الاثنان الى المنزل ، وقد هدهما التعب . وبدلا من بيت محبب وضاحك ، يلقيان مسكنا ضيقا ، وسخا ، قليل الهواء والنور ، ومفتقرا في غالب الاحوال حتى للضروريات الاولى . والحق ان طريقة اسكان العمال ببؤسها والمحاذير المترتبة عليها هي جانب مظلم وقاتم من جوانب مجتمعنا ، وعنها تنجم شرور كثيرة وجرائم عديدة . ورغما عن جميع المحاولات التي بذلت في هذا الصدد في المدن وفي الاحياء العمالية ، لا ينبي الوضع يزداد تفاقما وتدهورا سنة بعد سنة . كما انه لا ينبي ينشب مخالبه في دوائر آخذة بالاتساع المستمر : صغار الصناعيين ، المستخدمين ، الاساتذة ، صغار التجار ، الخ . وزوجة العامل ، التي تؤوب مساء منهكة القوى ، تجد الاعمال المنزلية متراكمة عليها ، فتؤدي منها بكل عجلة ما لا بد من تاديته . وحين يهدأ صراخ الاولاد ويسكن ضجيجهم ويضمهم

الفراش ، تجلس المراة وتخيط وترفأ الى ساعة متاخرة من الليل.

لا وجود البتة للتسليات الفكرية وللألاهي التي لا غنى عنها للفكر . فالزوج غير متعلم ، ولا يتمتع بمعرفة تستحق الذكر ، والمراة متخلفة في هذا المجال حتى عنه ؛ والقليل الذي يستطيعان ان يتبادلا الحديث بصدده سرعان ما ينضب معينه . وهكذا يذهب الرجل الى الحانة بحثا عن المحادثة التي لا وجود لها في بيته ؛ وهناك يشرب ، ومهما قل انفاقه ، يكن هذا الانفاق فوق طاقته. وقد يتعاطى احيانا القمار ، وهذه رذيلة يكثر ضحاياها لـــدى الطبقات الراقيـة ، ويخسر فيه اكثر مما ينفق فـــي الشرب بعشرة اضعاف . وفي ابان ذلك ، تطلِق المراة المنهمكة في العمل العنان لضغينتها على زوجها : فهي تكد وتكدح كدابة الركوب ، ولا تذوق طعما للراحة ولو لهنيهة من الزمن ، ولا تعرف معنى للتسلية . اما الرجل فانه يستغل الحرية التي يدين بها لمصادفة كونه قد ولد رجلا . وهكذا يكون سوء التفاهم كاملا .

اذا كانت الزوجة اقل اخلاصا لواجباتها ، واذا ما آبت مساء الى البيت وقد انهكها العمل ، واباحت لنفسها الراحة التي هي من حقها ، سارت امور البيت على اسوأ وجه ، وتفاقم البؤس واستطار شره . اجل ، اننا نحيا ، في الحقيقة ، في «افضـــل عالم ممكن» .

«المراة والاشتراكية»

المطبخ : عدو المراة التاريخي

ان المطبخ بالنسبة للايين النساء واحد من اكثر المؤسسات انهاكا وتضييعا للوقت والجهد : انه يهدم صحتهن ويصيبهـــن بالاكتئاب ، كما انه مصدر ازعاج مستمر لاولئك ــ وهن الغالبية ــ

اللاتي لا يملكن الا مصادر فقيرة . وسيكون الغاء المطبخ الخاص خلاصا لعدد لا يحصى من النساء . فالمطبخ مؤسسة بالية شانها شأن ورشة الحرفي : كلاهما ينطوي اليوم على سوء الادارة وضياع الوقت والجهد والحرارة والضوء والمواد الغذائية ، الخ.

«المرأة والاشتراكية»

امراة المستقبل

ان امراة المستقبل مستقلة اجتماعيا واقتصاديا ، فهي لا تعود خاضعة لاي اثر من السيطرة او الاستغلال ، فهي حرة وعلى قدم المساواة مع الرجل ، وهي سيدة مصيرها . تعليمها هو التعليم نفسه الذي يتمتع به الرجل ، باستثناء بعض تعديلات تتطلبها الاختلافات بين الجنسين والوظائف الجنسية . ولانها تعيش في ظروف طبيعية ، فانها قادرة على تدريب قواها وملكاتها البدنية والذهنية وتنميتها بما يتفق واحتياجاتها . وهي تختار مهنتها في مجال يتفق مع رغباتها وميولها ومواهبها ، وتتمتع بشروط للعمل مطابقة لشروط عمل الرجال . وحتى اذا كانت تشتغل بحرفة ما لعدة ساعات فان لها ان تمضي جزءا آخر من يومها في العمل كمعلمة ، او موجهة ، او ممرضة ، وأن تكرس الجزء الثالث من يومها لفن من الفنون ، او لدراسة بعض فروع العلم ، وان تبقي جانبا جزءا آخر لعمل اداري . انها تشارك في الدراسات والعمل ، وستتمتع بالتنوع والترفيه مع غيرها من النساء او مع الرجال على النحو الذي تهواه ووفقا لما تسمح الظروف .

والمراة ـ في اختيارها لموضوع حبها ـ شانها شأن الرجل ـ

حرة ولا تتعرض لاي تعويق . فهي تطارح الغرام او يطارحها غيرها الغرام ، وتدخل في اتحاد لا تحكمه اية اعتبارات الا ميولهـــا الخاصة . فهذه الرابطة اتفاق خاص ، يتم التوصل اليـه دون توسط من جانب احد الموظفين ــ تماما كما كان الزواج اتفاقـا خاصا حتى زمن متاخر من العصور الوسطى . والاشتراكية لا تخلق شيئا جديدا هنا ، انما هي تستعيد في مرحلة اعلى من المدنية وتحت اشكال اجتماعية جديـــدة **ما كان سائدا بصورة شاملة قبل ان تبدا الملكية الخاصة تسود المجتمع .**

فسوف يسعى الفرد الى تلبية احتياجاته الخاصة ، عمـــلا بالمبدأ القائل بأن اشباع غرائزه لا يلحق اي اذى او ضرر بالآخرين، **فاشباع الغريزة الجنسية مسالة شخصية تماما شانها شـــان اشباع اية غريزة طبيعية اخرى** . فلا احد يحاسب عليها امـــام الآخرين ، ولا يملك قاض غير مفوض حق التدخل فيها . ان ما سآكله ، وكيف سأشرب وانام والبس ، هـــي من شؤونـــي الخاصة ، وكذلك الحال بالنسبة لمضاجعتي لشخص من الجنس الآخر . فالذكاء والثقافة والاستقلال التام للفرد ــ وكل الصفات التي ستنشأ بصورة طبيعية نتيجة للتعليم والظروف التي تسود مجتمع المستقبل ــ ستحمي كل فرد من ارتكاب افعال تكون ضارة به . اذ سيتملك رجال مجتمع المستقبل ونساؤه درجة اعلـــى بكثير من الانضباط الذاتي والمعرفة الذاتية من اولئك الذيـــن يعيشون اليوم . وستضمن الحقيقة البسيطة ــ حقيقة حتمية زوال كل الاحتشام المتطرف الى حد الغباء والتكلف المثير للسخرية فيما يتعلق بمناقشة المسائل الجنسية ــ ستضمن ان الجماع بين الجنسين سيكون اكثر طبيعية مما هو اليوم. فاذا تبين لشخصين دخلا معا في اتحاد انهما غير متوافقين ، او خاب املهما الواحد في الآخر ، فان الاخلاق تتطلب ان يتم حل هذه الرابطة غـــير الطبيعية ، وغير الاخلاقية بالتالي . وحيث ان الظروف التـــي

سادت حتى الان ، والتي تدين عددا كبيرا من النساء اما لعزوبتهن وإما لبيعهن اجسادهن ، ستكون قد اختفت ، فان الرجال لن يعودوا قادرين على الاحتفاظ بأي تفوق . ومن ناحية اخرى فان الظروف الاجتماعية المتحولة سوف تزيل كثيرا من عوامل الكبت والمنغصات التي تؤثر على الحياة الزوجية اليوم ، والتي تمنعها غالبا من التفتح ، او حتى تجعلها مستحيلة .

«المراة والاشتراكية»

الزواج والارث
وحرية المرأة

الزيجات المرتبة هي الاجراء الاخلاقي المتبع في المجتمع البورجوازي، هي الاتحاد «الاخلاقي» الوحيد للجنسين . والزواج البورجوازي ـ وقد برهنا على هذا بما لا يدع مجالا لتناقض ـ هو نتيجة علاقات الملكية البورجوازية. اذ يتم الدخول في هذا الزواج ـ الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بالملكية الخاصة وبحق الارث ـ بغرض انجاب ابناء «شرعيين» ليكونوا ورثة . وتحت ضغط الظروف الاجتماعية يتم فرضه ايضا على اولئك الذين لا يملكون شيئا يورّثونه . ويصبح الزواج قانونا اجتماعيا ، تعاقب الدولة على انتهاكه بالحكم على الرجال والنساء الذين يمارسون الزنا والذين يفصلون بفترات من السجن .

في المجتمع الاشتراكي ليس هناك شيء يورّث ، وذلك ما لم يعتبر المرء ان الاوعية المنزلية والمتعلقات الشخصية ميراثا ؛ ومن ثم فان الشكل الحديث للزواج يصبح شكلا باليا . وبذلك تحل مشكلة الارث ، ولن تكلف الاشتراكية نفسها مشكة الغائه . فعندما لا تعود هناك ملكية خاصة ، لا يمكن ان يكون هناك حق

ارث . وهكذا تكون المراة حرة ، ولا يحد اطفالها من حريتها ، انما يمكنهم فقط ان يضاعفوا المتعة التي تستمدها مـــن الحياة . وستكون المرضات والمدرسات والنساء الصديقات والجيـــل الصاعد من الاناث كلهن مستعدات لمساعدة الام عندما تحتـــاج اليها .

«المراة والاشتراكية»

بول لافارغ

المثل الاعلى للبورجوازية عن المراة

راى البورجوازي ولا يزال يرى ان المراة يجب ان تلزم البيت وان تقف نشاطها على السهر على البيت وتدبير اموره ، وعلى الاعتناء بزوجها ، وعلى انجاب الاولاد وإرضاعهم . وقد سبق لكسينوفون (١) ، فيما كانت البورجوازية في طريقها الى رؤية النور والظهور الى حيز الوجود في مجتمع العهد القديم ، ان رسم الخطوط الكبرى لمثله الاعلى في المراة . ولكن لئن بدا ذلك المثل الاعلى معقولا على امتداد قرون وقرون ، نظرا الى انه كان يتوافق والاحوال الاقتصادية المزدهرة ، فانه لم يعد اليوم الا

---

١ ــ كسينيفون (نحو ٤٢٧ ــ ٣٥٥ ق.م) : مؤرخ وفيلسوف وقائد اثيني ، من تلاميذ سقراط . «م»

رسابة ايديولوجية منذ ان زالت تلك الظروف .

ان تدجين المرأة يفترض ان تقوم في المنزل بوظائف متعددة تستهلك طاقتها كلها ؛ والحال ان اهم تلك الاشغال المنزلية واشدها استرقاقا ـ غزل الصوف والكتان ، الحبك ، تفصيل الملابس وخياطتها ، الغسيل ، الخبازة ، الخ ـ تتولى اداءها اليوم الصناعة الراسمالية . ويفترض تدجين المرأة ايضا ان يتكفل الرجل ، بكسبه وبحصته في البائنة، بسد الحاجات المادية للاسرة ؛ والحال ان الزواج لدى البورجوازية الميسورة هو اتحاد رساميل بقدر ما هو اتحاد اشخاص ، وكثيرا ما تكون حصة الزوجة من البائنة اكبر من حصة الرجل (١)؛ اما لدى البورجوازية

---

١ ـ لعبت البائنة دورا حاسما في تاريخ المرأة : ففي بداية الحقبة البطريركية كان الزوج يشتريها من والدها الذي يتوجب عليه ان يرد لهذا الزوج سعر مبيعها اذا ما طردها لسبب من الاسباب واعادها الى اسرتها ، ثم صار سعر الشراء يسلم اليها ليشكل بائنتها التي اعتاد اهلها على مضاعفتها لها . ومن اللحظة التي تدخل فيها الزوجة الى بيت الزوج ومعها بائنة ، لا تعود عبدة يحق له ان يطردها او يبيعها او يقتلها . والبائنة ، التي كانت ترهن عليها في روما وأثينا املاك الزوج ، كان يتوجب ان تعاد اليها في حالة الصرف او الطلاق ، مقدمة في ذلك على اي دين آخر . جاء في مقطع ليوروبيدوس : «لا متعة للرجل بالثروة التي تحملها المرأة معها الى البيت ، فلا غاية لهذه الثروة الا ان تزيد في صعوبة الطلاق» . ويسخر المؤلفون الهزليون من الازواج الذين يسقطون ، بفعل البائنة ، تحت سلطان الزوجة . يقول احد ابطال بلوتس لزوج يؤنب زوجته : «لقد قبلت بمال البائنة وبعت سلطانك» . وكانت السيدات الرومانيات الثريات يتواقحن الى حد حرمان الزوج من ادارة بائنتهن ، فكن يعهدن بها الى وكلاء ، وكان هؤلاء يؤدون لديهن وظيفة اخرى ، كما يقول مارسيال الخبيث اللسان .

الصغيرة ، فان المدخول والبائنة معا يتدينان الى درجة يضطر معها الاولاد ـ من اناث وذكور ـ الى كسب اسباب معيشتهم في التجارة ، وإدارات السكك الحديدية ، والمصارف ، والتعليم ، والبريد ، الخ ، وكثيرا ما يحدث ان تواصل العروس الصبية العمل خارج البيت لتكميل موارده ، نظرا الى عجز مرتب الزوج عن تغطية نفقاته كافة .

ان بنات البورجوازية الصغيرة ونساءها ، وكذلك بنات الطبقة العاملة ونساءها ، يدخلن في مزاحمة مع آبائهن واخوتهن وازواجهن وهذا التناحر الاقتصادي ، الذي كانت البورجوازية

= كان زنى المرأة يستتبع شرعا الطلاق وردّ البائنة . لكن الازواج كانوا يفضلون على الوصول الى هذه النهاية الموجعة ان يغضوا الطرف عن جهالات زوجاتهن ؛ وقد وجد المشرع في روما واثينا نفسه مكرها على ملاحقتهم حتى يذكرهم بشرف الزواج ؛ وفي الصين يضربون بعصي الخيزران عددا معلوما من الضربات على اخمص أقدامهم . ولم تكن العقوبات بكافية لتحض الرومانيين على تطليق زوجاتهم الزانيات ؛ فأباح القانون ، رفعا منه لفضيلة الذكور ، لاولئك الذين يفضحون خيانة زوجتهم ان يقتطعوا جزءا من البائنة ؛ فصار بعض الرجال يومئذ لا يتزوجون الا بغية ضبط زنى زوجاتهم . وقد احتالت السيدات الرومانيات على القانون بتسجيلهن انفسهن لدى القاضي في لائحة المومسات لانه لا يسري عليهن . وقد بلغ عدد السيدات الرومانيات المسجلات مبلغا اضطر معه مجلس الشيوخ ، في عهد تيباريوس ، الى اصدار مرسوم يحظر على «السيدات اللواتي لهن فارس في عداد اجدادهن او آبائهن او ازواجهن المتاجرة بأجسادهن» (تاقيطس : «الحوليات» ، ٢ ، ٨٥) .

لقد عم زنى النساء في بيئة الاشراف في العهد القديم وفي المجتمع الارستقراطي في القرن الثامن عشر وانتشر على نطاق واسع بحيث صار يعتبر عرفا من الاعراف الدارجة ، وينظر اليه بشيء من الطرافة على انه مكمل للزواج وملطف له .

قد منعت حصوله بحجرها على المراة بين جدران البيت العائلي ، يعم وينتشر ويزداد حدة طردا مع تطور الانتاج الرأسمالي ؛ وهو يغزو ميدان المهن الحرة ـ الطب ، المحاماة ، الادب ، الصحافة ، العلوم ، الخ ـ التي كان الرجل قد آثر نفسه باحتكارها وتصور ان هذا الاحتكار سيدوم له ابدا . وقد كان العمال ، شأنهم في كل مرة ، اول من استخلص النتائج المنطقية من مشاركة المراة في الانتاج الاجتماعي، فاستبدلوا المثل الاعلى للصانع اليدوي ـ المراة ربة منزل فحسب ـ بمثل اعلى جديد : المراة رفيقة نضالاتهم الاقتصادية والسياسية لرفع الاجور وتحرير العمل .

لم تتوصل البورجوازية بعد الى ان تفهم ان مثلها الاعلى قد امسى منذ أمد بعيد عتيقا باليا ، وان عليها ان تعيد صياغته ليكون متطابقا مع الشروط الجديدة للبيئة الاجتماعية . بيد ان سيدات البورجوازية شرعن ، منذ النصف الاول من القرن التاسع عشر ، بالاحتجاج على هوان منزلتهن العائلية ، ذلك الهوان الذي ما كان لهن ان يطقنه وهن اللواتي تضعهن حصتهن من البائنة على قدم المساواة مع الزوج : فتمردن على العبودية المنزلية والحياة المقترة المفروضة عليهن ، وكذلك على حرمانهن القسري من المباهج الفكرية والمادية . ولم تحجم الجريئات منهن عن المطالبة حتى بالحب الحر وعن الانتساب الى الشيع الاشتراكية التي كانت تنادي بتحرر المراة (١) . ومن سذاجة

---

١ ـ اعلن البيان السان ـ سيموني لعام ١٨٣٠ ان ديانة سان ـ سيمون جاءت «لتضع حدا لتلك التجارة المخزية ، للذلك البغاء المشروع الذي يكرس تحت اسم الزواج في غالب الاحيان الاتحاد البشع بين التفاني والانانية ، بين النور والجهل ، بين الشباب والشيخوخة المتهدمة» .

الفلاسفة وعلماء الاخلاق انهم اعتقدوا ان في مقدورهم ايقاف الحركة النسوية عند حدها اذا ما عارضوها بالمصلحة المقدسة للاسرة التي اعلنوا انه لا يمكن ان تقوم لها قائمة اذا لم تسترق المراة على مذبح التدبير المنزلي وضم ازرار القمصان ورفأ الجوارب الخ ، وان عليها ان تنذر نفسها لتلك الاشغال الوضيعة والعقيمة حتى يتمكن الرجل بملء الحرية من ان يعرض ويستعرض مواهبه البراقة والمتفوقة . وكان اولئك الحكماء ، الذين يقرعون ويوبخون البورجوازيات المتمردات على عبادة الاسرة ، هم انفسهم الذين يكيلون الثناء والتقريظ للصناعة الراسمالية التي تدمر الاسرة العمالية بانتزاعها المراة من البيت العائلي ، وبابعادها إياها عن سرير الطفل كي تثقل كاهلها بالاشغال الشاقة في المعمل .

لقد سخرت السيدات البورجوازيات من المواعظ البليدة والاخلاقية لاولئك المنافقين المتبجحين ، وواصلن طريقهن ، ووصلن الى الهدف الذي كن ينشدن ؛ وهكذا تحررت السيدة النبيلة في روما القديمة والسيدة الارستقراطية في القرن الثامن عشر من هموم التدبير المنزلي وارضاع الاطفال والقين بعبء ذلك على عاتق نساء مرتزقات ، ليتفرغن للزينة وليكن ابهى ما في العالم الراسمالي من دمى باذخة التبرج وليروجن التجارة . وقد بلغت آنسات البلوتوقراطية (١) الاميركية وسيداتها آخر حدود هذا الضرب من الانعتاق ، وحولن آباءهن وازواجهن الى مكدسين للملايين التي يبذرنها بجنون . ونظرا الى ان الزينة لا تستنفد كل نشاط سيدات الراسمالية ، فانهن

---

١ ـ البلوتوقراطية : حكومة الاثرياء . . «م»

يتلهين بإحداث اكبر عدد ممكن من الخروق في عقـــد الزواج بضربات من الموسى توكيدا منهن لاستقلالهن وتحسينا للسلالة . يلحظ **البيان الشيوعي** ان عددا لا يقع تحت حصر من دعـــاوى الزنى والانفصال بالجسد وبالاموال لهو شهادة لا يرقى اليها شك على مدى الاحترام الذي يكنه البورجوازيـــون من كلا الجنسين لروابط الزواج المقدسة التي كان الاشتراكيون الاباحيون يتحدثون عن حلها .

حين بدأت بنات البورجوازية الصغيرة ونساؤها ، المكرهات على كسب معيشتهن وزيادة موارد الاسرة ، بغـــزو المخازن والادارات والبريد والمهن الحرة ، انتاب البورجوازيين القلق على موارد رزقهم التي هي بالاساس محدودة ، والتي ما كان للمزاحمة النسائية الا ان تزيدها تدهورا . وقد خيل للمثقفين ، الذيـــن اخذوا على عاتقهم الدفاع عن الذكور ، انه من الفطنة وبعد النظر الا يعودوا الى مواعظ الاخلاقيين وتقريعاتهم بعد الفشل الذريع الذي منوا به لدى البورجوازيات الثريات ؛ فاستنجدوا بالعلم ، واثبتوا بحجج لا تدحض ، وليس لها من العلم الا سطحه وظاهره، ان المراة لا تستطيع ان تخرج عن نطاق المشاغل المنزلية من دون ان تخرق قوانين الطبيعة والتاريخ . اثبتوا ــ وقد طاب لهم ما اثبتوه ــ ان المراة كائن ادنى ، عاجز عن تلقي ثقافة فكرية رفيعة وعن تقديم القدر الواجب من الانتباه والطاقة والمهارة الـــذي تقتضيه المهن الحرة التي دخلن اليها مزاحمات الرجال . فدماغها، الاصغر حجما والاقل وزنا وتعقيدا من دماغ الرجل ، هو «دماغ طفل» ؛ وعضلاتها الاقل تطورا لا قدرة لها على الهجوم ، وعظام ساعدها وحوضها وعنق فخذها ، واخيرا جهازها العظمـــي والعضلي والعصبي بأسره ، لا تسمح لها باكثر من رتابة البيت . وقد اهلتها الطبيعة باعضائها كافة لتكون خادمة الرجل ، مثلما

قضى رب اليهود والمسيحيين الشرير بلعنته على سلالة حام (١) بالعبودية .

وقد اكد التاريخ على اسطح نحو صحة تلك الحقائق ما فوق العلمية ؛ فزعم الفلاسفة والمؤرخون انه يعلمنا ان المراة التابعة للرجل كانت في كل زمان ومكان حبيسة البيت والخدر : فاذا كان ذلك هو قدرها في الماضي ، فكذلك يجب ان يكون مصيرها في المستقبل ، كما صرح جازما اوغست كونت ، الفيلسوف البورجوازي البالغ العمق . وقد بادر لومبروزو (٢) ، المهرج المشهور ، الى تسديد رفسة الحمار اليه ؛ فاكد بجد ما بعده جد ان الاحصاء الاجتماعي يجهر بدونية المراة ، لان عدد المجرمين من النساء اقل من عدد المجرمين من الذكور ؛ ولقد كان في مقدوره ان يضيف القول ، وهو غارق في الارقام ، بأن احصاء الجنون يقدم الدليل على الدونية نفسها . هكذا نرى ان الاخلاق والتشريح وعلم الاعضاء والاحصاء الاجتماعي والتاريخ تقضي الى ابد الآبدين على المراة بالعبودية المنزلية .

«مسالة المراة»

آفاق تحرر المراة

ان الانتاج الراسمالي ، الذي يتكفل بمعظم الاعمال التي

---

١ ــ ثاني اولاد نوح ومن صلبه تحدر الافارقة ، كما جاء في سفر التكوين. «م»

٢ ــ قيصر لومبروزو : طبيب وعالم ايطالي في شؤون الاجرام ، جعل المجرمين في طليعة اذكياء الناس (١٨٣٥ ــ ١٩٠٩) . «م»

كانت المراة تكرس نفسها لها في البيت العائلي ، قد ضم الى جيشه من اجراء المعامل والمخازن والمكاتب والتعليم نساء وبنات الطبقة العاملة والبورجوازية الصغيرة ، ليوفر لنفسه عملا رخيص الثمن . وتحت ضغط حاجته الملحة الى الطاقات الفكرية ، نحى جانبا الحكمة الموقرة والمبجلة لاخلاق الذكور : **القراءة والكتابة والحساب يجب ان تكون كل زاد المراة من المعرفة** . وفرض ضرورة تعليم البنات والصبيان على حد سواء مبادىء العلوم . ولما خطيت الخطوة الاولى ، بات من المستحيل تحظير دخول الجامعات عليهن . واثبتن ان دماغ المراة الذي قال عنه المثقفون انه «دماغ طفل» يضاهي عقل الرجل مقدرة على استيعاب كل التعليم العلمي. ان العلوم المجردة (الرياضيات ، الهندسة ، الميكانيك ، الخ) ، التي كانت اول علوم ابيحت دراستها للنساء ، كانت ايضا العلوم الأولى التي استطعن ان يدللن فيها على مدى مقدرتهن الفكرية ؛ وهن يتصدين الان للعلوم الاختبارية (الفيزيولوجيا ، الفيزياء ، الكيمياء ، الميكانيكا التطبيقية ، الخ)، وقد ظهر في اميركا وانكلترا فريق من النساء اللائي يسرن جنبا الى جنب مع الرجال ، رغما عن دونية شروط التطور الجسمي والمعنوي التي يعشن فيها منذ طفولتهن الاولى .

لم تنتزع الراسمالية المراة من البيت ولم ترم بها في الانتاج الاجتماعي لتحررها ، وانما لتستغلها على نحو أشنع حتى مما تستغل به الرجل ؛ ومن هنا كان الحذر والتمنع عن الاطاحة بالحواجز الاقتصادية والحقوقية والسياسية والاخلاقية التي نصبت للحجر على المراة ضمن جدران البيت الزوجي . والمراة، التي يستغلها الراسمال ، تتحمل بؤس الشغيل الحر وتحمل فوق ذلك اغلال ماضيها . وقد تفاقم بؤسها الاقتصادي ؛ فبدل ان يطعمها الاب او الزوج الذي ما تزال رهن امره وتحت امرته ، يتوجب عليها ان تكسب اسباب معيشتها ، وبحجة ان حاجاتها

اقل من حاجات الرجل ، تتقاضى عن عملها اجرا دون اجره ؛ وحين ينتهي عملها اليومي في المشغل او المكتب او المدرسة ، يبدأ عملها في البيت . وفي المجتمع الراسمالي تغدو الامومة ـ ذلك العمل المقدس واسمى الوظائف الاجتماعية ـ سببا لآلام اقتصادية وفيزيولوجية رهيبة . ان شرط المراة الظالم الذي لا يطاق لهو خطر على تكاثر النوع .

بيد ان هذا الوضع الساحق والمؤلم يبشر بنهاية عبوديتها التي تبدأ مع تأسيس الملكية الخاصة ولا سبيل الى انتهائها الا بالغاء هذه الاخيرة . ان البشرية المتمدينة تتوجه ، تحت ضغط النمط الميكانيكي للانتاج ، نحو مجتمع قائم على اساس الملكية الاجتماعية ، تستطيع فيه المراة ، وقد تحررت من القيود الاقتصادية والحقوقية والمعنوية التي تغلها اليوم ، ان تطور بحرية قدراتها الجسمية وكفاءاتها الفكرية ، كما في زمن شيوعية المتوحشين .

لم يجد المتوحشون، بغرض تحظير الاختلاط البدائي وتضييق دائرة العلاقات الجنسية تدريجيا ، من وسيلة سوى التفريق والفصل بين الجنسين ؛ ولدينا من الاسباب ما يحملنا على الافتراض بأن النساء هن اللواتي اخذن زمام المبادرة الى ذلك الفصل الذي عززه فيما بعد وزاد من حدته تخصيص الوظائف . وقد تجلى اجتماعيا في طقوس دينية ولغات سرية خاصة بكل جنس ، بل حتى في صراعات (١) ؛ وبعد ان ارتدى طابع تناحر عنيف ، افضى الى استرقاق المراة الفظ الذي ما يزال قائما الى

---

١ ـ يقول ا. ف. هوايت ، الذي عاين لدى الاوستراليين ضربا من الطوطمية الجنسية ، انه كثيرا ما يحدث ان يتقاتل الرجال والنساء من العشيرة الواحدة ، اذا ما قتل الحيوان المنزل منزلة الطوطم بالنسبة الى احد الجنسين على يد فرد من الجنس الاخر .

اليوم ، وان اخذت حدته تخف تدريجيا طردا مع تعمم التناحر بين الجنسين وتزايد حدته في المضمار الاقتصادي . بيد ان التناحر المعاصر لن يفضي الى انتصار جنس على آخرْ ، فهو واحدة من ظاهرات صراع العمل ضد الراسمال ، ذلك الصراع الذي سيجد حله في انعتاق الطبقة العاملة التي تضم الرجال والنساء على حد سواء .

ان تقنية الانتاج ، التي تجنح الى الغاء تخصص المهن والوظائف والى استبدال المجهود العضلي بالانتباه والمهارة الفكرية، والتي كلما تقدمت وترقت زادت من اختلاط المراة والرجل في العمل الاجتماعي ، ستحول دون عودة الشروط التي ابقت على انفصال الجنسين لدى الامم المتوحشة والبربرية . ان الملكية الاجتماعية ستحكم بالزوال والاضمحلال على التناحر الاقتصادي للمدنية .

لكن لئن يكن في المستطاع استشفاف نهاية عبودية المراة وتناحر الجنسين وتوقع عهد من التقدم الجسماني والعقلي المنقطع النظير للنوع البشري الذي سيتكاثر من خلال نساء ورجال يتمتعون بتربية عضلية وعقلية رفيعة ، فانه من المتعذر بالمقابل التكهن بالعلاقات الجنسية بين رجال ونساء احرار ومتساوين ، لا تجمعهم او تفرقهم لا المصالح المادية الخسيسة ولا الاخلاق الفظة التي تولدت عن تلك المصالح . لكن اذا حكمنا على الامور على ضوء الحاضر والماضي فان الرجال ، الذين يتفوق لديهم الهوى الجنسي قوة وديمومة عنه لدى النساء ـ تلاحظ الظاهرة نفسها لدى الذكور والاناث من كل فئة حيوانية ـ سيجدون انفسهم مضطرين الى التطوس (١) وعرض محاسنهم الجسمانية والفكرية جميعا للفوز بعاشقات. والانتخاب الجنسي الذي يؤدي،

---

١ ـ اي سلوك مسلك الطواويس . «م»

كما بيّن داروين ، دورا هاما في تطور الانواع الحيوانية ، ولكن الذي كف عن ادائه بين العروق الهندية ـ الاوروبية منذ زهـــاء ثلاثة آلاف عام ، سيعود ويصبح من جديد واحدا من اقوى عوامل تجويد العرق البشري .

وسوف يتيح الحب والامومة للمراة ان تحتل من جديد المركز المتفوق الذي كانت تحتله في المجتمعات البدائية ، والذي حفظت ذكراه خرافات الاديان القديمة واساطيرها .

«مسالة المراة»

جول غيد

الحرية لا الطلاق

لا تستطيع المراة في الحقبة الراسمالية ان تعيش من ذاتها ، من عملها . وحتى في خارج الاوقات التي تنصرف فيها الى اداء اسمى الوظائف الاجتماعية لتخليد الجنس البشري باعادة انتاجه، لا تجد في بيع القوة العضلية والفكرية سوى تكملة ، لا اكثر ، لاسباب حياتها . فأجرها ، الذي هو في غاية التدني ، يرغمها على طلب البقية من الرجل بوصفه ذكرا : زوجـا او عشيقا او عابر سبيل .

بعبارة اخرى ، انها محكوم عليها بالمتاجرة بجنسها الـــذي اضحى وسيلة وجودها الرئيسية ــ ان لم نقل الوحيدة . وحين تتوصل عن طريق تسليم نفسها ، لمرة واحدة ونهائية ، وتحت اسم الزواج ، ومقابل قدر كبير او ضئيل من الاستعباد ، الـــى تامين بقائها او معيشتها ، فاننا لا نرى كيف يكون من المسوغ لنا

ان نرغمها ، بواسطة الطلاق الذي هو محض فسخ والغاء ، على المضي في حال سبيلها لتبحث لها في مكان آخر عن وسيلة لإعاشة نفسها .

فعلاوة على ان جسدها ، المتحول بالضرورة الى بضاعة وسلعة، قابل لان يكون قد اصبح، بنتيجة الاستعمال او الاهتلاك، عسير التوظيف او مستحيل التثمير من جديد ، فان من حقها ان تختار ، بين نمطي البغاء المقضي عليها بهما ، امان البغاء النهائي لصالح رجل واحد وان تفضله على مفاسد بغاء متعدد ومتعاقب ...

وفي الواقع ، كي يصل الافراد الى امتلاك انفسهم ، والى حرية التصرف بالجوهر الصميم لاشخاصهم ، ينبغي ان تحل محل البيئة الفردوية والملاكية البيئة الجماعوية والشيوعية .

ينبغي ان تتمكن المراة ، بواسطة العمل المنعتق ، المتحرر من نظام الاجر ، والمكافأ بحسب انتاجه ، من كفاية نفسها بنفسها بعملها ، على اعتبار ان استقلالها الاقتصادي هو وحده الذي يتيح لها ان تبقى حرة في الحب وفي الصداقة على حد سواء .

ينبغي ، اثناء فترة الحمل والارضاع ، وفي الوقت الذي تصنع فيه بواسطة ذلك العمل العضوي ما هو احسن من المنتجات ، اعني المنتجين انفسهم ، ينبغي ان يتاح لها اجتماعيا ان تتمتع بمنتجات العمل الاقتصادي .

ينبغي من جهة اخرى ، وعلى الاخص ، وكما كان الامر لدى القبائل الشيوعية الغابرة التي كانت الابوة تمارس بين ظهرانيها من قبل جميع الرجال الناضجين تحت اسم **الاخوال** ، ينبغي ان يوضع الاطفال ، جميع الاطفال الذين يؤلفون بشرية الغد ، في عهدة بشرية اليوم وعلى نفقتها . كان ديدرو يقول : «وسعوا الله» . ولكن ليس الله ، وانما هي الاسرة التي يخلق بنا ان نوسعها لنجعلها تشمل المجتمع بأسره ، من اجل البقاء المتساوي والتطور المتعادل لجميع **ابناء الانسان** ، بلا تمييز .

يومذاك ، ويومذاك فقط ، سيكون ثمة وجود وسيكون ثمة امكانية وجود لا للطلاق ـ فهذا المصحّح المزعوم للزواج ما هو الا شر يضاف الى شر آخر ـ وانما لتلك الحرية اللامحدودة للعواطف المتبادلة التي لا يمكن ان يوجد في خارج نطاقها سوى البغاء او الاغتصاب .

«بصدد الطلاق . الحل» ـ في صحيفة «صيحة الشعب» ، ١٢ حزيران ١٨٨٤

حق المراة في العمل

بين القرارات التي اقرها بالاجماع مؤتمر رانس النقابي ، ثمة قرار ـ قرار لجنة عمل النساء في الصناعة ـ يستحيل تركه يمر من دون احتجاج باسم فرنسا العمالية بالذات .

يتطلع المؤتمر المذكور ، من غير ان يطلب ايجابيا اقصاء المراة عن المصانع والمعامل والمشاغل من كل شكل ولون ، ومن غير ان يطلب ابعادها عن حقل العمل الاقتصادي ـ فهذا يعدل في الشروط الراهنة موت الصناعة ـ يتطلع الى ان يحده بالمراة «البنت او الارملة ، المضطرة بالتالي الى سد حاجاتها بنفسها» ، ويضيف قائلا :

«يجب ان نبذل قصارى جهودنا لكي ننشر في جميع الاوساط فكرة ان **إعالة المراة هي من واجب الرجل»** .

ان لفة مماثلة قد جرى تبنيها في عام ١٨٧٦ في المؤتمر العمالي الاول في قاعة آراس حيث انعقد اجماع المندوبين على الاعلان بأن «الرجل ، باعتباره الاقوى والاصلب عودا ، يجب ان يكسب ما يمكنه من القيام بنفقات البيت» ، وعلى وصف عمل

النساء بأنه «يدعو للاسف» ، وعلى الترداد وراء السيد برودوم[1] ان «المكان الحقيقي للمراة هو في البيت» .

لكن بينما كان مثل ذلك الخطأ قابلا لان يفسر ، ولا اقول قابلا لان يعذر ، في بداية الحركة ، يوم كان ما يزال على البروليتاريا المتبرجزة ان تكتشف الاسباب العميقة للبؤس ووسائل القضاء عليه ، فانه من ملء حقنا اليوم بالمقابل ، بعد اثنتين وعشرين سنة من الاشتراكية المنتشرة بلا عراقيل ، ان نذهل ونشده ازاء مثل تلك الانتكاسة التي لا يمكن الا ان تكون ، بالبداهة ، عارضة .

كلا ، كائنا ما كان التفوق في القوة الذي يعزى الى الرجل ، ومهما ارتفع مردود عمله ، فلا مجال لإجبار المراة على الاعتماد عليه في معيشتها . والعمال ، الذين اتاح لهم انعتاقهم المدني والسياسي ان يعوا مدى كذب كل انعتاق غير اقتصادي ، هم اقل الناس حقا في التطلع الى تخليد التبعية الاقتصادية لجنس للجنس الآخر . ولو فعلوا لحولوا المراة الى **بروليتاري** الرجل ، ناهيك عن ان العلاقات الجنسية ستتجرد عندذاك من كل شرف وكرامة بما انها لن تقوم على اساس من الحرية .

ان علة النير الذي ترزح تحته الطبقة الكادحة ، والذي تسعى بتصميم متعاظم الى خلعه ، تكمن بكاملها في كون وسائل الانتاج ـ وبالتالي المنتجات ـ محصورة في أيدي شطر من المجتمع ، مما يتيح له التحكم بحياة الشطر الآخر . وبنتيجة هذا الاحتكار للخيرات الاقتصادية او للثروات تجد الغالبية غير المالكة نفسها

---

١ ـ السيد جوزيف برودوم : شخصية روائية ابتكرها هنري مونييه لترمز كاريكاتوريا الى البورجوازي الصغير المحدود ، الضيق الافق ، المزهو بنفسه ، الذي يحمل في جعبته عددا لامتناهيا من الحكم الامثالية التي هي السلاجة بعينها . «م»

مضطرة الى تحمل جميع نزوات الاقلية المالكة التي تستحيل بدونها وضدها اية حياة .

والحال انه في حال التسليم بأن الرجل هو وحده الذي يجب ان ينتج ، وهو وحده الذي يجب ان يسد حاجات المراة وان يتولى إعالتها ، فهل في وسع كائن من كان ان ينكر ان المراة ستجد نفسها ازاءه في هذه الحال في نفس الموقف الدوني وفي نفس التبعية التي يجد فيها الشغيل نفسه ازاء الراسمالي ؟

ان المراة في مثل هذه الحال لن يكون لها من وجود الا بصفة شرطية ، وذلك **بالقدر الذي يطيب للرجل** ، او ـ وهذا في السوء سواء ـ **بالقدر الذي تطيب هي له** .

«محظية او ربة بيت !» : ما من شيء ابعد عن الحقيقة من هذا القياس ذي الحدين الذي قال به ب. ج. برودون الذي فيه **تجسدت السفسطة واستوت بشرا** .

لا يسع الشغيل اذن ، الا اذا اجرم بحق نصف البشرية بإنكاره عليه العدالة التي يطالب بها البورجوازية ، ان يضع اي حد كان للحق الذي يعود الى المراة ، مثلما يعود الى كل كائن انساني ، في ان تعيش من عملها من غير ان تدين بشيء لأحد .

كلا ، ليس مكان المراة في البيت اكثر منه في اي موضع آخر . انما مكانها ، شأن الرجل ، في كل مكان ، او في كل مكان يستطيع نشاطها ويريد ان يصل اليه . فلماذا وباسم ماذا نحبسها ، نسجنها في جنسها محولين اياه ـ شئنا ام ابينا ـ الى وظيفة ، ان لم نقل الى حرفة ؟ ان للرجل، هو الآخر ، وظائف مطابقة لجنسه : فهو زوج واب ، ولكن ذلك لا يمنعه من ان يكون طبيبا او فنانا او عاملا بيده او بدماغه . فلماذا وباسم ماذا لا نستطيع المراة ـ اذا كنا نشاءها زوجة او اما ـ هذا من دون ان نتحدث عمن لسن لا بزوجات ولا بأمهات ـ لماذا وباسم ماذا لا يجوز لها ان تعبر عن ذاتها ، هي الاخرى ، اجتماعيا في الشكل الذي يناسبها ؟

ليس بيت الداء في عمل المراة ، حتى ولو كان صناعيا ، وانما في الاقتطاع ، في **العشر** الراسمالي المفروض اليوم على عمـــل النساء ، كما على عمل الرجال ، وبقدر اكبر . وهو يكمن ايضا في العراقيل التي تنصبها الاعراف والقوانين معا امام عمل المراة الاجتماعي .

ان نكفل للمراة ، كما للرجل ، التطور الكامل والممارسة الحرة لمواهبها . ان نكفل ، من جهة اخرى ، للشغيلة بلا تمييز فـــي الجنس كامل نتاج عملهم . ذلك هو الحل ، ولا حل غيره .

« المراة وحقها في العمـــل » ـ صحيفة «الاشتراكي» ، ٩ تشريـن الاول ١٨٩٨ .

فلاديمير ايليتش لينين

الراسمالية وعمل النساء

ينطوي المجتمع الراسمالي الراهن على كثرة من حالات البؤس والاضطهاد التي لا تفقأ العين للحال. فالاسر المشتتةللبورجوازيين الصغار والحرفيين والعمال والمستخدمين وصغار الموظفين تعاني الأمرّين وتجهد بعناء ما بعده عناء لتدبر امر معيشتها ، وهذا حتى في افضل الاحوال . والملايين من النساء يعشن حياة «الإماء البيتيات» ، فيهلكن انفسهن لاطعام اسرهن ولكسوها بدريهمات ضئيلة، باذلات في كل يوم جهودا يائسة و«مقتصدات» في كل شيء ــ الا في عملهن .

من بين هؤلاء النساء يجند الراسمال بطيب خاطر عاملاته المنزليات ، المستعدات مقابل اجر زهيد لاداء «عمل اضافي» بغية كسب كسرة خبز لهن ولاسرتهن . ومن بين هؤلاء النساء يتخذ الراسماليون لانفسهم في جميع البلدان (على منوال مالكي الارقاء

في العهود القديمة ومالكي الاراضي في القرون الوسطى)، ما طاب لهم من محظيات بأسعار «مناسبة» تماما . ولا يمكن لاي «استنكار أخلاقي» (مراء في غالب الاحوال) للبغاء ان يفعل شيئا ضد هذا الاتجار بأجساد النساء : فما دامت عبودية نظام العمل المأجور قائمة ، فسيبقى البغاء محتما . ولقد اضطرت جميع الطبقات الرازحة تحت نير الاضطهاد والاستغلال على مر التاريخ (وفي هذا ، بالتحديد ، يكمن استغلالها) الى ان تقدم لمضطهديها عملها المجاني اولا ، ثم نساءها كخليلات «للسادة» .

ان العبودية والقنانة والراسمالية متماثلة من هذا المنظور . **شكل** الاستغلال هو وحده الذي يتغير ؛ اما الاستغلال فباق .

في باريس ، «عاصمة العالم» ، مركز المدنية ، افتتح مؤخرا **معرض** لأشغال «العاملات المستثمرات في المنزل» .

وكل شيء معروض مرفق ببطاقة تشير الى المبلغ الذي **تتقاضاه** العاملة المنزلية عن صنعه ، وتبين كم يمكنها ان تكسب على هذا النحو باليوم وبالساعة .

فماذا يتبين ؟ ان العاملة في البيت **لا تستطيع** ان تكسب اكثر من ١ر٢٥ فرنك (اي خمسين كوبيكا) **كائنا ما كان** صنف السلعة . والغالبية العظمى من الاشغال تدر كسبا اقل من ذلك بما لا يقاس . اليكم ، مثلا ، كمات المصابيح . فالاجر هو ٤ كوبيكات لكل دزينة . او اكياس الورق : ١٥ كوبيكا للالف ، اي ستة كوبيكات في الساعة . وهاكم الازهار الاصطناعية : **كوبيكان الى ثلاثة** في الساعة . وهاكم بياضات الرجال والسيدات : من **كوبيكين** الى ستة كوبيكات في الساعة . وهكذا دواليك..

قد يكون من واجب جمعياتنا العمالية ونقاباتنا ان تنظم «معرضا» مماثلا . انه لن يدر الارباح الطائلة التي تعود بها المعارض البورجوازية . بيد ان معرضا يعرض عوز نساء البروليتاريا وبؤسهن ستكون له منافع اخرى : فهو سيساعد العمال والعاملات الأجراء ، المقضي عليهم بالعبودية ، على فهم

اوضاعهم ، وعلى القاء نظرة على «حياتهم» ، وعلى التمعن في وسائل الخلاص من ذلك النير الابدي ، نير الحاجة والبؤس والبغاء وجميع الاهانات التي تلحق بأولئك الذين لا يملكون شيئا.

نشر في «البرافدا» في ٥ ايار ١٩١٣

الطبقة العاملة والمالتوسية الجديدة

في مؤتمر بيروغوف للاطباء (١) ، اثارت مسألة الاجهاض ، اي اسقاط الجنين بصورة اصطناعية ، اهتماما كبيرا وجدلا كثيرا . وقد اورد المقرر ليتشكوس ارقاما تدل على انتشار طرائق اسقاط الجنين انتشارا خارقا للمألوف في الدول المعاصرة المسماة بالمتمدينة .

ففي نيويورك بلغ عدد الاجهاضات ٨٠٠٠٠ في سنة واحدة . وفي فرنسا يحصى ٣٦٠٠٠ اجهاض كل شهر . وفي بطرسبورغ ارتفعت نسبة الاجهاضات الى اكثر من الضعف في خلال ٥ اعوام .

وقد اتخذ مؤتمر بيروغروف قرارا ينص على انه ينبغي كف اي ملاحقة قضائية عن الام بسبب الاجهاض المصطنع ، وعلى انه لا تجوز ملاحقة الاطباء لذلك العذر الا في حال «استهداف

---

١ – نيقولاي بيروغروف جراح ومشرح روسي مشهور كانت تنظم على ذكراه مؤتمرات دورية لجمعية الاطباء الروس . والمؤتمر المشار اليه هنا هو المؤتمر الثاني عشر الذي انعقد في بطرسبورغ في حزيران ١٩١٣ ، وحضره حوالي ١٥٠٠ شخص . «م»

الربح » .

اثناء المناقشات اثارت الغالبية ، التي كانت تؤيد عدم معاقبة الاجهاض ، بصورة طبيعية مسألة «المالتوسية الجديدة» (التدابير الاصطناعية الهادفة الى تلافي الحمل) ؛ بل وجد ايضا من تحدث عن الجانب الاجتماعي من هذه المسألة . هكذا اعلن السيد فيفدورتشيك ، بناء على تقرير «روسكويه سلوفو» (١) ، انه «ينبغي الترحيب بوسائل منع الحمل» ، وهتف السيد استراخان منتزعا عاصفة من التصفيق :

«يرغموننا على اقناع الامهات بإنجاب الاولاد كي يشوهوهم في المؤسسات التعليمية ، كي يخضعوهم لسحب القرعة ، كي يدفعوا بهم الى حد الانتحار !» .

اذا صح ان شطحة السيد استراخان هذه اثارت عاصفة من التصفيق ، فليس في النبأ ما يدهشني . فقد كان المستمعون بورجوازيين ، من المتوسطين والصغار ، وكانت نفسيتهم بورجوازية صغيرة . فما علينا ان نتوقع منهم غير الليبيرالية بأكثر معانيها ابتذالا ؟

ولكن يكاد يكون من المستحيل ، من وجهة نظر الطبقة العاملة، العثور على صيغة احسن من عبارة السيد استراخان الآنفة الذكر للتعبير عن كل رجعية «المالتوسية الجديدة الاجتماعية» ومحدوديتها .

«انجاب الاولاد كي يشوهوهم» ... الهذا الغرض فقط ؟ ولماذا لا يكون ذلك لغرض ان **يناضلوا** بصورة افضل واشد تكاتفا واوفر وعيا واكثر حزما وتصميما مما نناضل نحن ضد شروط الحياة الراهنة التي تشوه جيلنا وتفتك به ؟

---

١ ـ «الكلمة الروسية» :صحيفة يومية ليبيرالية ، صدرت في موسكو بين ١٨٩٥ و١٩١٧ . «م»

هنا بالذات يكمن الفارق الجذري بين نفسية الفلاح والحرفي والمثقف والبورجوازي الصغير على العموم ، وبين نفسية البروليتاري . فالبورجوازي الصغير يرى ويشعر انه سائر الى هلاكه ، ان الحياة تمسي اصعب فأصعب ، وان الكفاح في سبيل العيش يغدو اقسى فأقسى ، وان وضعه ووضع أسرته يصبح ميئوسا اكثر فأكثر . هذا واقع لا مراء فيه. والبورجوازي الصغير لا يتردد في الاحتجاج على هذا الواقع .

لكن **كيف** يحتج ؟

انه يحتج بوصفه ممثل طبقة مكتوب عليها الهلاك من كل بد ؛ طبقة قطعت حبل الرجاء من مستقبلها ؛ طبقة رعديدة يسري الذعر في أوصالها . ومن هنا كانت صيحة البورجوازي الصغير: لا امل لنا ولا مخرج ؛ فليقل اذن ــ على الاقل ــ عدد اولادنا الذين سيعانون من عذابنا وحياتنا الشاقة وبؤسنا وهواننا .

اما العامل الواعي فهو بعيد غاية البعد عن وجهة النظر هذه. انه لن يدع مثل تلك التأوهات تضرب على وعيه غشاوة ، مهما كانت صادقة ومفعمة بالانفعالات . أجل ، اننا نحن العمال ، وكذلك جمهرة كبيرة من الملاك الصغار ، نعيش بدورنا عيشة حافلة بالاضطهاد وبآلام لا تطاق . والحياة اشق على جيلنا منها على جيل آبائنا . ولكننا ، في امر واحد ، اسعد حالا بكثير من آبائنا . فقد **تعلمنا وتتعلم بسرعة النضال** ، لا النضال بصورة منفردة كما ناضل خيرة آبائنا ، وتحت راية شعارات الثرثارين البورجوازيين الغريبة عنا تماما ، وانما النضال من اجل شعاراتنا نحن ، شعارات طبقتنا . اننا نناضل خيرا مما ناضل آباؤنا . وسوف يناضل اولادنا خيرا مما نناضل ؛ وسوف **ينتصرون** .

ليست الطبقة العاملة في سبيلها الى الهلاك ؛ وانما هي تنمو ، وتقوى ، وتصلب عودا ، وتنضج ، وتتراص صفوفا ، وتتثقف ، وتتمرس في معترك النضال . نحن متشائمون بصدد

القنانـــــة والرأسمالية والانتاج الصغير ، ولكننـــا متفائلون متحمسون بصدد الحركة العمالية واهدافها . ونحن في سبيلنا الى ارساء اسس الصرح الجديد ، وسوف يكمل اولادنا بناءه .

لهذا السبب ــ ولهذا السبب وحده ــ نحن اعداء الـــدّاء للمالتوسية الجديدة ، لهذا التيار الذي وجد برســـم الزوجين البورجوازيين الصغيرين ، الرتيبين والانانيين ، اللذين يدمدمان بذعر : يريدنا الله ان نتمكن من الصمود بشكل او بآخر ؛ امـــا الاولاد فمن الافضل لنا الاستغناء عنهم .

وبديهي ان ذلك لا يمنعنا البتة من المطالبةبالالغاء التام لجميع القوانين التي تعاقب الاجهاض او تحظر نشر المؤلفات الطبية عـن طرق منع الحمل ؛ الخ . فمثل هذه القوانين لا تعبر الا عن رياء الطبقات السائدة . انها لا تشفي قروح الرأسمالية ، بل تجعلها قروحا خبيثة ومؤلمة للغاية بالنسبة الى الجماهير الرازحة تحت الاضطهاد. ان حرية الدعاية الطبية وحماية الحقوق الديموقراطية الاولية للمواطن والمواطنة شيء ، والمذهب الاجتماعي للمالتوسية الجديدة شيء آخر . وسوف يناضل العمال الواعون دائما وبلا هوادة ضد المحاولات الرامية الى فرض هذا المذهب الرجعـــي والجبان على الطبقة الاكثر تقدما ، الاشد تصميما ، الاحســـن استعدادا وتهيؤاً للتحويلات العظيمة ، بين سائر طبقات المجتمع المعاصر .

نشر في «البرافدا» ــ ١٦ حزيران ١٩١٣ .

المؤتمر العالمي الخامس
لمكافحة البغاء

انفض في لندن مؤخرا «المؤتمر العالمي **الخامس** لمكافحة تجارة

الرقيق الابيض» .

ما اعظمه من استعراض للدوقات والكونتيسات والاساقفة والقسس والحاخامات وموظفي البوليس ومحبي الخير البورجوازيين من كل شاكلة وطراز ! ولكم اقيم من مآدب عشاء باذخة وحفلات استقبال رسمية فخمة ! ولكم القي من الخطب الطنانة المجلجلة عن ضرر البغاء وقذاءته !

ما هي وسائل المكافحة التي طالب بها مندوبو المؤتمر البورجوازيون الانيقون ؟ وسيلتان اثنتان بصورة رئيسية : الدين والبوليس . فهما ، كما ترون ، انجع ترياق واضمنه ضد البغاء. وقد تباهى مندوب انكليزي ، كما يفيد من لندن مراسل **جريدة الشعب** (١) الصادرة في لايبزيغ ، بأنه دافع في البرلمان عن **العقاب الجسدي** كجزاء للقوادة والوساطة في البغاء . هوذا اذن البطل المعاصر و«المتمدن» في مضمار مكافحة البغاء !

وهللت سيدة من كندا للبوليس وللمفارز البوليسية النسائية المكلفة بمراقبة النساء «الساقطات» ، ولكنها لاحظت بصدد زيادة الاجور ان العاملات لا يستحققن اجرا افضل .

وانهال قس الماني بسياطه على المادية المعاصرة التي يتزايد انتشارها في صفوف الشعب وتسهم في انتشار الحب الحر ، على حد زعمه .

وعندما حاول المندوب النمسوي غرتز ان يثير مسالة الاسباب الاجتماعية للبغاء ، مسألة عوز الاسر العمالية وبؤسها واستغلال عمل الاولاد وشروط السكن التي لا تطاق ، الخ ، اجبرت صيحات العداء الخطيب على التزام الصمت .

---

١ ــ «جريدة لايبزيغ الشعبية» : صحيفة يومية اشتراكية ــ ديموقراطية المانية .. صدرت بين ١٨٩٤ و١٩٣٣ . «م»

لكن رويت بالمقابل (في اوساط المندوبين) امور بليغة الدلالة تتعلق بذوي المقامات الرفيعة . فحين تزور امبراطورة المانيا دارا للتوليد في برلين ، مثلا ، **توضع خواتم في اصابع** امهات الاطفال «غير الشرعيين» حتى لا تتأذى صاحبة المقام الرفيع من مـــرأى امهات عازبات !

من هنا يمكننا ان نحكم على مدى الرياء البورجوازي المقيت الذي يسود اجواء تلك المؤتمرات الارستقراطية والبورجوازية . ان بهلواني الاحسان والاعمال الخيرية والمدافعين البوليسيين عن افعال انتهاك حرمة العوز والبؤس يجتمعون من اجل «مكافحـــة البغاء» الذي تدعمه اصلا الارستقراطية والبورجوازية ...

«رابوتشايا برافدا»
١٣ تموز ١٩١٣

حول الحب الحر

[ارادت اينيسا آرمان ، العضوة النشيطة في الحزب البلشفي وفي الحركة العمالية النسائية العالمية ، اثناء اقامتها في سويسرا ـ نظير لينين ـ خلال الحرب العالمية الاولى ، ارادت في مستهل عام ١٩١٥ ان تكتب برسم العاملات كراسة عن العلاقـــات بين الرجل والمرأة . وقد بعثت بمخطط تلك الكراسة الى لينين. وقد انحى عليها هذا الاخير باللائمة ، بود لكن بحزم ، في رسالتين منه اليها لمطالبتها للبروليتاريا بـ «الحب الحر» . وقد نشر نـــص الرسالتين لاول مرة في موسكو عام ١٩٣٩ ، علما بأن مشروع اينيسا آرمان لم يقيض له ان يرى النور] .

١٥ كانون الثاني ١٩١٥

صديقتي العزيزة

ارجو منك المزيد من التفصيل لمخطط كراستك ، وإلا فان اشياء كثيرة ستبقى غير محددة .

أود من الان ان ابدي لك رايي بصدد نقطة محددة :

انني انصحك بحذف الفقرة الثالثة : «مطلب الحب الحر (للمرأة) » .

فهذا ليس بمطلب بروليتاري ، وانما بورجوازي .

ماذا تقصدين بذلك ؟ ماذا يمكن ان يفهم من ذلك ؟

١ ــ التحرر من الحسابات المادية (المالية) في الحب ؟

٢ ــ من الهموم المادية ؟

٣ ــ من الآراء المسبقة الدينية ؟

٤ ــ من النواهي الابوية ؟

٥ ــ من آراء «المجتمع» المسبقة ؟

٦ ــ من البيئة الخسيسة (الفلاحية ، البورجوازية الصغيرة ، المثقفة البورجوازية) ؟

٧ ــ من عراقيل القانون والمحاكم والشرطة ؟

٨ ــ من تبعات الحب الجدية ؟

٩ ــ من انجاب الاولاد ؟

١٠ــ السماح بالزنى ؟ الخ .

لقد عددت كثيرا من النقاط (وليس جميعها) . وانت لا تقصدين ، هذا مؤكد ، النقاط من ٨ الى ١٠ ، وانما النقاط من ١ الى ٧ ، او شيئا قريبا من النقاط من ١ الى ٧ .

ولكن ينبغي ، بالنسبة الى النقاط من ١ الى ٧ ، اختيار صيغة اخرى ، لان الحب الحر لا يعبر دقيق التعبير عن هذا النوع من الاهتمامات .

ان الجمهور وقارىء الكراسة سيفهمان حتمـــا من «الحب الحر» شيئا من نوع النقاط من ٨ الى ١٠ ، حتى ولو لم تشائي ذلـك .

ولان الطبقات الاكثر ثرثرة والاكثر لغطا والاكثر «بروزا» في المجتمع الراهن تفهم بالحب الحر النقاط من ٨ الى ١٠ ، لذا فهذا المطلب ليس ببروليتاري وانما هو بورجوازي .

اما بالنسبة الى البروليتاريا فان النقاط الاهم هي النقطتان ١ و٢ ، ثم النقاط من ٣ الى ٧ ، ولكن ليس هذا هـــو «الحب الحر» بحصر المعنى .

وليست المسألة ما «تقصدينه» ذاتيا بهذا . وانما المسألـة مسألة المنطق الموضوعي للعلاقات الطبقية في الحب .

اصافحك مصافحة الصديق !

- ٢ -

٢٤ كانون الثاني ١٩١٥

صديقتي العزيزة

اعتذر عن تاخري في الرد عليك : فقد كنت ارُيد ان افعـل ذلك البارحة ، ولكن الظروف حالت دون ذلك ولم يسنح لـــي الوقت للكتابة لك .

فيما يتعلق بمخطط الكراسة ، وجـــدت ان «مطلب الحب الحر» غير دقيق وانه يتجلى ، بغض النظر عن ارادتك ورغبتـك (اشرت الى ذلك بقولي : المسألة هي مسألة العلاقات الموضوعية الطبقية وليست مسألة رغباتك الذاتية) في الشروط الاجتماعية الراهنة مطلبا بورجوازيا لا بروليتاريا .

انت غير موافقة .

حسنا . لنمحص القضية مرة اخرى .

رغبة مني في التحديد عددت عشرة تأويلات ممكنة (ومحتمة في شروط صراع الطبقات) ولاحظت ان التأويلات من ١ الى ٧ ستكون ، في رايي ، نموذجية او مميزة للعاملات ، وان التأويلات من ٨ الى ١٠ نموذجية بالنسبة الى البورجوازيات .

واذا كنت تنفين ذلك فعليك ان تثبتي ما يلي :

١ ــ ان هذه التأويلات خاطئة (وعندها يتوجب استبدالها باخرى او رد الخاطىء منها) .

٢ ــ او ناقصة (وعندها يجب تكميلها) .

٣ ــ او انها لا تنقسم الى تأويلات بروليتارية وبورجوازية .

وانت لا تفعلين شيئا مِنَ هذا .

وانت لا تتعرضين الى النقاط من ١ الى ٧ . اذن هل تعترفين (بوجه عام) بصحتها ؟ ان ما تكتبينه عن بغاء العاملات وتبعيتهن : «استحالة ان يقلن لا» يتفق تماما مع النقاط من ١ الى ٧ . وليس هناك من خلاف البتة بيننا حول هذا الموضوع .

ثم انت لا تمارين في انه تأويل بروليتاري .

تبقى النقاط من ٨ الى ١٠ .

انت «لا تفهمينها تماما» و«تعترضين» : «انني لا افهم كيف يمكن (انها كلماتك) توحيد (!!؟؟) الحب الحر» مع النقطة ١٠ .

يتضح اذن انني «اوحّد» ، وانت على استعداد لتدمـــيري وسحقي .

كيف ذلك ؟

ان البورجوازيات يفهمن بالحب الحر النقاط من ٨ الى ١٠ ، ذلك هو رايي .

فهل تنكرينه ؟ اذن قولي ما تفهمه السيدات البورجوازيات بالحب الحر ؟

انت لا تقولينه . الا يثبت الادب والحياة ان البورجوازيـات يفهمنه على الضبط هكذا ؟ انهما يثبتان ذلك ! وانت تقرين بـه

بصمتك .

واذا كانت هذه هي الحال ، فهذا نابع من موقفهن الطبقي ، ومن المستحيل والساذج معا «انكاره» .

ينبغي ان نقيم حدا فاصلا واضحا ، وان نعارضهن بوجهة النظر البروليتارية . ينبغي ان ناخذ بعين الاعتبار هذه الحقيقة الموضوعية وهي انهن ، اذا لم نفعل ذلك ، سيقتبسن من كراستك تلك المقاطع ، ويفسرنها على طريقتهن ، ويعملن على ان يحولن كراستك الى سلاح في ايديهن ، ويشوهن طبيعة افكارك امام العاملات ، ويزرعن اللبس في عقولهن (بإيقاظهن لديهن الخوف من ان تأتيهن بأفكار غريبة عنهن) . والحق ان في متناولهن ، هن ، اكداسا من الصحف ، الخ ...

وانت ، بتخليك كليا عن وجهة النظر الموضوعية والطبقية ، تنتقلين الى «الهجوم» عليّ ، متهمة اياي بانني «اوخذ» الحب الحر مع النقاط من ٨ الى ١٠ .. هذا رائع ، رائع حقا ...

«حتى الهوى العابر والعلاقة العابرة» «اكثر شاعرية ونقاوة» من «القبل بلا حب» المتبادلة عادة بين زوج وزوجة . هذا ما تكتبينه . وهذا ما تنوين كتابته في كراستك . مدهش .

هل هذه المعارضة منطقية ؟ ان القبل العارية من الحب التي يتبادلها الزوج والزوجة عادة دنسة . موافق . فبمَ تريدين معارضتها ؟ بقبلة مليئة بالحب ، على ما يبدو ؟ كلا ، انك تعارضينها بـ «الهوى» (ولمَ لا تقولين الحب ؟) «العابر» (لمَ العابر ؟) . وينجم عن ذلك منطقيا ان هذه القبل العارية من الحب (طالما انه عابر) تتعارض مع القبل العارية من الحب التي يتبادلها الزوج والزوجة ... غريب حقا ! أفليس من الافضل ، في كراسة شعبية ، معارضة الزواج القذر والدنيء غير القائم على الحب (انظري النقطة ٦ او ٥ لدي) بالزواج البروليتاري القائم على الحب (على ان تضيفي ، اذا كنت تصرين على ذلك ، ان علاقة

الهوى العابر يمكن ان تكون قذرة او نقية) . انت لا تقيمين تعارضا بين نماذج طبقية ، وانما بين حالات ، انا لا اشك في انها ممكنة الحدوث . ولكن هل المسالة مسالة حالات خاصة ؟ واذا ما اخذنا كموضوع حالة خاصة ، حالة فردية من قبَل دنسة متبادلة في زواج ومن قبَل نقية متبادلة في علاقة عابرة، فمثل هذا الموضوع يصلح لرواية «لان الشيء الاساسي في الرواية هو وصف افراد، وتحليل طبائع ، وسيكولوجيا نماذج محددة) . ولكن في كراسة؟

لقد فهمت تماما فكرتي بصدد الاستشهاد ، المنساء اختياره، بكاي (١) ، عندما قلت بالفعل انه من «السخـــف» لعب دور «الاستاذ في الحب» . صح . ولكن دور الاستـــاذ في الحب العابر ؟

انني لا اريد الدخول في مناظرة . وكان بودي الا اكتب هذه الرسالة وان انتظر مقابلتنا القادمة . لكني ارغب في ان تكون الكراسة جيدة ، وفي الا يتمكن اي انسان من اقتباس جمـــل محرجة لك منها (ان جملة واحدة تكفي احيانا لتكون مثل قليل من العلقم ...) (٢) ، في الا يتمكن اى انسان من تقويلك ما لم تقوليه . وانني لواثق هنا ايضا ان ما كتبته قد كتبته «من غير ان تريديه» ، وانني لا ارسل اليك هذه الرسالة الا لكي تمحصي بمزيد من التروي مخططك على ضوء ملاحظاتي ، وهذا خير مما لو بعد محادثة بيننا . ان المخطط شيء بالغ الاهمية .

اليست لك صديقة فرنسية اشتراكية ؟ ترجمي لها (كما لو انك تترجمين من الانكليزية) نقاطي من ١ الى ١٠ وملاحظاتك عن الحب «العابر» ، الخ ... وامعني النظر فيها واصغي اليها بانتباه:

---

١ ــ هيلين كاي ، اديبة سويدية (١٨٤٩ ــ ١٩٢٦) ، دافعت عن قضيـــة الشعب والمراة . «م»

٢ ــ مثل روسي يقول «قليل من العلقم يفسد الكثير من العسل» . «م»

ستكون هذه تجربة صغيرة لمعرفة ما سيقوله اناس من الخارج ، وما ستكونه انطباعاتهم ، وما ينتظرونه من الكراسة .

اصافحك ، متمنيا لك ان يخف الم من صداع الراس وان تتعافي بسرعة .

ف. ا.

لا ديموقراطية بدون النساء

لا يمكن ضمان حرية حقيقية ، **لا يمكن** بناء الديموقراطية ـ هذا من دون ان نتحدث عن الاشتراكية ـ اذا لم تدع النساء الى الخدمة المدنية ، الى الخدمة في الميليشيا ، الى الحياة العامة ، واذا لم ينتزعن من جو البيت والمطبخ المبلد للعقل .

(رسائل من بعيد)
الرسالة الثالثة
٢٤ آذار ١٩١٧

الثورة والمرأة
في المدينة وفي الريف

ايتها الرفيقات (١) ، ان مؤتمر القسم النسائي من الجيش

---

١ ـ خطاب القي في المؤتمر الاول لعاملات عموم روسيا الذي انعقد من ١٦ الى ٢١ تشرين الثاني ١٩١٨ . وحضرت المؤتمر ١١٤٧ مندوبة عن المصانع والمعامل والفلاحات . «م»

البروليتاري يتسم ، من وجهة نظر محددة ، بأهمية كبرى ، نظرا الى ان شروع النساء بالتحرك في جميع الاقطار رافقته صعوبات كأداء . ان الثورة الاشتراكية غير ممكنة بدون مشاركة واسعة من قبل شطر كبير من النساء الكادحات .

ان وضع النساء في جميع البلدان المتمدينة ، بما فيها اكثرها تقدما ، لهو من السوء بحيث انه ليس من العبث ان تطلق عليهن تسمية عبدات البيوت . وليس في اي دولة راسمالية ، وحتى في اوفر الجمهوريات حرية ، مكان تتمتع فيه النساء بمساواة تامة في الحقوق .

وعلى جمهورية السوفييتات تقع مهمة الغاء جميع القيود التي تحد من حقوق النساء في المقام الاول . ولقد قضت سلطة السوفييتات قضاء مبرما على مصدر الدناءة البورجوازية والاذلال والمهانة ، على اجراءات الطلاق القضائية .

عما قريب يكون قد انقضى عام على صدور تشريع حر تماما بصدد الطلاق . ولقد اصدرنا مرسوما الغى الفرق في الوضع بين الولد الشرعي والولد غير الشرعي ، والغى جملة كاملة من القيود السياسية ؛ وليس ثمة مكان آخر تحققت فيه المساواة والحرية للنساء الشغيلات بمثل هذا الكمال .

نحن نعرف ان كل ثقل الانظمة البالية يقع على كاهل المراة من الطبقة العاملة .

ولاول مرة في التاريخ ابطل قانوننا كل ما كان يجعل من المراة كائنا بلا حقوق . ولكن المسالة ليست مسالة قانون فحسب . ان القانون المذكور بشان الحرية التامة في الزواج يطبق تطبيقا جيدا عندنا في المدن وفي المناطق الصناعية ، بينما لا يزال في الريف في احيان كثيرة ، وكثيرة جدا ، حبرا على ورق . وفي الريف لا يزال الزواج الديني هو السائد . وتدين النساء بذلك لتاثير الكهنة ؛ والنضال ضد هذا الشر اصعب من النضال ضد التشريع القديم .

ان النضال ضد الآراء المسبقة الدينيـــــة يتطلب اقصـــى الاحتراس : فاولئك الذين يجرحون في هذه المعركة المشاعـــــر الدينية يتسببون في ضرر فادح . ان النضال يجب ان يكون عن طريق الدعاية وعن طريق التعليم . اما اذا تصرفنا بفظاظة فقـد نثير غضب الجماهير : ومثل هذا النضال يعزز انقسام الجماهير على الصعيد الديني ، بينما قوتنا في الاتحاد . ان المصدر الاعمق للاحكام المسبقة الدينية هو البؤس والجهل ؛ وضـــد هذا الشر بالذات يجب علينا ان نناضل .

ان وضع المرأة قد بقي حتى الان على قدر من السوء بحيث ينعت بالعبودية ؛ فالمراة مسحوقة بعملها البيتي ، ولا يمكن ان ينقذها من هذا الوضع غير الاشتراكية . وانما يوم ننتقل مـــن الاستثمارات الصغيرة الى الاستثمار المشترك والى الفلاحـــة المشتركة للارض ، يومذاك فقط سيتحقق التحرر التام للمراة وانعتاقها الكامل . وان هذه المهمة لشاقة ، ولكن اذ تتشكل الان لجان الفلاحين الفقراء فان الثورة الاشتراكية تتعزز مواقعها .

الان فقط يتنظم افقر قسم من سكان الريف ؛ وفي منظمات الفلاحين الفقراء تلك تكتسب الاشتراكية اساسا وطيدا .

من قبل ، كان كثيرا ما يحدث ان تصبح المدينة ثورية ، وبعد ذلك تتبعها القرية .

اما الثورة الراهنة فتستند الى الريف ؛ ومـــن هنا كانت اهميتها وقوتها . فتجربة جميع حركات التحرر تثبت ان نجاح الثورة مرهون بمدى مشاركة النساء . وسلطة السوفييتات تفعل كل شيء كي تؤدي المراة ، باستقلال تام ، مهمتها البروليتاريـة والاشتراكية ...

نشر في «ازفستيا اللجنة التنفيذية المركزية لروسيا»
٢٠ تشرين الثاني ١٩١٨

عبودية الاقتصاد المنزلي

لناخذ وضع المراة . ما من حزب ديموقراطي في العالم ، في اي من الجمهوريات البورجوازية الاكثر تقدما ، حقق على امتداد عشرات السنين ، بهذا الصدد ، جزءا واحدا بالمئة مما حققناه نحن في السنة الاولى لحكمنا . اننا لم نترك ، بملء معنى الكلمة، حجرا على حجر من تلك القوانين السافلة بخصوص عدم مساواة المراة ، وقيود الطلاق ، والشكليات الخسيسة التي تغلفه ، وعدم الاعتراف بالاولاد المولودين خارج نطاق الزواج ، وإثبات الابوة ، الخ ــ تلك القوانين التي تربل بها ــ ويا لعار البورجوازية والراسمالية ــ جميع البلدان المتمدينة .. وان من حقنا الف مرة ان نفخر بما حققناه في هذا المضمار . ولكن **كلما** كنسنا الارض ونظفناها من نفايات تلك القوانين والمؤسسات البورجوازية البالية ، اتضح لنا بمزيد من الجلاء ان ما قمنا به لا يعدو ان يكون تمهيدا للبناء ، ولكنه ليس البناء ذاته بعد .

ان المراة لا تزال **عبدة البيت** بالرغم من جميع القوانين التحريرية ، اذ ان **الاقتصاد المنزلي الصغير** لا يزال يثقل كاهلها ويخنقها ويبلدها ويذلها ، اذ يقيدها الى المطبخ وغرفة الاولاد ، واذ يرغمها على هدر قواها في مهام غير منتجة الى حد رهيب ، مهام صغيرة ، مثيرة للاعصاب ، مخبلة ، مرهقة . ان **تحرر المراة الحقيقي** والشيوعية الحقيقية لا يبدآن الا حيث ويوم يبدا النضال الجماهيري (بقيادة البروليتاريا الممسكة بزمام السلطة) ضد ذلك الاقتصاد المنزلي الصغير ، او بتعبير ادق ، عند **تحويله بصورة مكثفة** الى اقتصاد اشتراكي كبير .

لكن اترانا نعير ، عمليا ، القدر الكافي من الاهتمام لهذه المسالة التي لا جدال فيها ، **نظريا** ، بالنسبة الى كل شيوعي ؟ بديهي ان لا . هل نبدي ما فيه الكفاية من العناية **ببراعم**

الشيوعية الموجودة من الان في هذا الميدان ؟ مرة اخرى ، لا ولا. المطاعم الجماعية ، دور الحضانة ، رياض الاطفال ـ تلك هي نماذج من تلك البراعم ، تلك هي الوسائل البسيطة ، اليومية ، التي لا تفترض شيئا من الابهة والتفخيم والمهابة ، والتي من شانها **واقعيا ان تحرر المراة** ، ان تقلص وتمحو واقعيا عدم المساواة بينها وبين الرجل ، ان تستجيب لدورها في الانتاج الاجتماعي والحياة العامة . ما تلك الوسائل بجديدة ، فقد خلقتها الراسمالية الكبيرة (مثلما خلقت بوجه عام جميع المقدمات المادية للاشتراكية) ، لكنها بقيت في ظل النظام الراسمالي استثناء نادرا اولا ، ثم صارت ـ وذلك هو المهم ـ اما **مشروعا تجاريا** مع جميع جوانبه السيئة من مضاربة وإثراء احتكاري وغش وتزييف، وإما «ضربا من بهلوانيات الاحسان البورجوازي» الذي تكنّ له نخبة العمال كرها وازدراء عن حق .

لا مجال للشك في ان هذه المؤسسات شرعت تتكاثر عندنا وان طابعها **بدأ** يتغير . ولا مجال للشك في ان ثمة بين العاملات عددا من **المنظمات الموهوبات** اكبر بكثير مما نعرف ، عاملات يعرفن كيف يسيّرن المشروع بمشاركة عدد كبير من العمال وعدد اكبر من المستهلكين ، دونما حاجة الى ذلك الاسراف في الجمل والتعابير ، والى ذلك الافراط في تشغيل البال واثارة الضجة والثرثرة بصدد الخطط والمناهج الخ ... ، ذلك «الداء» الذي يشكو منه باستمرار «المثقفون» المزهوون بانفسهم او «الشيوعيون» المتخرجون حديثا . بيد اننا **لا نعتني** كما ينبغي ببراعم المستقبل تلك .

انظروا الى البورجوازية . فلكم تعرف كيف تقوم بالدعاية لما هو ضروري **لها** ! ولكم يكال المديح في ملايين النسخ من صحف الراسماليين للمشاريع «النموذجية» في نظرهم ، ولكيف تصبح المؤسسات البورجوازية «النموذجية» موضع الاعتزاز القومي ! ان صحافتنا لا تهتم البتة ، او لا تهتم البتة تقريبا ، بأن تصف

خير المطاعم او خير دور الحضانة ؛ ولا تسعى عن طريق الحاحها اليومي الى تحويل بعضها الى مؤسسات نموذجية ؛ ولا تقوم بالاعلان عنها والدعاية لها ؛ ولا توضح بكثير من التفاصيل مقدار ما يؤدي اليه **العمل الشيوعي النموذجي** من اقتصاد في المجهود البشري ، ومن تسهيلات للمستهلكين ، ومن توفير للمنتجات ، ومن تحرير للمراة من العبودية المنزلية ، ومن تحسين للشروط الصحية ، وكيف يمكن ان تعمم هذه المنافع على المجتمع كافة ، على الشغيلة جميعا .

« المبادرة الكبرى »
تموز ١٩١٩

حول مهام الحركة العمالية النسائية في الجمهورية السوفياتية

ايتها الرفيقات ، يسرني جدا ان احيي مشار النساء العاملات (١) ... وبودي ان اقول لكنّ بضع كلمات حول المهام العامة للحركة العمالية النسائية في جمهوريات السوفييتات ، سواء منها المهام التي ترتبط بالانتقال الى الاشتراكية بوجه عام ، او المهام التي تحتل الان مكانة الصدارة بإلحاح خاص . ايتها الرفيقات ، لقد اثارت السلطة السوفياتية مسألة وضع المراة من بادىء البدء . ويخيل الي ان مهمة كل دولة عمالية في طريق

---

١ ـ هو المشار (الكونفرانس) الرابع للعاملات اللاحزبيات لعموم مدينة موسكو ، انعقد في ٢٣ ايلول ١٩١٩ . «م»

الانتقال الى الاشتراكية ستكون مزدوجة . والقسم الاول من هذه المهمة بسيط وسهل نسبيا . وهو يتعلق بتلك القوانين القديمة التي قضت على المراة بالدونية تجاه الرجل .

من قديم الزمان طرح ممثلو جميع الحركات التحريرية في اوروبا الغربية ، لا على امتداد عشرات السنين ، بل على امتداد قرون وقرون ، مطالب الغاء تلك القوانين البالية وتحقيق المساواة القانونية بين الرجل والمراة ، ولكن ما من دولة من الدول الديموقراطية في اوروبا، وما من جمهورية من الجمهوريات الاكثر تقدما ، افلحت في تحقيق هذا المطلب ، لانه حيثما توجد الراسمالية، حيثما تدم الملكية الخاصة للارض والمعامل والمصانع، حيثما يستمر سلطان الراسمال ، تبق امتيازات الرجال قائمة. اما في روسيا فقد امكن تحقيق ذلك المطلب ، نظرا الى ان سلطة العمال ارسيت فيها ابتداء من ٢٥ تشرين الاول ١٩١٧ . ومن بادىء البدء وضعت السلطة السوفياتية نصب عينيها مهمة الوجود كسلطة للشغيلة معادية لكل استغلال . وضعت نصب عينيها مهمة القضاء على اي امكانية لاستغلال الشغيلة من قبل الملاكين العقاريين والراسماليين، ومهمة تقويض سيادة الراسمال. ولقد سعت السلطة السوفياتية الى التوصل الى الامر التالي ، وهو ان يبني الشغيلة حياتهم بدون الملكية الخاصة للارض، بدون الملكية الخاصة للمعامل والمصانع ، بدون تلك الملكية الخاصة التي قضت على الشغيلة في كل مكان من العالم ، حتى في ظل الحرية السياسية الكاملة ، حتى في الجمهوريات الاوفر ديموقراطية ، بالبؤس والعبودية المأجورة ، وقضت على النساء بعبودية مزدوجة .

لهذا عمدت السلطة السوفياتية ، بوصفها سلطة الشغيلة ، من الاشهر الاولى لوجودها الى إحداث انقلاب حاسم على صعيد التشريع المتعلق بالمراة . ففي جمهورية السوفييتات لم يبق حجر على حجر من جميع تلك القوانين التي قضت على المراة بوضع

من الدونية . وانني اشير بوجه خاص الى تلك القوانين التي استغلت على الاخص الوضع الدوني للمراة ، فحرمتها من الحقوق ، بل غالبا ما اذلتها ، اقصد القوانين المتعلقة بالطلاق والاطفال اللاشرعيين واثبات الابوة لتامين نفقة الطفل .

ان التشريع البورجوازي ، حتى في اكثر البلدان تقدما ، يستغل ، والحق يقال ، في هذا المضمار على وجه التحديد ضعف المراة لينتقص من حقوقها وليذلها ويمتهنها . وفي هذا المضمار على وجه التحديد لم تدع السلطة السوفياتية حجرا على حجر من القوانين القديمة الجائرة التي لا يمكن ان يطيقها ممثلو جماهير الشغيلة . وفي وسعنا اليوم ان نقول باعتزاز مشروع ، وبدون اي مبالغة ، انه لا يوجد في العالم ، عدا روسيا السوفياتية ، بلد تتمتع فيه المراة بالمساواة التامة في الحقوق ، ولا تجد فيه نفسها في وضع مهين له تأثيره الشديد في الحياة اليومية والعائلية على وجه الخصوص . وقد كانت تلك مهمة من اولى مهامنا ومن اخطرها شانا .

اذا تأتى لكنّ ان تحتككن بالاحزاب المعادية للبلاشفة ، او اذا وقعت في ايديكن جرائد صادرة بالروسية في المناطق التي يحتلها كولتشاك ودينيكين ، او اذا تأتى لكنّ التحدث مع اناس يتبنون وجهات نظر تلك الجرائد ، فكثيرا ما تسمعنهم يتهمون السلطة السوفياتية بانتهاك الديموقراطية ...

وجوابا على هذه الاتهامات نقول انه ينبغي ان تطرح المسالة المتعلقة بمعرفة الكيفية التي تطبق بها الديموقراطية في هذه الدولة او تلك . اننا نراهم في جميع الجمهوريات الديموقراطية يعلنون المساواة ؛ اما في القوانين المدنية وفي القوانين المتعلقة بحقوق المراة من حيث وضعها في الاسرة ومن حيث الطلاق ، فاننا نرى بأم اعيننا في كل مكان لامساواة المراة وإذلالها ، ونحن نقول ان هذا هو بالضبط انتهاك للديموقراطية حيال المظلومين

والمضطهدين . وبالمقابل ، فان السلطة السوفياتية ، بعدم ابقائها على اي اشارة في قوانينها الى لامساواة النساء ، تكون قد طبقت الديموقراطية على درجة اعلى من سائر البلدان ، بما فيها اكثرها تقدما . واني لاكرر القول بأن ما من دولة وما من تشريع ديموقراطي فعلا من اجل المرأة نصف ما فعلته السلطة السوفياتية في ابان الاشهر الاولى من وجودها .

يقينا ، ان القوانين وحدها لا تكفي ، ونحن لا نكتفي بحال من الاحوال بالمنجزات التي تحدثنا عنها على الصعيد التشريعي ، لكننا قمنا بكل ما كان واجبا من اجل منح المرأة المساواة ، وفي وسعنا ان نعتز بذلك عن حق . ان وضع المرأة في روسيا السوفياتية لهو اليوم مثالي بالمقارنة مع وضعها في الدول الاكثر تقدما . ولكننا نقول لانفسنا ان ذلك ليس الا البداية بالطبع .

ان وضع المرأة ، المنشغلة بتدبير المنزل ، لا يزال مضنيا . وحتى تتحرر المرأة تحررا تاما وحتى تتساوى فعلا مع الرجل ، ينبغي ان تتحول الاعمال المنزلية الى نشاط عام وان تشارك المرأة في الانتاج الاجتماعي . آنذاك فقط سيغدو وضع المرأة مماثلا لوضع الرجل .

يقينا ، ليس بيت القصيد هنا ان تلغى بالنسبة الى المرأة الفوارق المتعلقة بمردود العمل واتساعه ومدته وشروطه الخ ، انما المطلوب الا تكون المرأة مضطهدة من جراء وضعها الاقتصادي المغاير لوضع الرجل . انكن جميعا تعرفن انه حتى في ظل المساواة التامة في الحقوق ، يبقى في الواقع ذلك الاضطهاد الذي ترزح المرأة تحته ، نظرا الى ان جميع اعمال التدبير المنزلي تقع على عاتقها . وهذه الاعمال هي في غالب الاحوال اقل الاعمال التي تؤديها المرأة انتاجية واكثرها بربرية واشدها وطأة وارهاقا . انه لكدح في منتهى الحقارة ، ولا يمكن ان يسهم بأي قسط في تطور المرأة .

ونحن ، اذ ننشد المثل الاعلى الاشتراكي ، نريد ان نناضل

في سبيل التحقيق الكامل للاشتراكية ، وهنا ينفسح امام النساء مجال واسع جدا للعمل . ونحن الان نستعد جديا لتمهيد السبيل من اجل بناء الاشتراكية ، لكن بناء الاشتراكية ان يكون ممكنا الا متى شرعنا ، بعد تحقيق المساواة الكاملة للمرأة ، بالعمل الجديد بالاشتراك مع المرأة المنعتقة من ذلك الكدح الحقير ، المبلد، غير المنتج . وانجاز هذا العمل يستغرق سنوات عديدة للغاية . وليس لهذا العمل ان يعطي نتائج عاجلة او ان يعطي مردودا باهرا.

اننا ننشىء مؤسسات نموذجية ، اي مطاعم ودور حضانة ، من اجل تحرير المرأة من اعمال التدبير المنزلي . وهنا يقع على عاتق المرأة في المقام الاول مهمة تنظيم تلك المؤسسات كافة . ينبغي ان نقر بأنه لا يوجد في روسيا في الوقت الحاضر الا عدد ضئيل للغاية من المؤسسات التي من شأنها ان تساعد النساء على الافلات من إسار وضعهن كعبدات منزليات. وفضلا عن ان عددها ضئيل للغاية ، فان الظروف التي تواجهها الان جمهوريات السوفييتات ـ الوضع العسكري والتموين ، وقد حدثكن عنهما الرفاق هنا بالتفصيل ـ تحول بيننا وبين انجاز تلك المهمة . لكن ينبغي ان نقر ايضا بأن تلك المؤسسات ، التي تحرر المرأة من وضعها كعبدة منزلية ، تظهر الى حيز الوجود حيثما توفرت لها ادنى امكانية .

اننا نقول ان انعتاق العمال يجب ان يكون من صنع العمال انفسهم ، كذلك بالضبط يجب ان يكون انعتاق العاملات من صنع العاملات انفسهن . ان على العاملات انفسهن ان يهتممن بتطوير اشباه تلك المؤسسات؛ ولسوف يؤدي نشاط المرأة الى تغيير كامل لوضعهن السابق في المجتمع الراسمالي .

في ظل المجتمع الراسمالي القديم كان الاهتمام بالسياسة يستوجب إعدادا خاصا، ولهذا كانت مشاركة المرأة في السياسة، حتى في اكثر الاقطار الراسمالية تقدما وحرية ، شبه معدومة .

ومهمتنا ان نجعل السياسة في متناول كل امراة شغيلة . وبما ان الملكية الخاصة للارض والمصانع قد الغيت ، وبما ان سلطة الملاكين العقاريين والراسماليين قد تم التطويح بها ، فان المهام السياسية للجماهير الكادحة والنساء الشغيلات تغدو بسيطة ، واضحة ، وفي متناول الجميع . ان المراة في المجتمع الراسمالي محرومة من الحقوق السياسية الى حد ان مشاركتها في السياسة تكاد تكون شبه معدومة قياسا الى الرجل . ولتغيير هذا الوضع ينبغي ان تقوم سلطة الشغيلة ، وعندذاك ستشمل المهام الرئيسية للسياسة كل ما يمت بصلة مباشرة الى مصير الشغيلة انفسهم .

ان مشاركة النساء العاملات ضرورية ولا مناص عنها هنا ، لا مشاركة الحزبيات والواعيات منهن فحسب ، بل ايضا النساء اللاحزبيات واقلهن وعيا . هنا تفسح السلطة السوفياتية حقلا واسعا للعمل امام النساء .

لقد واجهنا مصاعب خطيرة في النضال ضد القوى المعادية التي تهاجم روسيا السوفياتية . لقد واجهنا صعوبات على الصعيد العسكري في محاربة القوى التي تهاجم سلطة الشغيلة وتشن الحرب عليها ، وواجهنا صعوبات على صعيد التموين في مكافحة المضاربين والمحتكرين ، لانه لا يتوفر لدينا القدر الكافي من الناس ، من الشغيلة الذين هبوا من تلقاء انفسهم لمساعدتنا بعملهم بالذات . وليس اثمن في نظر السلطة السوفياتية هنا من مساعدة الجمهور الواسع من العاملات اللاحزبيات . فليعرفن انه اذا كان النشاط السياسي في المجتمع البورجوازي القديم يتطلب إعدادا سياسيا معقدا لم يكن في متناول المراة ، فان الهدف الرئيسي للنشاط السياسي للجمهورية السوفياتية هو النضال ضد الملاكين العقاريين والراسماليين ، النضال من اجل القضاء على الاستغلال ، ولهذا تستطيع العاملات ، في الجمهورية السوفياتية ، ان يمارسن نشاطا سياسيا بمساعدتهن الرجال بطاقاتهن التنظيمية .

ان ما نحن بحاجة اليه ليس عملا تنظيميا على نطاق واسع جدا فحسب ، وانما نحن بحاجة ايضا الى عمل تنظيمي على اصغر نطاق ، مما يفسح مجال المشاركة فيه للنساء ايضا . ان في وسع المراة ان تعمل على الصعيد العسكري ايضا ، حين يكون المطلوب مساعدة الجيش والقيام بنشاط تحريضي في صفوفه . وعلى المراة ان تشارك بقسط موفور في ذلك كله ، حتى يرى الجيش الاحمر انه موضع تفكيرنا واهتمامنا . كذلك تستطيع المراة ان تعمل في ميدان التموين ايضا ــ وذلك في توزيع المنتجات وتحسين تغذية الجماهير وتطوير تلك المطاعم النهارية التي تعرف الان انتشارا واسعا جدا في بتروغراد .

تلك هي الميادين التي يكتسب فيها نشاط المراة العاملة اهمية حقيقية في مجال التنظيم . ومشاركة المراة ضرورية ايضا لانشاء الاستثمارات الاختبارية الكبيرة ولمراقبتها ، لكي لا تبقى هذه المحاولات محاولة معزولة . وانه ليستحيل تحقيق هذه المهمة بدون مشاركة عدد كبير من النساء الشغيلات . وان العاملة لتستطيع اداء هذا العمل على خير وجه سواء امن حيث مراقبة توزيع المنتجات ام من حيث حصول الناس عليها بمزيد من السهولة. وهذه المهمة تتناسب تماما مع طاقات العاملة اللاحزبية، ولسوف يساهم انجازها اكثر من اي شيء آخر اصلا في توطيد المجتمع الاشتراكي .

ان السلطة السوفياتية ، التي الغت الملكية الخاصة للارض والتي الغت كليا تقريبا الملكية الخاصة للمعامل والمصانع ، تبذل قصارى جهدها لكي يشارك في هذا البناء للاقتصاد جميع الشغيلة ، لا اعضاء الحزب فحسب ، بل ايضا اللاحزبيون ، ولا الرجال فحسب ، بل ايضا النساء . والمهمة التي تصدت سلطة السوفييتات لتحقيقها لن يتاح لها التقدم الى امام الا متى ساهمت فيها لا مئات النساء ، بل ملايين وملايين النساء في

عموم روسيا . وعندئذ ستترسخ قضية البناء الاشتراكي وستتثبت ، ونحن على ثقة من ذلك . وعندئذ سيقيم الشغيلة البرهان على ان في وسعهم ان يعيشوا وفي وسعهم ان يتدبروا امورهم بأنفسهم بدون ملاكين عقاريين ولا راسماليين . وآنئذ سيكون البناء الاشتراكي في روسيا قد صار له اساس بالغ المتانة بحيث ان الجمهورية السوفياتية لن تعود تخشى اي عدو لا في البلدان الاخرى ولا في داخل روسيا .

خطاب القي في ٢٣ ايلول ١٩١٩

السلطة السوفياتية ووضع المرأة

في يوم الذكرى الثانية لقيام السلطة السوفياتية ، لا بد لنا ان نلقي نظرة عامة على كل ما تحقق خلال تلك الحقبة من الزمن، وان نمعن التفكير في دلالة التحول الراهن وهدفه .

ان البورجوازية وانصارها يتهموننا بانتهاك الديموقراطية . ونحن نعلن ان الثورة السوفياتية قد اعطت الديموقراطية دفعة منقطعة النظير سواء امن حيث تطورها افقيا ام من حيث تطورها في العمق. ولقد اعطت تلك الدفعةعلى وجه التحديد لديموقراطية الجماهير الكادحة التي تضطهدها الراسمالية ، اي للديموقراطية من اجل غالبية الشعب الساحقة ، اذن للديموقراطية الاشتراكية (من اجل الشغيلة) التي ينبغي تمييزها عن الديموقراطية البورجوازية (من اجل المستغِلين والراسماليين والاغنياء) .

فمن على حق ؟

ان امعان الفكر في هذه المسالة والتعمق فيها يعنيان التحقق من تجربة هذين العامين والتهيؤ على وجه افضل لتطويرها .

ان وضع المراة يبين بوضوح خاص الفارق بين الديموقراطية البورجوازية والديموقراطية الاشتراكية ، ويعطي جوابا واضحا كل الوضوح على السؤال الذي طرحناه .

لا تتمتع المراة بالمساواة الكاملة في الحقوق في اي جمهورية بورجوازية (اي حيث تقوم الملكية الخاصة للارض والمعامل والمناجم والاسهم ، الخ) ، حتى ولو كانت اوفر الجمهوريات ديموقراطية، ولا في اي مكان في العالم ، حتى واو في البلدان الاكثر تقدما . وهذا بالرغم من مضي قرن وربع قرن على الثورة الفرنسية الكبرى (البورجوازية الديموقراطية) .

ان الديموقراطية البورجوازية تعد قولا بالمساواة والحرية . اما فعلا فان اية من الجمهوريات البورجوازية ، حتى اكثرها تقدما ، لم **تمنح** النصف النسوي من الجنس البشري المساواة الكاملة مع الرجل امام القانون ، كما لم تعتقها من وصاية الرجل واضطهاده .

ان الديموقراطية البورجوازية هي ديموقراطية الجمل الرنانة والوعود الطنانة والشعارات المفخمة عن **الحرية والمساواة** ، ولكنها تخفي **في الواقع** عبودية المراة ولامساواتها ، وعبودية الشغيلة والمستغلين ولامساواتهم .

ان الديموقراطية السوفياتية او الاشتراكية تنبذ الجمل الرنانة والمفخمة، وتعلنها حربا بلا هوادة على رياء «الديموقراطيين» والملاكين العقاريين والراسماليين ، او الفلاحين المتخمين الذين يغتنون من بيع فوائض القمح للعمال الجائعين .

ليسقط هذا الكذب الشنيع ! فلا يمكن ان تقوم ولم تقم قط ولن تقوم ابدا «مساواة» بين المضطهَدين والمضطهِدين ، بين المستغلين والمستغِلين . لا يمكن ان تقوم ولم تقم قط ولن تقوم ابدا «حرية» حقيقية ، ما لم تنعتق المراة من الامتيازات التي يكرسها القانون للرجل ، وما لم يتحرر العامل من نير الراسمال ،

وما لم يتحرر الفلاح الكادح من نير الراسمالي والمالك العقـــاري والتاجر .

فليسترسل الكذابون والمنافقـــون ، والاغبياء والعميان ، والبورجوازيون وانصارهم ، في خـــداع الشعب ، متشدقين بالحرية بوجه عام ، بالمساواة بوجـه عام ، بالديموقراطيـــة بوجه عام .

اما نحن فنقول للعمال والفلاحين : اكشفوا القناع عن وجوه اولئك الكذابين ، افتحوا عيون اولئك العميان . اسالوهم :

ـ مساواة اي جنس مع اي جنس ؟

ـ اية امة مع اية امة ؟

ـ اية طبقة مع اية طبقة ؟

ـ الحرية من اي نير او من نير اي طبقة ؟ الحرية لاية طبقة ؟

كل من يتحدث عن السياسة ، والديموقراطية ، والحرية ، والمساواة ، والاشتراكية ، **من دون ان يطرح** تلك الاسئلة ، ومن دون ان يبوئها مكانة الصدارة ، ومن دون ان يناضل ضد محاولات اخفاء تلك الاسئلة وحجبها وخنقها ، هو الد اعـــداء الشغيلة : ذئب متخفٍ في اهاب حمل ، خصم لدود للعمال والفلاحين ، خادم للملاكين العقاريين والقياصرة والراسماليين .

في مدى سنتين ، وفي بلد من اكثر بلدان اوروبا تاخرا ، فعلت السلطة السوفياتية من اجل تحرير المراة ، من اجـــل مساواتها مع الجنس «القوي» ، اكثر مما فعلته معا في مدى ١٣٠ سنة جميع الجمهوريات المتقدمة ، المستنيرة ، «الديموقراطية» في العالم باسره .

الانوار ، الثقافة ، الحضارة ، الحرية : ان جميع هـــذه الكلمات الرنانة تقترن في جميـع الجمهوريات الراسماليـــة والبورجوازية في الكرةالارضية، بقوانين تتسم بحقارة لامتناهية، بخسة منفرة ، بفظاظة وحشية ، فتكرس عدم مساواة المـــراة حقوقيا فيما يتعلق بالزواج والطلاق ، وتقر عدم تساوي الابناء

«الشرعيين» واللاشرعيين ، وتصطنع للرجال امتيازات ، بينما تذل النساء وتزري بهن .

نير الراسمال ، اضطهاد «الملكية الخاصة المقدسة» ، استبداد البلاهة البورجوازية، انانية المالك الصغير: هذا ما منع الجمهوريات البورجوازية الاوفر ديموقراطية من المساس بتلك القوانين الخسيسة الدنيئة .

ان الجمهورية السوفياتية ، جمهورية العمال والفلاحين ، قد كنست تلك القوانين بضربة واحدة ، ولم تترك حجرا على حجر من عمارات الكذب البورجوازي والنفاق البورجوازي .

فليسقط هذا الكذب ! فليسقط الكذابون الذين يتشدقون بالحرية والمساواة **للجميع** ، بينما هناك جنس مضطهَد ، بينما هناك طبقات من المضطهِدين ، بينما هناك الملكية الخاصة للراسمال والاسهم ، بينما هناك اناس متخمون بفائض القمح ويضربون على الجياع نير العبودية . كلا ، لا حرية للجميع ، لا مساواة للجميع ، بل **نضال** ضد المضطهِدين والمستغلين **والقضاء على امكانية** الاضطهاد والاستغلال . هذا هو شعارنا !

الحرية والمساواة للجنس المضطهَد !

الحرية والمساواة للعامل الكادح ، للفلاح الكادح !

النضال ضد المضطهِدين ، النضال ضد الراسماليين ، النضال ضد الكولاك (١) المحتكر !

هذه هي صيحة حربنا ، هذه هي حقيقتنا البروليتارية ، حقيقة النضال ضد الراسمال ، الحقيقة التي جبهنا بها عالم الراسمال بجمله المعسولة ، المرائية ، المفخمة عن الحرية والمساواة بوجه عام ، عن الحرية والمساواة **للجميع** !

«البرافدا»

٦ تشرين الثاني ١٩١٩

---

١ ـ الكولاك : الفلاح الثري . «م»

الى العاملات

ايتها الرفيقات ! ان الانتخابات لسوفييت موسكو تشهد على توطد الحزب الشيوعي في صفوف الطبقة العاملة .

يجب على العاملات ان يشاركن بقسط اكبر في الانتخابات . ان السلطة السوفياتية هي الاولى والوحيدة في العالم التي الغت الغاء تاما جميع القوانين البورجوازية القديمة، القوانين الخسيسة التي كانت تكرس دونية المراة قانونيا وامتيازات الرجل ، وعلى الاخص في ميدان الزواج والعلاقات مع الاولاد . ان السلطة السوفياتية هي الاولى والوحيدة في العالم التي الغت ، بوصفها سلطة الشغيلة ، جميع الامتيازات التي ترتبط بالملكية والتي ظلت سارية المفعول في التشريع العائلي لصالح الرجل في جميع الجمهوريات البورجوازية ، بما فيها اوفرها ديموقراطية .

وحيث يتواجد ملاكون عقاريون وراسماليون وتجار ، لا يمكن ان تقوم مساواة بين المراة والرجل ، حتى امام القانون .

وحيث لا وجود للملاكين عقاريين وراسماليين وتجار ، وحيث تبني سلطة الشغيلة حياة جديدة ، تقوم المساواة بين المراة والرجل امام القانون .

لكن هذا لا يكفي .

ان المساواة امام القانون ليست هي بعد المساواة في الحياة.

اننا نريد ان تحرز العاملة المساواة مع العامل لا امام القانون فحسب ، بل ايضا في الحياة . ولهذا الغرض ، ينبغي للعاملات ان يشاركن بقسط متعاظم اكثر فاكثر في تسيير المنشآت العامة وادارة الدولة .

بالادارة تتعلم النساء بسرعة ويدركن الرجال .

انتخبن اذن المزيد من العاملات الشيوعيات او اللاحزبيات للسوفييت . ولا يهم ان تكون العاملة المستقيمة ، صاحبة الذمة

في عملها ، غير منتسبة الى الحزب : عليكن بانتخابها لسوفييت موسكو !

المزيد من العاملات في سوفييت موسكو ! لتبرهن بروليتاريا موسكو على استعدادها لان تفعل كل شيء وعلى انها تفعل كل شيء من اجل النضال حتى النصر ضد اللامساواة القديمة ، ضد الاذلال البورجوازي القديم للمرأة !

لا يمكن للبروليتاريا ان تظفر بانعتاقها التام ما لم تظفر للنساء بحرية تامة .

« البرافدا »
٢٢ شباط ١٩٢٠

في يوم النساء العالمي (١)

ان الراسمالية تجمع بين مساواة شكلية خالصة وبين اللامساواة الاقتصادية ، وبالتالي الاجتماعية . وهذه واحدة من السمات الاساسية للراسمالية، يتستر عليها انصار البورجوازية، الليبيراليون ، من باب التضليل ، ولا يفهمها الديموقراطيون البورجوازيون الصغار . ومن سمة الراسمالية هذه تنبع ، فيما تنبع ، ضرورة الاعتراف الصريح باللامساواة الراسمالية في غمار النضال الحازم من اجل المساواة الاقتصادية ، وحتى ضرورة

---

١ ـ يوم النساء او العاملات العالمي في ٨ اذار ، يوم التضامن العالمي بين العاملات من النساء في جميع البلدان . وقد اقر هذا العيد بناء على اقتراح كلارا زتكن في مشار الاشتراكيات العالمي الثاني المنعقد في كوبنهاغن عام ١٩١٠ . «م»

وضع هذا الاعتراف العلني باللامساواة ، في شروط معينة ، في اساس نظام الدولة البروليتارية (الدستور السوفياتي) .

ولكن حتى فيما يتعلق بالمساواة الشكلية (المساواة الحقوقية، «المساواة» بين المتخم والجائع ، بين المالك والمعدم) ، **تعجز** الراسمالية عن ان تكون منسجمة ومتماسكة الى النهاية . ومن المظاهر الصارخة لانعدام الانسجام والتماسك هذا **لامساواة** المراة والرجل . فما من دولة بورجوازية، مهما كانت متقدمة وجمهورية وديموقراطية ، اعترفت بالمساواة التامة في الحقوق بين الرجل والمراة .

وبالمقابل ، كنست جمهورية روسيا السوفياتية بضربة واحدة ، **وبلا استثناء** ، **جميع** الآثار الحقوقية لدونية المراة ، وكفلت دفعة واحدة للمراة ، بموجب القانون ، اكمل المساواة .

يقال ان مستوى الثقافة لشعب من الشعوب يتحدد ، احسن ما يتحدد ، بوضع المراة الحقوقي . وفي هذا القول حبة من حقيقة عميقة . ومن وجهة النظر هذه ، كانت دكتاتورية البروليتاريا والدولة الاشتراكية هما وحدهما القادرتين على بلوغ اعلى درجة ممكنة من الثقافة ، وقد بلغتاها فعلا .

ولهذا كانت الدفعة الجديدة ألتي لا سابق لها في قوتها ، والتي تلقتها الحركة العمالية النسائية ، مرتبطة ارتباطا لا يقبل انفصاما بتاسيس (وتوطيد) الجمهورية السوفياتية الاولى — وبالتوازي مع ذلك واتصالا به ، بتأسيس الاممية الشيوعية .

وما دامت المسالة تتعلق باولئك الذين كانت الراسمالية تضطهدهم بصورة مباشرة او غير مباشرة ، كليا او جزئيا ، فان نظام السوفييتات ، وهذا النظام وحده ، هو الذي يكفل لهم الديموقراطية . واوضح شاهد على ذلك وضع الطبقة العاملة والفلاحين الفقراء . ويشهد عليه بجلاء ايضا وضع المراة .

لكن نظام السوفييتات هو المعركة الفاصلة الاخيرة من اجل

ازالة الطبقات ، ومن اجل المساواة الاقتصادية والاجتماعية . اما الديموقراطية ، وحتى الديموقراطية من اجل الذين تضطهدهم الرأسمالية ، **فلا تكفينا** .

ان الحركة العمالية النسائية ، التي لا تكتفي بمساواة شكلية خالصة ، تجعل مهمتها الرئيسية النضال في سبيل المساواة الاقتصادية والاجتماعية للمرأة . اشراك المرأة في العمل الانتاجي الاجتماعي ، وانتزاعها من «العبودية البيتية» ، وتحريرها من نير الخضوع ـ المخبّل والمذل ، الابدي والحصري ـ للمطبخ وغرفة الاولاد : تلك هي المهمة الرئيسية .

وهذا نضال طويل الامد . وهو يتطلب تحويلا جذريا للتقنية الاجتماعية وللاخلاق . لكنه سينتهي بانتصار الشيوعية التام .

« البرافدا »
٧ آذار ١٩٢٠

يوم النساء العالمي

ان الواقعة الاساسية ، الجوهرية ، في البلشفية وثورة اوكتوبر الروسية ، انهما اجتذبتا الى حلبة السياسة اولئك الذين عانوا من اشد الاضطهاد في ظل الرأسمالية ...

والحال انه يستحيل اجتذاب الجماهير الى السياسة من دون اجتذاب النساء الى السياسة . وبالفعل يعاني النصف النسوي من الجنس البشري ، في ظل الرأسمالية ، من اضطهاد مزدوج. فالعاملة والفلاحة يضطهدهما الرأسمال ؛ وفضلا عن ذلك لا تتمتعان ، حتى في اوفر الجمهوريات البورجوازية ديموقراطية ، بعين الحقوق التي يتمتع بها الرجل ، اذ ان القانون لا يمنحهما

المساواة معه ؛ اضف الى ذلك ـ وذلك هو الامر الاساسي ـ انهما تعيشان تحت وطأة «العبودية البيتية» وتبقيان «عبدتين بيتيتين» ترزحان تحت نير أحقر الاعمال واشدها كآبة وقتامة وثقلا وتبليدا ، اعني عمل المطبخ ، وبوجه العموم ، التدبير المنزلي والعائلي الفردي .

ان الثورة البلشفية ، السوفياتية ، تجتث جذور اضطهاد النساء ولامساواتهن بعمق لم يتجاسر على نظيره اي حزب او اي ثورة في العالم . فعندنا ، في روسيا السوفياتية ، لم يبق اي اثر من اللامساواة الحقوقية بين النساء والرجال . فقد الغت السلطة السوفياتية الغاء تاما اللامساواة الكريهة ، الدنيئة ، المرائية ، فيما يتعلق بحقوق الزواج والاسرة ، واللامساواة فيما يتعلق بالاولاد .

وما ذلك كله الا الخطوة الاولى نحو انعتاق المراة . بيد ان اية من الجمهوريات البورجوازية ، حتى اوفرها ديموقراطية ، لم تتجاسر على ان تخطوها . لم تتجاسر خوفا من «الملكية الخاصة المقدسة» .

وكانت الخطوة الثانية والاهم الغاء الملكية الخاصة للارض والمعامل والمصانع . فهذه الخطوة ، وهذه الخطوة وحدها ، هي التي تفتح السبيل امام انعتاق المراة الكامل والحقيقي ، امام تحررها من «العبودية البيتية» ، وذلك بالانتقال من الاقتصاد البيتي الفردي الصغير الى الاقتصاد المشرك الكبير .

ان هذا الانتقال صعب ، اذ ان المطلوب هنا تحويل «نظام» عميق الجذور ، متاصل ، مالوف ، متمكن (والحق انه ليس «نظاما» بل خسة وقباحة وبربرية) . بيد ان الانتقال بدأ ، وبدأ العمل ، ونحن الان نسير في الطريق الجديد .

ان العاملات من جميع اقطار العالم ، المحتشدات في مهرجانات خطابية لا عد لها ، بمناسبة يوم النساء العالمي ، سيوجهن تحياتهن الى روسيا السوفياتية التي باشرت عملا صعبا

ومضنيا للغاية ، ولكنه عمل ضخم ، جليل ، ذو شأن عالمي ، وتحريري حقا ...

لقد تحطم الجليد في جميع أصقاع العالم .

ان تحرير الشعوب من نير الامبريالية ، وتحرير العمال والعاملات من نير الرأسمال يحققان تقدما لا مرد له . ويتصدى لهذه المهمة عشرات ومئات الملايين من العمال والعاملات ، من الفلاحين والفلاحات . ولهذا سيكتب النصر في العالم قاطبة لهذه القضية ، قضية تحرير العمل من نير الرأسمال .

« البرافدا »
٨ آذار ١٩٢١

كلارا زتكين

لينين والمراة

كثيرا ما حدثني الرفيق لينين عن مسألة المراة . كان يعلق على هذه المسألة اهمية كبيرة ، لان الحركة النسوية كانت في نظره جزءا اساسيا ، وفي بعض الظروف ، جزءا حاسما من حركة الجماهير . وغني عن البيان انه كان يعتبر مساواة المراة التامة مبدأ لا جدال حوله من مبادىء الشيوعية . ولقد جرى اول حديث مطول بيننا حول هذا الموضوع في خريف ١٩٢٠ في مكتب عمله بالكرملين . كان لينين جالسا امام طاولته التي تكدست عليها الكتب والاوراق الشاهدة على نوع انشغاله وعمله ، لكن من دون تلك «الفوضى المميزة للعباقرة» . وبعد ان حياني شرع يقول :

ـ ان من اول واجباتنا ان نخلق حركة نسوية عالمية ، قائمة على اساس نظري واضح ومحدد . وبديهي انه لا يمكن ان توجد

ممارسة حسنة بدون نظرية ماركسية. علينا ، نحن الشيوعيين، ان نتمسك في هذه المسألة بكل نقاوة مبادئنا . علينا ان ننفصل انفصالا صريحا عن جميع الاحزاب الاخرى . ومن المؤسف ان مؤتمرنا الاممي الثاني (١) لم يكرس وقتا لمناقشة المسألة النسوية او لاتخاذ موقف بصددها بالرغم من ان هذه المسألة قد طرحت على بساط البحث . والخطأ في ذلك يقع على كاهل اللجنة التي تترك الامور تجرجر اذيالها . ان على اللجنة ان تضع صيغة قرار وموضوعات ، وخطا حازما . لكن اعمالها لم تتقدم حتى اليوم وعليك ان تساعديها في ذلك» .

كان قد سبق لي ان سمعت كلاما يشبه ما يقوله لينين لي الان ، وابديت له اندهاشي . كنت متحمسة لكل ما انجزته النساء الروسيات اثناء الثورة ، ولكل ما هن في سبيلهن الى انجازه للدفاع عنها وتطويرها . اما عن وضع النساء ونشاطهن في الحزب البلشفي ، فقد كان يخيل الي ان الحزب هو فعلا على مستوى مسؤوليته في هذه المسألة المحددة . فالحزب البلشفي هو وحده الذي يعطي الحركة النسوية الشيوعية العالمية كوادر متمرسة ، مثقفة ، ويقدم في الوقت نفسه قدوة تاريخية كبرى. وقد لاحظ لينين وهو يبتسم ابتسامة خفيفة :

ـ هذا صحيح ، صحيح تماما . ففي بتروغراد ، وهنا في موسكو ، وفي المدن والمراكز الصناعية النائية ، كان موقف النساء البروليتاريات رائعا . فلولاهن لكان من المحتمل جدا الا ننتصر . هذا هو رايي . يا للشجاعة التي برهنّ عليها ويا للشجاعة التي ما زلن يبدينها الى اليوم ! تصوري كل الآلام والحرمانات التي يكابدن منها ... لكنهن رابطات الجأش ،

---

١ ـ المؤتمر الثاني للاممية الشيوعية المنعقد بين ١٩ تموز و٧ آب ١٩٢٠ .

«م»

مصممات ، لانهن يحامين عن السوفييتات ، لانهن يردن الحرية والشيوعية .

«اجل ، ان عاملاتنا لرائعات ، مناضلات طبقيات حقيقيات. انهن جديرات باعجابنا وحبنا .

«اجل ، ان لدينا في حزبنا نساء شيوعيات موثوقات وذكيات ونشيطات بشكل لا يعرف الكلل . وفي وسعهن ان يشغلن مناصب هامة في السوفيات واللجان التنفيذية ومفوضيات الشعب والادارة . والكثيرات منهن يعملن ليل نهار في الحزب ، او بين الجماهير البروليتارية والفلاحية ، او في الجيش الاحمر. وهذا شيء ثمين للغاية بالنسبة الينا . وهذا شيء هام بالنسبة الى نساء العالم قاطبة لانه شهادة على طاقات النساء وعلى قيمة عملهن الرفيعة بالنسبة الى المجتمع .

«ان دكتاتورية البروليتاريا الاولى تشق الطريق فعلا نحو المساواة الاجتماعية التامة للمراة . فهي تستأصل شافة الآراء المسبقة على نحو اكثر جذرية بكثير مما تفعله الكتابات عن المساواة النسائية . وبالرغم من هذا كله ، فاننا لا نملك بعد حركة نسوية عالمية . وعلينا ان نتوصل الى انشائها باي ثمن . علينا ان نعمل على تنظيمها بدون اي تاخر . وبدون هذه الحركة سيكون عمل اميتنا وشعبها ناقصا وسيبقى ناقصا .

«ان علينا ان نتابع عملنا الثوري حتى النهاية . قولي لي اين وصل العمل الشيوعي في البلدان الاجنبية ؟» .

اطلعته على جميع المعلومات التي امكنني جمعها ، وكانت معلومات محدودة نظرا الى الصلة الواهية واللانظامية التي كانت قائمة آنذاك بين الاحزاب المنتمية الى الاممية الشيوعية . وكان لينين ، المنحني قليلا الى الامام ، يصغي الي بانتباه ، من دون ان تصدر منه امارة من امارات السأم او قلة الصبر او التعب . بل كان يهتم شديد الاهتمام حتى بالتفاصيل الثانوية الاهمية .

انني لا اعرف شخصا اكثر مقدرة منه على الاصغاء وعلى تصنيف الوقائع وتنسيقها بمثل تلك السرعة . وكان هذا واضحا من الاسئلة المقتضبة ، لكن البالغة التحديد دوما ، التي كان يطرحها بين الفينة والفينة اثناء حديثي ، ومن طريقته في الرجوع فيما بعد الى تفاصيل محادثتنا . وكان لينين قد سجل بعض الملاحظات المقتضبة .

وغني عن البيان انني تكلمت بوجه خاص عن الوضع في المانيا . وقد قلت له ان روزا (لوكسمبرغ) تقدر انه من بالغ الاهمية كسب الجماهير النسائية للنضال الثوري . فعندما شكل الحزب الشيوعي ، الحت روزا على نشر صحيفة مكرسة للحركة النسوية . وعندما كان ليو يوغيشيس (١) يدرس معي خطة عمل الحزب اثناء مقابلتنا الاخيرة ، قبل ست وثلاثين ساعة من اغتياله ويطلعني على المهام الواجب تنفيذها ، اطلعني ايضا على خطة لعمل منظم بين العاملات . وقد عولجت هذه المسألة منذ المؤتمر السري الاول للحزب ... وقد باشر الحزب عملا منهجيا بين العاملات . صحيح اننا في البداية ، لكنها بداية حسنة .

قال لينين :

ـ هذا ليس بالشيء السيء ، ليس بالشيء السيء البتة ... لكنني سمعت ، بالمناسبة ، رفيقات روسيات والمانيات يتفوهن باشياء غريبة . ويجب ان اقص عليك الامر . لقد روي لي ان شيوعية موهوبة للغاية تطبع في هامبورغ صحيفة للبغايا وتحاول ان تنظمهن للنضال الثوري . لقد تصرفت روزا ، بوصفها شيوعية ، على نحو انساني عندما كتبت مقالا دافعت فيه عن احدى البغايا السجينات لانتهاكها بعض قوانين الشرطة المتعلقة

---

١ ـ ليو يوغيشيس (تشيكا) : قائد بارز في الحركة العمالية البولونية والالمانية (١٨٦٧ ـ ١٩١٩) . «م»

بمهنتها المحزنة . والحق ان البغايا ، ضحايا المجتمع البورجوازي مرتين ، جديرات بالرثاء .

«انهن ، اولا ، ضحايا نظام الملكية اللعين ، وثانيا ، ضحايا الرياء الاخلاقي اللعين . هذا واضح . واجلاف القلوب وحسيرو العيون هم وحدهم الذين يتناسون ذلك .

«ولكن اليس في المانيا عاملات صناعيات ينبغي تنظيمهن ؟ ينبغي طبع جريدة لهن ؟ ينبغي جرهن الى النضال ؟ ان هـذا لانحراف مرَضي . وانه ليذكرني بالصرعة الادبية التي تجعل من كل بغي مادونّا وديعة . صحيح ان «الجذر» كان هنا ايضـا سليما : الاشفاق الاجتماعي ، استنكار الرياء والبورجوازيـة المحترمة . لكن هذا الجذر السليم قد ذوى بعد ان انتقلت اليه العدوى البورجوازية . فالبغاء في بلدنا ايضا سيطرح امامنـا مشكلات عديدة صعبة الحل ، والمطلوب هو اعادة البغي الى العمل المنتج ، وتمكينها من اخذ مكانها في الاقتصاد الاجتماعي ، وهذا امر معقد وصعب التحقيق في الحالة الراهنة لاقتصادنا وفـي الشروط الحاضرة . ذلك هو احد جوانب المشكلة النسوية التي تنطرح علينا بكل سعتها طالبة الحل . وهذه المشكلة بعيدة عن ان تكون قد سويت بعد في روسيا السوفياتية . ولكن لنعد الى حالتكم الخاصة في المانيا . ان الحزب لا يستطيع ، في اي حال من الاحوال ، ان يغض النظر عن مثل هذه الاعمال غير المنظمة من جانب اعضائه . فهذا يزرع الالتباس في الامور ويضعف قوانا . وانت ، ماذا فعلت حتى تحولي دون ذلك ؟»

ومن غير ان ينتظر لينين جوابي تابع :

«ان لائحة اخطائك ، يا كلارا ، لم تنفد بعد . فقد سمعت انك تهتمين بوجه خاص ، في امسيات المطالعة والنقاش مـع العاملات ، بمسائل الجنس والزواج . سمعت ان هذا الموضوع يحتل مركز المحور في اهتماماتك وتعليمك السياسي وعملـك

التربوي . والحق انني لم اصدق اذني .

«ان دولة ذكتاتورية البروليتاريا الاولى تكافح ضد جميع مناهضي الثورة في العالم . ووضع المانيا بالذات يستدعي اكبر التلاحم بين جميع القوى الثورية البروليتارية لرد هجمات الثورة المضادة التي لا تني تزداد قوة. والحال ان الشيوعيات النشيطات يعالجن اثناء ذلك مسالة الجنس واشكال الزواج في الماضي والحاضر والمستقبل . ويقدرن ان واجبهن الاول هو تثقيف العاملات بمثل هذه الافكار . ومما يزعم ان كراسة احدى الشيوعيات الفيينياويات عن المسالة الجنسية تتمتع بانتشار واسع جدا . يا لبلاهة هذه الكراسة ! فالقليل من المفاهيم الصحيحة التي تشتمل عليها ، سبق للعاملات ان اطلعن عليه من بيبل ، وهذا ليس ني شكل مخطط جاف وممل كما في تلك الكراسة ، وانما في شكل دعاية تاخذ عليك لبك ، دعاية مليئة بالهجمات على المجتمع البورجوازي . وفرضيات فرويد الواردة في الكراسة المذكورة تعطي الكتاب ، على حد ما يزعم ، طابعا «علميا» ، لكنه ليس في الواقع سوى خربشة بدائية . ونظرية فرويد لم تعد اليوم هي نفسها سوى نزوة من نزوات الموضة . انني لا اثق البتة بتلك النظريات الجنسية المعروضة في مقالات وتقارير وكراسات الخ ... وباختصار في ذلك الادب الخصوصي الذي ازدهر بغزارة في تربة المجتمع البورجوازي المزبلة . وانني لارتاب في اولئك الذين تشغلهم باستمرار وعناد مسائل الجنس، مثلهم مثل الفقير الهندي المستغرق في تامل سرّته .

«انه ليخيل الي ان هذه الوفرة من النظريات الجنسية ، التي ليست في معظمها سوى فرضيات تعسفية ، تنبع من ضرورات شخصية تماما ، اي من حاجة المرء الى تبرير حياته الشاذة او غرائزه الجنسية المشتطة امام الاخلاق البورجوازية والى استصدار قرار بالعفو عنها .

«ان هذا الاحترام المستتر للاخلاق البورجوازية يشير

اشمئزازي بقدر ما يثيره ذلك التحمس للمسائل الجنسية . وهذا الاهتمام ، مهما اتخذ من اشكال تمردية وثورية ، يظل في خاتمة المطاف اهتماما بورجوازيا خالصا . واولئك الذين يؤثرون الانصراف اليه هم المثقفون وسائر فئات المجتمع القريبة منهم . ولا مكان البتة لهذا النوع من الاهتمامات في الحزب وفي اوساط البروليتاريا المناضلة والواعية لروحها الطبقية» .

وهنا لاحظت ان المسائل الجنسية والزوجية في ظل نظام الملكية الخاصة تثير مشكلات عدة ، وانها احد اسباب الصراع والالم بالنسبة الى النساء من جميع الطبقات والفئات الاجتماعية. وقلت ان الحرب ونتائجها قد ضاعفت بالنسبة الى المراة من شان الصراع والالم اللذين كانت تنطوي عليهما في السابق العلاقات بين الجنسين . فالمشكلات التي كانت مستترة حتى الان تكشفت لانظار النساء ، وهذا في مناخ الثورة التي هلت بشائرها . وعالم العواطف القديمة والافكار القديمة يتداعى من كل جانب . والروابط الاجتماعية الماضية تضعف وتتقطع. وتظهر الى الوجود بذور منطلقات ايديولوجية جديدة ، لم يتحدد شكلها بعد ، للعلاقات بين البشر . وما تثيره هذه المسائل من اهتمام يجد تفسيره في الحاجة الى سلوك اتجاه جديد . وهنا يبرز ايضا رد الفعل على تشويهات المجتمع البورجوازي واكاذيبه . وتبدل الاشكال الزواجية والعائلية على مر التاريخ ، من خلال ارتباطها بما هو اقتصادي ، يشكل وسيلة حسنة لاستئصال جذور الايمان بخلود المجتمع البورجوازي من اذهان العاملات . والموقف النقدي من هذا المجتمع يجب ان يؤدي الى تقطيع اوصال النظام البورجوازي والى تعرية ماهيته ونتائجه والى فضح الاخلاق الجنسية الزائفة . جميع الدروب تفضي الى الطاحون . وكل تحليل ماركسي يتعلق بجزء هام من بنية المجتمع الفوقية الايديولوجية او بظاهرة اجتماعية بارزة يجب ان يقود الى تحليل

النظام البورجوازي واساسه ، الملكية الخاصة . وكل تحليل من هذه التحاليل يجب ان يقود الى الاستنتاج التالي : «ينبغي ان تهدم قرطاجة» .

كان لينين يبتسم وهو يهز راسه :

« ـ حسنا . انه لتبدو عليك سيماء المحامي الذي يدافع عن رفاقه وحزبه . يقينا ، ان ما تقولينه هنا لصحيح . لكن اكثر ما يسع هذا الكلام ان يعذر الغلطة المقترفة في المانيا ، لا ان يبررها. ان الغلطة المقترفة تظل غلطة . هل تستطيعين ان تضمني لـي جديا ان المسائل الجنسية والزوجية لا تناقش في اجتماعاتكم الا من وجهة النظر المادية التاريخية الحيوية المفهومة فهما حسنا ؟ ان هذا ليفترض معارف واسعة ، معمقة ؛ يفترض المعرفة الماركسية ، الواضحة المحددة ، بجملة هائلة من المواد . هل تملكون في الوقت الراهن القوى الضرورية ؟ لو كان الجواب ان نعم ، لما كان امكن ان تستخدم كراسة كتلك التي تحدثنا عنها كمادة للتعليم في امسيات المطالعة والنقاش لديكم. وانتم توصون بهذه الكراسة وتوزعونها بدلا من ان تنقدوها . إلامَ يؤدي ، في خاتمة المطاف ، هذا الدرس الناقص وغير الماركسي للمسالة ؟ انه يؤدي الى عدم فهم المسائل الجنسية والزوجية بوصفها جزءا من المسالة الاجتماعية الرئيسية ، بل يؤدي على العكس الى ان تبدو المشكلة الاجتماعية الكبرى نفسها وكانها جزء من المشكلة الجنسية واستطالة لها . وهكذا يتراجع ما هو رئيسي الى الخلف وكانه ثانوي . وهذا لا يضر بوضوح المسالة فحسب، بل يشوش ايضا الفكر بشكل عام ووعي العاملات الطبقي .

«وثمة ملاحظة اخرى لا تخلو من فائدة . لقد كان سليمان الحكيم يقول : كل شيء في وقته . فقولي لي ، ارجوك ، هل هذا هو الوقت المناسب لاشغال العاملات طوال اشهر كاملة لتحديثهن عن الطريقة التي يُحِب بها المرء ويُحَب ، او عن كيفية المغازلة لدى الشعوب المختلفة ، في الماضي والحاضر والمستقبل؟

وهل هذا هو ما يسمى بفخر بالمادية التاريخية ! ان كل افكار العاملات يجب ان تكون موجهة الان نحو الثورة البروليتارية . فهذه الثورة هي التي ستخلق ايضا اساسا لشروط الزواج الجديدة وللعلاقات الجديدة بين الجنسين . اما في الوقت الحاضر فيجب ان تحتل المقام الاول مشكلات اخرى غير تلك التي تتعلق باشكال الزواج لدى زنوج اوستراليا او الزيجات المعقودة بين اعضاء الاسرة في العصور القديمة .

«ان التاريخ يضع في جدول اعمال البروليتاريا الالمانية مسالة السوفييتات ومعاهدة فرساي وتاثيرها على حياة الجماهير النسائية ومسالة البطالة وانخفاض الاجور والضرائب وغيرها من المسائل الهامة . وباختصار ، لقد كان رايي دوما ان هذا النمط من التثقيف السياسي والاجتماعي للعاملات ليس هو البتة النمط الواجب . كيف امكنك ان تلزمي الصمت ؟ لقد كان عليك ان تستخدمي نفوذك» .

واوضحت لصديقي المحتدم انني لم افوّت قط اي مناسبة للنقد وللرد على الرفيقات القياديات ، ولإسماع صوتي في شتى المناسبات ، بيد ان عليه ان يعلم ان ما من نبي في وطنه ولا بين اقاربه . وقد اثرت ، بانتقاداتي هذه ، الشكوك حول بقائي وفية لمخلفات النزعة الاشتراكية ـ الديموقراطية والروح البورجوازية الصغيرة الفائت اوانها . بيد ان انتقاداتي اتت ثمارها في خاتمة المطاف . فمسائل الجنس والزواج لم تعد تعتبر هي الرئيسية في حلقاتنا ومسياتنا .

وتابع لينين عرض فكرته قائلا :

ـ انني اعرف ، اعرف ان الشكوك تثار حولي انا ايضا بانني لا افقه في مسائل العصر الحديث . لكن هذا لا يثير انفعالي . فالجهلاء والبليدون من الشبان ما يكادون يخرجون من بيضة التصورات البورجوازية حتى يتصوروا انفسهم غاية في الفهم

والذكاء . والحق ان حركة الشباب قد انتقلت اليها هي ايضا عدوى الاتجاه الحديث والانسحار المشتط بالمسائل الجنسية .

وقد شدد لينين بسخرية على كلمة «الحديث» واضاف مستنكرا :

ـ لقد قيل لي ان المشكلات الجنسية هي ايضا الموضوع المحبذ للدراسة في منظمات الشبيبة لديكم . وما اكثر المحاضرين في هذا الموضوع . وهذا شيء مثير للاستنكار وخطر للغاية بالنسبة الى حركة الشبيبة . فهذه المواضيع تستطيع بسهولة ان تساهم في اثارة وحفز حياة بعض الافراد الجنسية وفي هدم صحة وقوى الشبيبة . ان عليك ان تناضلي ضد هذه الظاهرة ايضا . ذلك ان بين حركة النساء وحركة الشبيبة نقاط اتصال عديدة . ان على رفيقاتنا الشيوعيات ان يشتركن مع الشبيبة في كل مكان في عمل منهجي . وسيكون من اثر ذلك رفعهن ونقلهن من عالم الامومة الفردية الى عالم الامومة الاجتماعية. ومن الاهمية بمكان المساهمة في كل يقظة للحياة الاجتماعية والنشاط لدى المراة ، حتى تتمكن من الارتفاع بنفسها فوق العقلية الضيقة ، البورجوازية الصغيرة ، الفردية النزعة لحياتها المنزلية والعائلية.

«ان قسما كبيرا من شبيبتنا نحن ايضا يعمل مثابرا على اعادة النظر في التصور البورجوازي عن «الاخلاق» على صعيد المشكلات الجنسية ، وانها ، يجب ان اقول ذلك ، نخبة شبيبتنا ، النخبة الحافلة بالوعود الكثيرة حقا . وكما قلت ، فان القيم الايديولوجية القديمة تنهار في المناخ الذي ولدته الحرب وبداية الثورة ، وتفقد القوى التي كانت تسندها . والقيم الجديدة لا تتبلور الا ببطء وبالنضال .

«ان التصورات عن العلاقات بين الرجال والنساء قد انقلبت شانها شان العواطف والافكار . ومن جديد بدا تحديد حقوق الفرد وحقوق الجماعة ، وبالتالي واجبات الفرد . وان هذه لسيرورة ، بطيئة ومؤلمة في غالب الاحيان ، من الاضمحلال

والولادة . وهذا ينطبق ايضا على ميدان العلاقات الجنسية فيما يتعلق بالزواج والاسرة . ان انحطاط الزواج البورجوازي وتعفنه ووحله ، مع مصاعب فسخه وحرية الزوج وعبودية المراة ، والكذب الدنيء الذي تنطوي عليه الاخلاق الجنسية والعلاقات الجنسية ، ان هذا كله يثير لدى افاضل الناس شعورا بالقرف العميق .

«ان النير الذي تغل به قوانين الدولة البورجوازية الزواج والاسرة يزيد ايضا من استفحال الداء ومن حدة التناقضات . انه نير عدم جواز انتهاك حرمة الملكية الخاصة الذي يضفي طابعا شرعيا على الخسة والقذارة وقابلية كل شيء للشراء بالمال ، بالاضافة الى كذب مواضعات المجتمع البورجوازي «المحترم» . ان الناس يثورون على تشويهات الطبيعة هذه . وفي العصر الذي تنهار فيه الدول القوية وتتلاشى اشكال السيطرة القديمة ويفنى عالم اجتماعي كامل ، تتبدل عواطف الانسان الفرد بسرعة .

«ان الظما اللجوج الى مسرات متنوعة يكتسب بسهولة قوة لا تقاوم . واشكال الزواج والعلاقات بين الجنسين بالمعنى البورجوازي لا تعود مرضية . ان ثورة في هذا المجال تقترب مع اقتراب الثورة البروليتارية . ومن المفهوم ان هذه المجموعة البالغة التعقيد من المسائل تشغل اهتمام النساء والشبيبة على حد سواء . فالنساء والشبيبة يشكون من هذا الاختلاط واللبس في العلاقات الجنسية ، والشبيبة تحتج على وضع الاشياء هذا بالحماسة واللجبة المميزتين لهذه السن . هذا مفهوم . واكبر خطا نرتكبه هو ان نعظ الشبيبة بزهد الاديرة وبقداسة القذارة البورجوازية . ولكن ليس من المستحسن في نظري ان تصبح المشكلات الجنسية ، التي رفعتها اسباب طبيعية الى المقام الاول، الشاغل الرئيسي للشبيبة في هذه الاعوام . فنتائج ذلك قد تكون في بعض الاحيان مشؤومة .

«ان الشبيبة ، في موقفها الجديد من المسائل المتعلقة بالحياة الجنسية ، لا تتوانى من حيث المبدأ عن الرجوع الى النظرية . والكثيرون يصفون موقفهم بأنه «ثوري» او «شيوعي» . وهم يؤمنون صادق الايمان بذلك . وانا اكبر سنا من ان يفرضوا علي ايمانهم هذا . وبالرغم من انني لست البتة زاهدا متنسكا متعنتا، الا ان الحياة الجنسية الجديدة للشباب ، وحتى للراشدين ، تبدو لي في غالب الاحيان بورجوازية تماما ، مظهرا من المظاهر العديدة لماخور بورجوازي . ان هذا كله ليس له من علاقة بـ «حرية الحب» كما نفهمها نحن الشيوعيين . انت تعرفين بلا شك النظرية المشهورة القائلة ان تلبية الغرائز الجنسية والحاجة الى الحب لن تعدو في المجتمع الشيوعي ان تكون اكثر من امر بسيط تافه كاجتراع كأس من الماء . ان نظرية «كأس الماء» هذه قد جعلت شبيبتنا مستكلبة ، مستكلبة بالمعنى الحرفي للكلمة .

«لقد كانت هذه النظرية مشؤومة على الكثيرين من شبابنا وشاباتنا . ويؤكد انصارها انها نظرية ماركسية . فشكرا لهذه الماركسية التي ترى ان كل الظاهرات وكل التبدلات التي تطرأ على بنية المجتمع الفوقية الايديولوجية تستنبط مباشرة ، وبخط مستقيم ، وبدون اي تحفظ ، من الاساس الاقتصادي وحده . ان الامر ليس بمثل هذه البساطة التي يبدو بها . أن شخصا يدعى فريدريك انجلز قد بيّن ، منذ زمن بعيد ، حقيقة المادية التاريخية هذه .

«انني اعتبر نظرية «كأس الماء» المشهورة غير ماركسية ، ومضادة للمجتمع فضلا عن ذلك . ففي الحياة الجنسية لا يتجلى ما اخذناه عن الطبيعة فحسب ، بل ايضا ما اخذناه عن الثقافة ، سواء اكان ساميا ام منحطا .

«ان انجلز يبين في «اصل الاسرة ...» اهمية تطور الحب الجنسي وتهذبه . والعلاقات بين الجنسين ليست محض تعبير عن عمل الاقتصاد الاجتماعي والحاجة الجسمانية .

«ان الميل الى ارجاع تبدل هذه العلاقات الى اساس المجتمع الاقتصادي ، بغض النظر عن كل صلة بالايديولوجيا ، ليس من المذهب الماركسي وانما من المذهب العقلاني . يقينا ، ان الظما لا بد ان يشفي غليله . لكن هل ينبطح انسان سوي في ظروف سوية ايضا ، على بطنه على ارض الشارع ليشرب من مستنقع ماء وسخ؟ او حتى من كأس لوثت حوافها عشرات الشفاه الاخرى؟ والاهم من ذلك ايضا الناحية الاجتماعية . وبالفعل ، ان شرب الماء مسألة شخصية . لكن الحب يعني شخصين اثنين ، ومنه يتاتى ثالث ، كائن جديد . وانما ههنا تكمن المصلحة الاجتماعية ويولد الواجب تجاه المجتمع . انني لا اشعر ، بوصفي شيوعيا ، باي جاذبية نحو نظرية «كأس الماء» وان تلبست بلبوس مبدأ «الحب المنعتق» ، وفضلا عن ذلك فانها ليست بالجديدة ، هذه النظرية الشيوعية . فانت تذكرين ، على ما اعتقد ، انه جرى «التبشير» بها في الادب في اواسط القرن الماضي تحت عنوان «تحرير القلب» . وقد انقلبت ، في الممارسة البورجوازية ، الى تحرير للجسد . وقد كان التبشير بها يتم يومذاك ببراعة اكبر . اما عن الممارسة ، فلست بمستطيع اصدار حكم .

«انني لا اريد البتة ، بنقدي هذا ، ان ادعو الى الزهد . فمن واجب الشيوعية ان تحمل للانسان لا الزهد ، بل فرح الحياة والرفاه المرتبطين ايضا بملاء الحب . وفي رايي ان الشطط الملحوظ اليوم في الحياة الجنسية لا يحمل في طياته لا فرح الحياة ولا الحيوية ، بل هو على العكس ينتقص منهما . وهذا امر سيء ، سيء للغاية في زمن الثورة .

«ان ما تحتاجه الشبيبة بوجه خاص انما هو فرح الحياة والحيوية .

«ان الرياضة والسباحة والجولان وكل نوع من انواع التمارين البدنية والاهتمامات الاخلاقية المتنوعة والدراسات والتحاليل

والابحاث ، ان هذا كله يقدم للشبيبة اكثر بكثير مما تقدمه التقارير والمناقشات التي لا نهاية لها حول المسائل الجنسية وحول طريقة «التمتع بالحياة» حسب التعبير الشائع .

«روح سليم في جسم سليم» ، لا ترهّب ، ولا دون جوانية ، ولا ابتذال الماني كحد وسط . انت تعرفين حق المعرفة رفيقك الشاب هوز . انه شاب كامل ، عظيم الموهبة ، لكني اخشى الا يخرج منه شيء جيد . فهو يتخبط وينتقل من مغامرة غرامية الى اخرى . ان هذا لا يقدم شيئا للنضال السياسي ولا للثورة ، انني لا اضمن لا الثقة ولا الحزم في النضال بالنسبة الى النساء اللاتي يختلط خيالهن الشخصي بالسياسة ، ولا بالنسبة الى الرجال الذين يجرون وراء كل تنورة ويقعون صرعى اول كاعب حسناء يرونها . كلا ، ان هذا لا يتفق والثورة !» .

ونهض لينين فجأة ، وضرب بيده على الطاولة وخطا بضع خطى في غرفته :

ــ ان الثورة تستدعي تركيز القوى وتوترها . من جانب الجماهير وكل فرد على حدة . وهي لا تتفق مع الاشتطاط في الشبق كما هي حال ابطال وبطلات دانونزيو (١) المنحطين . ان الشطط في الحياة الجنسية علامة على الانحطاط البورجوازي ، والبروليتاريا طبقة صاعدة . وهي ليست بحاجة لان تسكر ، وتدوخ ، وتثار . انها لا تطلب لا الثمل ولا الافراط في الجنس والكحول . انها لا تجرؤ ولا تريد ان تنسى دناءة الرأسمالية ، ووحلها وهمجيتها . وهي تستمد اقوى حوافزها النضالية من وضعها الطبقي ومن المثل الاعلى الشيوعي . وما تحتاجه هو الوضوح والمزيد من الوضوح . ولهذا ، انني اكرر ذلك ، لا تهاون،

---

١ ــ غبرييل دانونزيو : روائي ومسرحي وشاعر ايطالي (١٨٦٣ ــ ١٩٣٨) . «م»

ولا تبذير او تدمير للقوى . ومعرفة ضبط النفس وسيطرة المرء على افعاله لا تعني العبودية . وهذا ضروري في الحب ايضا .

«لكن ، اعذريني يا كلارا ، فقد ابتعدت كثيرا عن نقطة انطلاق حديثنا . لمَ لم تلفتي نظري حتى اعود الى النظام ؟ ان قلقي قد جعلني اقول اكثر مما كنت اود . ان مستقبل شبيبتنا يقلقني كثيرا . فالشبيبة هي جزء من الثورة . واذا ما بدات التاثيرات الضارة للمجتمع البورجوازي تمتد الى عالم الثورة ايضا ، شان الجذور الكثيرة التشعب لبعض الاعشاب السامة ، فمن الافضل ان نقاومها في الوقت المناسب . ولاسيما ان هذه المسائل هي جزء ايضا من المشكلة النسوية» .

كان لينين يتكلم بكثير من الحدة وقوة الاقتناع . وكنت اشعر بأن كل كلمة من كلماته تخرج من اعماق قلبه . كان تعبير وجهه شاهدا على ذلك . وكانت حركة حازمة من يده تدل احيانا على فكرته . وما اذهلني هو انني وجدت لينين ، مع اهتمامه بالمسائل السياسية البالغة الاهمية ، يعير انتباها عظيما للظاهرات المنفردة ويحللها بعناية بالغة ، وهذا ليس فيما يتعلق بروسيا السوفياتية فحسب ، بل ايضا بالبلدان الراسمالية . وكان لينين ، بوصفه ماركسيا كاملا ، ينظر الى كل ظاهرة منفردة ، في اي شكل ومكان تتجلى فيهما ، من خلال المشكلة الكبرى ، من خلال الكل، مقدرا قيمة الاولى بالنسبة الى الاخيرة . وكانت ارادته وهدف حياته الراسخ الذي لا يتزعزع ، كقوة لا تقاوم من قوى الطبيعة، لا يستهدفان سوى شيء واحد : التعجيل بالثورة التي يرى فيها قضية الجماهير . كان لينين يقيّم كل ظاهرة من زاوية التاثير الذي يمكن ان تمارسه على القوى المكافحة في سبيل الثورة ، على نطاق قومي وامعي معا ، لانه كان يرى دوما امامه ، مع اخذه بعين الاعتبار التام الخصائص التاريخية في مختلف البلدان وفي مختلف مراحل تطورها ، ثورة بروليتارية عالمية

واحدة غير قابلة للقسمة .

وهتفت :

ـ كم يؤسفني ، ايها الرفيق لينين ، ان مئات والـــوف الاشخاص لم يسمعوا كلماتك هذه . وانت تعلم انه ، بالنسبة الي ، لا حاجة الى اقناعي . لكن من الاهمية بمكان ان يطلـــع اصدقاؤنا واعداؤنا على السواء على رايك .

ابتسم لينين بطيبة :

ـ لعلي سألقي ذات يوم خطابا او اكتب حول هذا الموضوع . ليس الان ، وانما فيما بعد . فاليوم علينا ان نركز كل وقتنا وكل قوانا حول نقطة اخرى . ان لدينا في الوقت الراهن هموما اخطر واصعب . فالنضال من اجل الحفاظ على السلطة السوفياتية وتوطيدها ما يزال بعيدا عن ان يكون قد انتهى . وعلينا ان نبذل كل ما في وسعنا لاستخلاص النتائج من الحرب مع بولونيا . ان فرانغل[1] ما يزال في الجنوب . ويقيني الراسخ ، انا واثق من ذلك ، اننا سنتغلب عليه ، الشيء الذي سيجعـــل الامبرياليين الانكليز والفرنسيين وصغار اتباعهم يفكرون. لكن الشيء الاصعب هو اعادة البناء .

«وسوف تكتسب مشكلة العلاقات بين الجنسين ومسائـل الزواج والاسرة المزيد من الاهمية من خلال هذه المسيرة ايضا . وبانتظار ذلك ، عليكم ان تناضلوا دوما وفي كل مكان . عليكم الا تسمحوا بمعالجة هذه المسائل عن غير الطريق الماركسي ، والا تسمحوا بأن تخلق تربة مناسبة للانحرافات والتشويهات المؤذية» .

ونظر لينين الى ساعته ، وقال :

ـ ان الوقت المتاح لي قد انصرم نصفه . لقد تكلمت اكثر مما

---

١ ـ فرانغل بيوتر نيقولائيفتش : جنرال قيصري ، ومن قادة الثورة المضادة (١٨٧٨ ـ ١٩٦٨) . «م»

ينبغي . ان علينا ان نكتب أطروحات تستلهمها النساء في عملهن الشيوعي . انني اعرف مبادئك وتجربتك العملية . وعلى هذا فان حديثنا حول هذه النقطة سيكون قصيرا . اذن ، الى العمل ! كيف تتصورين هذه الاطروحات ؟

عرضت على لينين افكاري بصورة مكثفة . هز لينين راسه بضع مرات دليل التحبيذ ، دون ان يقاطعني . وحين انتهيت من الكلام ، نظرت اليه نظرة متسائلة ، فقال :

ـ صحيح . كذلك سيكون من الحسن ان تقدمي تقريرا عن هذا في اجتماع العاملات الحزبيات المسؤولات وتناقشن المسالة. من المؤسف ، من المؤسف جدا ان الرفيقة اينيسا ليست هنا . فهي مريضة ، وقد راحت الى القفقاس . بعد المناقشة ، اكتبي الاطروحات . وبعد ذلك تدرسها لجنة ، ثم تتخذ اللجنة التنفيذية القرار النهائي . سأكتفي بابداء رأيي في بعض البنود الرئيسية التي اشاطرك فيها كليا موقفك . وهذه البنود تبدو لي هامة كذلك بالنسبة لعملنا التحريضي والدعائي الجاري ، لاننا نريد الاستعداد لنضالات ناجحة ومعارك مظفرة .

«يجب ان تشير الاطروحات بصورة حادة الى ان تحرير المراة الحقيقي غير ممكن الا عن طريق الشيوعية . تجب دراسة مسالة الصلة التي لا تنفصم عراها بين وضع المراة كانسان وعضو في المجتمع وبين الملكية الخاصة لوسائل الانتاج دراسة معللة . وبذلك نضع حدا فاصلا مامونا بيننا وبين الحركة البرجوازية بصدد «انعتاق المراة» . ثم ان هذا يرسي الاساس لدراسة قضية المراة بوصفها جزءا من القضية الاجتماعية ، العمالية ، ويتيح بالتالي ربطها ربطا متينا بالنضال الطبقي البروليتاري والثورة . يجب ان تكون الحركة الشيوعية النسائية نفسها جماهيرية، يجب ان تكون جزءا من الحركة الجماهيرية العامة ، لا من حركة

البروليتاريين وحسب ، بل ايضا من حركة جميع المستثمرين والمظلومين ، من حركة جميع ضحايا الراسمالية . وفي هذا تتلخص اهمية الحركة النسائية بالنسبة لنضال البروليتاريا الطبقي ولمهمتها الخلاقة التاريخية ، وهي بناء المجتمع الشيوعي. وبوسعنا ان نعتز عن حق بأن نخبة النساء الثوريات موجودة في حزبنا ، في الكومنترن . ولكن هذا لا يتسم بعد بالاهمية الحاسمة . ينبغي لنا ان نجتذب ملايين النساء الكادحات في المدينة والريف الى الاشتراك في نضالنا ، ولاسيما الى قضية اعادة بناء المجتمع على الاسس الشيوعية . فبدون النساء لا يمكن ان تقوم حركة جماهيرية حقيقية .

«ومن تصورنا الايديولوجي تنبع كذلك الاجراءات التنظيمية. لا منظمات منفردة خاصة للشيوعيات ! فان الشيوعية هي عضو في الحزب مثل الشيوعي ، وبنفس الواجبات والحقوق . وفي هذا لا يمكن ان تكون اي خلافات ، ولكنه يجب علينا ان لا نغمض عيوننا عن الوقائع . ينبغي ان تكون عند الحزب هيئات ـ فرق عمل ، لجان خاصة ، لجان ، اقسام ، او حسبما يسمونها هناك ـ تكون مهمتها الخاصة ايقاظ جماهير النساء الغفيرة ، وربطها بالحزب ، وابقاؤها تحت نفوذه . ولهذا الغرض ، ينبغي لنا ، بالطبع ، ان نقوم بعمل منتظم دائب بين هذه الجماهير النسائية . ينبغي لنا ان نعلم النساء المنتشلات من لجة الخمول والجمود ، وان نجندهن ونسلحهن من اجل النضال الطبقي البروليتاري تحت قيادة الحزب الشيوعي . وانا لا اقصد هنا البروليتاريات العاملات في المعامل او قرب الفرن المنزلي وحسب. بل يذهب بي الفكر كذلك الى الفلاحات والنساء من مختلف فئات البورجوازية الصغيرة . فهن جميعهن ايضا ضحايا الراسمالية ، وصرن منذ زمن الحرب ضحايا الراسمالية اكثر مما في اي وقت مضى . ان عقلية هذه الجماهير النسائية ، نفسيتها

اللاسياسية ، اللااجتماعية ، المتاخرة ، ضيق مجال نشاطها ، كل نمط حياتها ـ انما هي وقائم . ومن غير المعقول ان لا نهتم بذلك ، من غير المعقول بتاتا . نحن بحاجة الى هيئات خاصة بنا لاجل العمل بين هذه الجماهير ، نحن بحاجة الى طرائق خاصة للتحريض والى اشكال تنظيمية خاصة . وليس بيت القصيد هنا الدفاع البرجوازي عن «حقوق المراة» ، بل الجدوى الثورية الحقيقية» .

قلت للينين ان آراءه تأييد قيّم لي . وان كثيرين من الرفاق، من الرفاق الجيدين جدا ، قد ناضلوا بأشد الحزم ضد انشاء هيئات خاصة من قبل الحزب لاجل العمل المنظم بين الجماهير النسائية الغفيرة . فقد اعتبروا ذلك عودة الى التقاليد الاشتراكية ـ الديموقراطية ، الى «انعتاق المراة» الشهير . وحاولوا ان يبرهنوا انه يجب على الاحزاب الشيوعية ، ما دامت تعترف مبدئيا وكليا بمساواة المراة في الحقوق ، ان تقوم بالعمل بين الجماهير الكادحة دون اي تقسيمات وانه ينبغي ان يكون الموقف من النساء مثل الموقف من الرجال . وكل محاولة لمراعاة الاوضاع التي اشار اليها لينين فيما يتعلق بالتحريض او التنظيم يدمغها انصار الآراء المعاكسة بدمغة الانتهازية ، بدمغة الخيانة والعدول عن المبادىء .

فاعترض لينين قائلا :

ـ هذا ليس جديدا ، ولا يشكل البتة اي برهان . فلا تنساقوا الى الضلال . لماذا لا يوجد عندنا في اي مكان ، وحتى في روسيا السوفييتية ، عدد من النساء في الحزب مثل عدد الرجال ؟ ولماذا نجد عدد العاملات المنظمات مهنيا بمثل هذه القلة ؟ ان هذه الوقائع تجبرنا على امعان الفكر . ان انكسار ضرورة الهيئات الخاصة لاجل عملنا بين الجماهير النسائية الغفيرة هو احد مظاهر الموقف المبدئي جدا والراديكالي جدا الذي يقفه

«اصدقاؤنا الاعزاء» في حزب العمال الشيوعي (١) . فبرايهم انه يجب ان يقوم شكل واحد فقط للتنظيم هو الاتحاد العمالي . انا اعرف هذا ، فذوو الرؤوس الثورية المزاج ولكن المشوشة يطيب لهم الكلام عن نقاوة المبدأ عندما «يقع نقص في المفاهيم» ، اي عندما يمتنع العقل عن تقبل الوقائع الثابتة التي يجب اخذها بعين الاعتبار . كيف يواجه حفظة «نقاوة المبدأ» هؤلاء الضرورات المفروضة علينا تاريخيا في سياستنا الثورية ؟ ان جميع هذه الآراء تتبدد هباء امام الضرورة القاطعة : نحن لا يسعنا ان نقيم ديكتاتورية البروليتاريا بدون ملايين النساء ، نحن لا يسعنا ان نقوم بالبناء الشيوعي بدونهن . يجب علينا ان نفتش عن الطريق اليهن ، يجب علينا ان ندرس الكثير ، ونجرب الكثير مرارا لكي نجد هذه الطريق .

«لهذا من الصحيح تماما ان نتقدم بمطالب في صالح النساء. وليس هذا ببرنامج الحد الادنى ، ولا ببرنامج اصلاحات بروح الاشتراكية ــ الديموقراطية ، بروح الاممية الثانية . وليس هذا اعترافا باننا نؤمن بخلود البرجوازية ودولتها او على الاقل بطول وجودهما . وليس هذا كذلك بمحاولة لطمأنة جماهير النساء بالاصلاحات وصرفهن عن طريق النضال الثوري . وهذا لا يمت باي صلة الى الغش الاصلاحي . ان مطالبنا تنبع عمليا من واقع الحاجة الماسة والمذلات المخزية التي تعانيها المراة الضعيفة والمحرومة من الحقوق في ظل النظام البرجوازي . ونحن بذلك نشهد على اننا نعرف هذه الحاجات ، ونشعر بظلم المراة ، نشعر بوضع الرجل المميز ، ونكره ــ اجل نكره ــ ونريد ان نزيل كل ما

---

١ ــ حزب العمال الشيوعي الالماني : فريق فوضوي ــ نقابي تشكل في عام ١٩١٩ من العناصر اليسارية التي انفصلت عن الحزب الشيوعي الالماني. «م»

يظلم ويعذب العاملة ، زوجة العامل ، الفلاحة ، زوجة الانسان الصغير ، وحتى في كثير من الاحوال المرأة من الطبقة الميسورة . ان الاجراءات الاجتماعية والحقوق التي نطلبها من المجتمع البرجوازي لاجل النساء تشكل دليلا على اننا نفهم وضع النساء ومصالحهن واننا سنأخذها بعين الاعتبار في ظل ديكتاتورية البروليتاريا . ولن نفعل ذلك ، بالطبع ، عن طريق اجراءات الوصاية المخدرة . كلا ، بالطبع ، كلا ، ولكن سنفعل ذلك كثوريين يدعون النساء ، بوصفهن مساويات للرجال في الحقوق ، الى العمل بأنفسهن على تحويل الاقتصاد والبناء الفوقي الايديولوجي» .

اكدت للينين اني اشاطره وجهة نظره ؛ وقلت له ان وجهة نظره ستصطدم ، بلا ريب ، بمقاومة . فان العقول الوجلة وغير الواثقة ستنبذها باعتبارها «انتهازية خطرة» . كذلك لا يمكن ان ننكر ان مطالبنا الحالية من اجل النساء قد تفهم وتفسر بصورة غير صحيحة .

فصاح لينين ، ممتقعا بعض الشيء : «وما في الامر ! ان هذا الخطر يحيق بكل ما نقوله ونفعله . واذا استنكفنا بدافع الخوف منه عن القيام بالمساعي العقلانية والضرورية ، فقد نتحول بكل بساطة الى نساك متعصبين هنود يصلون واقفين على اعمدة . فلا حركة ، ولا حركة البتة ، والا فقد نتشقلب راسا على عقب الى اسفل من علو عمود مبادئنا ! والمقصود في حالتنا ، لا ما نطالب به وحسب ؛ بل كيف نفعل هذا ايضا . ويخيل الي اني تكلمت عن هذا بما يكفي من الوضوح . ومفهوم انه لا يجب علينا في دعايتنا ان نستعمل مطالبنا لاجل النساء كمسبحة للصلاة . كلا . فتبعا للظروف القائمة ، يجب علينا ان نناضل تارة من اجل هذه المطالب، وطورا من اجل تلك ، وان نناضل ، طبعا، بالارتباط الدائم مع المصالح العامة للبروليتاريا .

«يقينا ، ان كل اشتباك يدخلنا في تناقض مع الزمرة البرجوازية الموقرة ، ومع خدمها الاصلاحيين الذين لا يقلون عنها وقارا ، الامر الذي يجبر هؤلاء اما على النضال معنا ، تحت قيادتنا ـ وهذا ما لا يريدونه ـ واما على ان يكشفوا القناع عن وجوههم . وعليه ، فان النضال يبرزنا بوضوح ، يظهر وجهنا الشبيوعي ، ويكسبنا ثقة الجماهير النسائية الغفيرة التي تشعر بانها مستثمرة ، مستعبدة ، مخنوقة من قبل سيادة الرجال وسلطان رب العمل وكل المجتمع البرجوازي بمجمله . ان النساء الكادحات اللواتي خانهن الجميع وتخلى عنهن الجميع بدأن يفهمن انه يجب عليهن ان يناضلن معنا . فهل يتعين علينا ، يا ترى ، ان نؤكد فيما بيننا على الاخص ان النضال من اجل حقوق النساء يجب ان يرتبط بالهدف الاساسي ، اي بالاستيلاء على السلطة واقامة ديكتاتورية البروليتاريا ؟ ان هذا هو في الوقت الحاضر ولا يزال الفنا وياؤنا . وهذا واضح ، واضح تماما . ولكن اوسع الجماهير النسائية الشعبية الكادحة لن تشعر بالرغبة الجامحة في مشاطرتنا النضال من اجل سلطة الدولة اذا كنا سننفخ في البوق بهذا المطلب فقط ، حتى وان نفخنا في ابواق اريحا . كلا ثم كلا ! يجب علينا ان نربط نداءنا سياسيا في وعي الجماهير النسائية ، كذلك بآلام النساء الكادحات وحاجاتهن وأمانيهن . يجب ان يعرفن ان ديكتاتورية البروليتاريا بالنسبة لهن تعني المساواة التامة في الحقوق مع الرجال سواء على صعيد القانون ام في الممارسة ، وفي العائلة وفي الدولة وفي المجتمع ، وتعني ايضا القضاء على حكم البرجوازية» .

فصحت انا : «ان روسيا السوفييتية تبرهن هذا ، وهي مثال عظيم لنا !» .

فواصل لينين كلامه قائلا :

ـ ان روسيا السوفييتية تطرح مطالبنا من اجل النساء في ضوء جديد . فهذه المطالب لم تبق في ظل ديكتاتورية البروليتاريا

موضوع صراع بين البروليتاريا والبرجوازية ، بل غدت بمثابة آجر لاجل بناء المجتمع الشيوعي . وهذا يبين للنساء في الجانب الآخر من الحدود الاهمية الفاصلة لظفر البروليتاريا بالسلطة . تنبغي صياغة الفوارق بين وضعهن هنا ووضعهن هناك صياغة دقيقة لكي تسير الجماهير النسائية وراءكم في نضال البروليتاريا الطبقي الثوري . ان تعبئتهن ، الجارية مع فهم المبادىء فهما واضحا ، وعلى اساس تنظيمي صلب ، هي مسالة حياة وانتصار الحزب الشيوعي . ولكننا لن نخدع انفسنا . ففروعنا الوطنية لا تملك بعد فهما واضحا لهذه المسالة . وهي تقف موقف الخمول والانتظار حيال مهمة انشاء حركة جماهيرية للنساء الكادحات ، وانشائها تحت قيادة الشيوعيين . وهي لا تدرك ان تطوير مثل هذه الحركة الجماهيرية وقيادتها لها يشكلان قسما من اهم اقسام النشاط الحزبي كله ، بل نصف العمل الحزبي العام . ان اعترافها ، عند الاقتضاء ، بضرورة وقيمة حركة نسائية شيوعية قوية تضع نصب عينيها هدفا واضحا هو اعتراف افلاطوني بالاقوال ، وليس هما وواجبا حزبيا دائما .

«انها تعتبر النشاط التحريضي والدعائي بين الجماهير النسائية وايقاظها ونفخها بروح الثورة شيئا ثانويا ، امرا يتعلق بالشيوعيات وحدهن . وهي تلوم الشيوعيات لكون القضية لا تتقدم بمزيد من السرعة والحزم . هذا غير صحيح . هذا غير صحيح من الاساس ! تلك هي انفصالية النساء الحقيقية ومساواتهن في الحقوق à rebourds ، كما يقول الفرنسيون ، اي مساواة النساء في الحقوق بالمقلوب . ماذا يقوم في اساس الموقف الخاطىء لفروعنا الوطنية ؟ (انا لا اقصد روسيا السوفييتية) . ان ما يقوم — في آخر تحليل — لا يعدو ان يكون استصغار شان المراة وعملها . هكذا بالضبط . ومن المؤسف انه لا يزال يمكن القول بصدد كثيرين من رفاقنا : «حك الشيوعي ، تجد تافها ضيق الافق» . ومن المؤكد انه يجب الحك في مكان

حساس ، في عقليته حيال المراة . وهل هناك برهان اجلى على هذا من كون الرجال ينظرون بكل هدوء الى النساء وهن يستنفدن قواهن في عمل حقير ، رتيب ، مرهق ، يبتلع الوقت والقوى ، في العمل في الاقتصاد البيتي ؟ وكيف يتقلص افقهن من جراء ذلك ، ويخبو نور عقولهن ، ويغدو خفقان قلوبهن خاملا وارادتهن ضعيفة ؟ انا لا اقصد ، بالطبع ، السيدات البرجوازيات اللواتي يلقين بأعباء جميع الاعمال البيتية ، بما فيها العناية بالاطفال ، على الاجراء . ان ما اقوله يتعلق بالاغلبية الساحقة من النساء ، بمن فيهن زوجات العمال ، حتى وان كانت هؤلاء الزوجات يقضين النهار في المعمل ويحصلن الرزق بانفسهن .

«هناك عدد قليل جدا من الازواج ، حتى من البروليتاريين ، يراودهم الشعور انه بمقدورهم ان يخففوا كثيرا من اعباء الزوجات وهمومهن او حتى ان يرفعوها كليا عن كواهلهن اذا ما شاؤوا ان يساعدوا في «العمل النسائي» . ولكن كلا . فان هذا مخالف «لحق الزوج وكرامته» . فهو يطالب بأن تتوفر له اسباب الراحة والوثار . ان حياة المراة في البيت انما هي تضحيتها يوميا بنفسها على آلاف التوافه الحقيرة . ان الحق القديم ، حق سيادة الزوج، لا يزال يعيش بشكل خفي . وعبدته تنتقم منه موضوعيا لقاء هذا ــ بشكل خفي كذلك . فتاخر المراة وعدم فهمها لمثل زوجها الثورية العليا يضعفان همته وتصميمه في النضال . وهذه هي بالذات تلك الديدان الصغيرة التي تنخر وتقرض بصورة غير ملحوظة ، ببطء ، ولكن بكل تاكيد . انا اعرف حياة العمال ، وليس من الكتب فقط . ان عملنا الشيوعي بين جماهير النساء ، عملنا السياسي ، يتضمن جزءا هاما من العمل التربوي بين الرجال . يجب علينا ان نستاصل وجهة النظر الاستعبادية القديمة من آخر واصغر جذورها ، سواء أفي صفوف الحزب ام في صفوف الجماهير . وهذا يتعلق بمهماتنا السياسية ، كما يتعلق بها الضرورة الملحة القاضية بانشاء هيئة ازكان من رفاق

ـ رجال ونساء ـ من الذين تلقوا اعدادا نظريا وعمليا متينا لكي يقوموا بالعمل الحزبي ويحركوه بين النساء الكادحات .

وعن سؤالي بصدد الظروف الراهنة في روسيا السوفييتية، اجاب لينين :

ـ تبذل حكومة ديكتاتورية البروليتاريا قصارى الجهد ، بالتضافر مع الحزب الشيوعي والنقابات بالطبع ، لكي تذلل آراء الرجال والنساء المتأخرة ، وتنتزع بالتالي التربة من تحت النفسية القديمة ، غير الشيوعية . وهل من داع الى القول بان المساواة التامة في الحقوق بين الرجال والنساء قد تحققت في القانون ! وفي جميع الميادين ، تلاحظ الرغبة الصادقة في تحقيق هذه المساواة في الواقع . فنحن نجتذب النساء الى العمل في الاقتصاد السوفييتي والادارات ، والى التشريع ، والى العمل الحكومي . ونحن نفتح امامهن ابواب جميع الدورات التعليمية وجميع مؤسسات التعليم لاجل رفع مستوى اعدادهن المهني والاجتماعي . ونحن نؤسس المطابخ العامة والمطاعم النهارية العامة والمصابغ والمغاسل العامة ، ومشاغل التصليح ، ودور الحضانة ، ورياض الاطفال ، ومآوي الاطفال ، والمؤسسات التربوية من كل شاكلة . خلاصة القول اننا نطبق بكل جد مطلب برنامجنا بتكليف المجتمع بوظائف الاقتصاد البيتي الفردي الاقتصادية والتربوية . وعن هذا السبيل تتحرر المرأة من العبودية البيتية القديمة ومن كل تبعية للزوج . وتتوفر لها الامكانية التامة للنشاط في المجتمع حسب كفاءاتها وميولها . اما الاولاد ، فتتوفر لهم ظروف لاجل نموهم وتطورهم ، اكثر ملاءمة من تلك التي تتوفر لهم في البيت . وتشريعنا بشأن حماية عمل النساء هو الاكثر تقدما في الدنيا . ومفوضو العمال المنظمين يطبقونه في الواقع. ونحن ننظم مآوي التوليد، والبيوت لاجل الامهات والاطفال ، وننظم المراكز الاستشارية لاجل الامهات، والدورات الخاصة المتعلقة بالعناية بالرضع وصغار الاطفال ،

والمعارض عن حماية الامومة والطفولة ، وما الى ذلك . ونحن نبذل جهودنا بأكبر قدر من الجد لاجل تلبية حاجات النساء غير المؤمنات ماديا ، العاطلات عن العمل .

«نحن نعرف جيدا جدا ان كل هذا لا يزال قليلا بالمقارنة مع حاجات الجماهير النسائية الكادحة ، وان هذا لا يكفي البتة لاجل تحريرهن فعلا. الا انهذا خطوة هائلة الىالامام بالمقارنةمعما كانت عليه الحال في روسيا القيصرية الراسمالية . بل ان هذا كثير بالمقارنة مع ما يتحقق حيث لا تزال الراسمالية تسود سيادة تامة . وهذه بداية طيبة . والاتجاه الذي سرنا فيه صحيح ، وسوف نطورهايضا وايضا بتتابع وانسجام وبكلهمتنا وعزيمتنا. وبوسعكم انتم ، في الخارج ، ان تكونوا على ثقة من ذلك . ويوما بعد يوم من وجود الدولة السوفييتية ، يصبح اوضح فاوضح اننا لن نسير الى الامام بدون ملايين النساء . تصوري ما يعني هذا في بلاد لا يقل فيها عدد الفلاحين عن ٨٠ بالمئة من السكان ! ان الاقتصاد الفلاحي الصغير يعني الاقتصاد المنزلي الفردي وربط النساء به . وفي هذا المجال ، سيكون حالكم افضل واسهل بكثير من حالنا شرط ان تدرك جماهيركم البروليتارية ، بالطبع ، نضوجها التاريخي الموضوعي لاجل الاستيلاء على السلطة ، لاجل الثورة . لن نياس . ان قوانا تنمو مع المصاعب . والضرورة العملية ستدفعنا الى سلوك سبل جديدة في مضمار تحرير الجماهير النسائية ايضا . ومع الدولة السوفييتية ، سيحقق التضامن الرفاقي امورا عظيمة . واقصد هنا بالطبع التضامن الرفاقي بالمعنى الشيوعي ، لا بالمعنى البرجوازي الذي يروجه الاصلاحيون الذين ضاعت حماستهم الثورية كما تضيع قوة الخل الرخيص . ومع التضامن الرفاقي ، يجب ان تمضي كذلك يدا بيد المبادرة الشخصية التي تنقلب الى نشاط جماعي وتندمج فيه . وفي ظل ديكتاتورية البروليتاريا ، سيجري في الريف ايضا تحرير النساء عن طريق تحقيق الشيوعية . وفي هذا

الصدد اتوقع افضل النتائج من كهربة صناعتنا وزراعتنا . هذه قضية جليلة ! ومصاعب تحقيقها ضخمة ، ضخمة الى حد مريع. ولاجل تذليلها ينبغي اطلاق وتربية القوى الجبارة لدى الجماهير. وفي هذا يجب ان تشترك ملايين النساء» .

في الدقائق العشر الاخيرة ، طرق الباب مرتين ، ولكن لينين واصل الكلام . ثم فتح الباب وصاح :

ـ انا ذاهب الان !

واستدار نحوي ، واضاف مبتسما :

ـ او تعرفين ، يا كلارا ، سأستغل كوني قد تحدثت مع امراة . وتبريرا لتأخري ، سأستشهد ، طبعا ، بحب النساء الذي يعرفه الجميع لكثرة الكلام ، مع ان الواقع هو ان رجلا ، لا امراة ، تكلم كثيرا هذه المرة . وعموما يجب علي ان اشهد بانك تستطيعين فعلا ان تستمعي بجد . ولربما كان هذا على وجه الضبط ما حملني على التكلم كثيرا» .

وقد القى لينين هذه الملاحظة المازحة وهو يساعدني في ارتداء معطفي .

ثم اضاف بلهجة تنم عن الحرص والعناية: «يجب ان ترتدي البسة ادفأ . فموسكو ليست شتوتغارت . يجب ان تعتني بنفسك وتراقبي حالك . لا تتزكمي . الى اللقاء» .

وصافحني بقوة .

من كتاب كلارا زتكين
« ملاحظات من مفكرتي »

جوزيف ستالين

تثقيف النساء السياسي

قبل خمسة أعوام دعت اللجنة المركزية لحزبنا المؤتمر الاول للعاملات والفلاحات في عموم روسيا للانعقاد في موسكو . وقد حضرت ذلك المؤتمر اكثر من الف مندوبة كن يمثلن ما لا يقل عن مليون من النساء الشغيلات . وقد مهد ذلك المؤتمر السبيل لنشاط حزبنا في اوساط النساء الشغيلات . ويكمن الفضل الذي لا يقدر بثمن لذلك المؤتمر في انه أرسى أسس **تنظيم** التثقيف السياسي للعاملات والفلاحات في جمهوريتنا .

قد يخيل لبعضهم انه ليس في ذلك شيء خارق للمألوف ، وان الحزب قد أولى اهتمامه على الدوام للتثقيف السياسي للجماهير ، بما في ذلك النساء ، وان تثقيف النساء السياسي لا يمكن ان تكون له دلالة جدية اذا ما توفرت لنا عما قريب كوادر متينة من العمال والفلاحين . ان مثل هذا التفكير خاطىء برمته.

فتثقيف النساء الشغيلات السياسي ينطوي ، بعد ان انتقلت السلطة الان الى ايدي العمال والفلاحين ، على اهمية فاصلة .

وهاكم السبب .

يناهز تعداد السكان في بلادنا ١٤٠ مليون نسمة ، نصفهم من النساء ، وجلهن من العاملات والفلاحات ، الوجلات ، الجاهلات ، غير المتطورات وعيا . ولئن كانت بلادنا قد شرعت جديا ببناء حياة سوفياتية جديدة ، أفليس من الجلي الواضح ان نساء هذه البلاد ، اللائي يمثلن نصف سكانها ، سيكونن اشبه بكرة حديدية تعيق مسيرة اي حركة الى امام ، ما دمن على وجلهن وجهلهن وعدم تطور وعيهن ؟

ان المرأة العاملة تقف بجانب العامل . تنجز معه المهمة المشتركة ، مهمة بناء صناعتنا . وفي مستطاعها ان تشارك في المهمة المشتركة اذا كانت مثقفة سياسيا . وقد تضر بالمهمة المشتركة اذا كانت وجلة وجاهلة ، من دون ان يكون الذنب ذنبها بالطبع ، وانما بسبب نقص تثقيفها .

ان المرأة الفلاحة تقف بجانب الفلاح . تعمل معه في انجاز المهمة المشتركة ، مهمة تطوير اقتصادنا الريفي ، وفي نجاحاته وازدهاره . وفي مستطاعها ان تعود بالنفع العظيم على هذه المهمة ، اذا تحررت من الظلمات والجهل . وفي وسعها ، على العكس ، ان تعيق العمل كله ، اذا بقيت اسيرة الجهل .

ان العاملات والفلاحات مواطنات حرات ، شأنهن شأن العمال والفلاحين . انهن ينتخبن سوفييتاتنا وتعاونياتنا ، ومن الممكن انتخابهن للسوفييتات والتعاونيات . وفي مستطاع العاملات والفلاحات ان يطورن سوفييتاتنا وتعاونياتنا وان يحسنها ويوطدنها ، اذا كن مثقفات سياسيا . لكن في مقدور العاملات والفلاحات ايضا ان يضعفن سوفييتاتنا وتعاونياتنا وان

يخرّبنها ، اذا بقين جاهلات واميات .

واخيرا ، ان العاملات والفلاحات امهات ومربيات شبيبتنا ـ مستقبل بلادنا . وفي مقدورهن ان يشوهن روح الطفل او ان يمنحهن شبيبتنا عقلا سليما قادرا على التقدم ببلادنا الى امام ، وذلك تبعا لتعاطف المراة ـ الام مع النظام السوفياتي او لسيرها في ركاب الكاهن والكولاك والبورجوازية .

ذلك هو السبب الذي يجعل من التثقيف السياسي للعاملات والفلاحات ، بعد ان شرع الان العمال والفلاحون ببناء حياة جديدة ، مهمة رئيسية ، بل اهم مهام الانتصار الفعلي على البورجوازية .

ذلك هو السبب الذي يجعل من المؤتمر الاول للعاملات والفلاحات ، الذي كان مؤشرا الى بداية عملية التثقيف السياسي للنساء الشغيلات ، مؤتمرا عظيم الاهمية في الحقيقة .

قبل خمسة اعوام ، واثناء المؤتمر الاول للعاملات والفلاحات، كانت المهمة المطروحة على الحزب اجتذاب مئات الآلاف من **العاملات** الى المهمة المشتركة ، مهمة بناء الحياة السوفياتية الجديدة . وكانت تقف في الصفوف الاولى آنئذ عاملات الفروع الصناعية ، لكونهن اوعى العناصر واكثرها قدرة على الحركة بين النساء الشغيلات . ولا بد لنا من الاقرار بأن قدرا لا يستهان به من المنجزات قد تحقق من ذلك المنظور في الاعوام الخمسة المنصرمة ، وان كان لا يزال علينا ان نفعل الشيء الكثير .

اما مهمة الحزب اليوم فتكمن في اجتذاب ملايين **الفلاحات** الى المهمة المشتركة ، مهمة تنظيم حياتنا السوفياتية . ان خمس سنوات من العمل قد اتاحت امكانية تخريج مجموعة كاملة من القياديات من صفوف الفلاحات . فلنامل ان تاتي فلاحات واعيات جديدات لتعزيز صفوف القياديات الفلاحات . لنامل ان الحزب

سيتمكن من حل هذه المشكلة .

«في الذكرى الخامسة للمؤتمر الاول للعاملات والفلاحات» ـ مجلة «الشيوعي» ـ ١١ تشرين الثاني ١٩٢٣ .

الاحتياطي الكبير

لم تقم قائمة لأي حركة كبيرة في صفوف المضطهَدين على مر تاريخ البشرية بدون مشاركة النساء الشغيلات . فالنساء الشغيلات ، اللواتي يعانين من الاضطهاد اكثر مما يعانيه المضطهَدون جميعا ، لم يقفن قط ، وما كان يمكنهن ان يقفن ، بعيدا عن الطريق الكبير للحركة التحريرية . لقد قدمت حركة العبيد التحريرية ، كما هو معروف ، مئات وآلافا من الشهيدات والبطلات العظيمات . وكان في صفوف المناضلين في سبيل تحرير الاقنان عشرات الآلاف من النساء الشغيلات . ولا غرو ان تكون الحركة الثورية للطبقة العاملة ، وهي الحركة الاقوى بين سائر حركات تحرير الجماهير المضطهَدة ، قد اجتذبت الى تحت بيرقها ملايين من النساء الشغيلات .

ان يوم النساء العالمي هو الشاهد على ان حركة تحرير الطبقة العاملة غير قابلة لان تقهر ، وهو البشير بمستقبلها العظيم .

تؤلف النساء الشغيلات ، من عاملات وفلاحات ، الاحتياطي الكبير للطبقة العاملة. ويمثل هذا الاحتياطي نصف السكان. فهل سيكون الاحتياطي النسائي مع الطبقة العاملة او ضدها ؟ بهذا يرتهن مصير الحركة البروليتارية ، انتصار الثورة البروليتارية او انهزامها ، انتصار السلطة البروليتارية او انهزامها . لهذا

كانت المهمة الاولى للبروليتاريا ولفصيلتها الاكثر تقدما ، الحزب الشيوعي ، ان تخوضا نضالا حاسما من اجل تحرير النساء ، من عاملات وفلاحات ، من نفوذ البورجوازية ، ومن اجل تثقيف العاملات والفلاحات سياسيا وتنظيمهن تحت راية البروليتاريا .

ان يوم النساء العالمي وسيلة لاجتذاب الاحتياطي ، المؤلف من النساء الشغيلات ، الى جانب البروليتاريا .

بيد ان النساء الشغيلات لسن مجرد احتياطي . ففي وسعهن ومن الواجب عليهن ان يصبحن ــ من خلال سياسة صحيحة للطبقة العاملة ــ جيشا حقيقيا للطبقة العاملة يتولى محاربة البورجوازية . وتحويل هذا الاحتياطي من النساء الشغيلات الى جيش من العاملات والفلاحات ، يحارب الى جانب جيش البروليتاريا الكبير، هو المهمة الثانية، والحاسمة، للطبقة العاملة.

ويوم النساء العالمي يجب ان يكون وسيلة لنقل العاملات والفلاحات من احتياطي الطبقة العاملة الى الجيش العامل لحركة تحرير البروليتاريا .

عاش يوم النساء العالمي !

«في يوم النساء العالمي»
« البرافدا »
٨ آذار ١٩٢٥

النساء الكولخوزيات

بضع كلمات الان **بصدد النساء ، بصدد الكولخوزيات** . ان مسألة النساء في الكولخوزات مسألة ذات اهمية ، ايها الرفاق. انني اعرف ان الكثيرين منكم يستخفون بدور النساء، بل يسخرون منهن بعض الشيء ، لكنكم على خطأ ، وعلى خطأ كبير من امركم،

ايها الرفاق . ليس ذلك لان النساء يؤلفن نصف السكـــان فحسب ، وانما على الاخص لان الحركة الكولخوزية حملت الى مناصب القيادة عددا لا يستهان به من النساء الموهوبات ، مـن النساء اللائي يستأهلن الاعجاب . انظروا الى هذا المؤتمر ، الى تركيبه ، يتضح لكم ان النساء ، بعد ان كن متخلفات ، التحقن منذ زمن بعيد بالطليعة . وتؤلف النساء في الكولخوزات قوة ذات شأن . وابقاء هذه القوة محجوبة عن الانظـــار يعادل اقتراف جريمة . ان واجبنا يقضي بأن نرقى بالنساء في الكولخوزات ، وبأن ندفع بهذه القوة الى التحرك والعمل .

صحيح ان سلطة السوفييتات واجهت ، في ماضٍ قريب ، شيئا من سوء التفاهم مع الكولخوزيات . كان ذلك بخصـــوص بقراتهن . لكن مسألة البقرات قد سويت الان ، وسوء التفاهم انقشع . وقد توصلنا الى ما يلي ، وهو ان اغلب الكولخوزيين يملكون الان بقرة لكل بيت . ولن تمر سنة او سنتان حتى لـن يعود هناك كولخوزي واحد لا يملك بقرته . كونوا على ثقة اننا ، نحن البلاشفة ، سنعمل على ان يكون لكل كولخوزي بقرته .

اما فيما يخص الكولخوزيات فلا يجوز لهن ان ينسين دور الكولخوزات واهميتها بالنسبة الى المراة . لا يجوز لهن ان ينسين انهن لا يستطعن ان يقفن على قدم المساواة مع الرجل الا ضمن الكولخوز . في خارج الكولخوزات ، هي اللامساواة . وفي داخل الكولخوزات ، هي المساواة في الحقوق . فلتتذكر الرفيقـــات الكولخوزيات ذلك، وليحافظن على نظام الكولخوزات حفاظهن على مقل عيونهن .

مـــن « خطاب في المؤتمـر الاول للكولخوزيين الاودارنيكيين فـــي الاتحاد السوفياتي » .
١٩ شباط ١٩٣٣

دليل التقدم الثقافي في القرية

لنسجل ان من بين الوقائع المشجعة وعلائم تقدم الثقافة في القرية النشاط المتعاظم للنساء ، عضوات الكولخوزات ، في العمل التنظيمي الاجتماعي . فمعلوم ، على سبيل المثال ، ان النساء اللواتي يتولين رئاسة الكولخوزات يبلغ عددهن الان زهاء ٦٠٠٠ ؛ كما يبلغ تعداد النساء بين اعضاء قيادات الكولخوزات اكثر من ٦٠٠٠٠ ؛ وبين رؤساء الفرق ٢٨٠٠٠ ، وبين منظمي مجموعات العمل ١٠٠٠٠٠ ؛ وثمة ٩٠٠ امرأة مكلفات بتوجيه تربية الماشية في الكولخوزات ؛ و٧٠٠٠ امرأة يتولين قيادة الجرارات . وغني عن القول ان هذه المعلومات ناقصة . لكن النزر اليسير الذي تحتوي عليه هذه المعطيات يشهد بجلاء كاف على النهوض الثقافي الكبير للقرية . ان لهذه الواقعة ، ايها الرفاق ، اهمية كبرى . وذلك لان النساء يؤلفن نصف سكان بلادنا ، ويشكلن جيش عمل عرمرما ، ولانهن مدعوات الى تربية اطفالنا ، جيلنا الصاعد ، اي مستقبلنا . لهذا لا نستطيع ان نسلم بان يحيا هذا الجيش الهائل من الشغيلات حياة خاملة في ظلمات الجهل ! لهذا يتوجب علينا ان نحيي النشاط الاجتماعي المتعاظم للنساء الشغيلات وتسنمهن مناصب القيادة على اعتبار ان ذلك علامة اكيدة على تقدمنا الثقافي .

من «تقرير عن نشاط اللجنة المركزية مرفوع الى المؤتمر السابع عشر للحزب الشيوعي السوفياتي» ٢٦ كانون الثاني ١٩٣٤

بطلات العمل الاشتراكي

ايتها الرفيقات ، ان ما رأيناه اليوم لهو قطعة من الحيـــاة الجديدة ، الحياة التي تسمى بالحياة الكولخوزية ، الحيـــاة الاشتراكية . لقد استمعنا الى كلمات بسيطة من اناس بسطاء ، من شغيلة : قالوا لنا كيف ناضلوا ، كيف قهروا المصاعب للوصول الى نجاحات في مضمار التباري والتنافس . استمعنا الى نساء ما هن بنساء عاديات ، بل سأقول انهن بطلات عمل ، لان بطلات العمل هن وحدهن اللواتي يستطعن الحصول على مثل النجاحات التي حصلن عليها . في السابق ، لم يكن ثمة وجود قط لأمثال هؤلاء النساء . لقد صار لي من العمر ستة وخمسون سنة ، ولقد رايت اشياء كثيرة ، ورايت كثيرا من رجال ونساء يعملون . بيد انني لم اصادف من أمثال هؤلاء النساء . انهن كائنات جديدة مطلق الجدة . وما كان لغير العمل الحر ، لغير العمل الكولخوزي ان يخلق بطلات العمل هؤلاء في الريف .

اشباه هؤلاء النساء ما كان لهن من وجود ، وما كان من الممكن ان يكون لهن من وجود في الايام الغابرة .

الا لنتصور ما كانت عليه النساء في الايام الخوالي ! كانت المراة ، وهي لا تزال يافعة ، الاخيرة بين الشغيلة . كانت تشتغل لحساب الاب ، تشتغل بلا توقف ، بلا راحة . ومع ذلك كان الاب يوسعها شتما وينحي عليها باللوم : يجب علي ان اطعمك . وحين كانت تتزوج ، كانت تشتغل لحساب زوجها ، وتشتغل بقدر ما يريد الرجل . لكن زوجها كان يوسعها شتما وينحي عليها باللوم : يجب علي ان اطعمك . وفي القرية كانت المراة الاخـــيرة بين الشغيلة . ومفهوم انه في مثل هذه الشروط ما كان من الممكن ان توجد بطلات عمل بين الفلاحات . وكان العمل يعتبر آنئذ لعنة

على المراة وكانت تتحاشاه ما وجدت الى ذلك سبيلا .

ما كان لغير الحياة الكولخوزية ان تجعل من العمل قضية شرف ، وما كان لغيرها ان تخلق بطلات حقيقيات في القرية . ما كان لغير الحياة الكولخوزية ان تلغي اللامساواة وان تضمن للمراة المكانة التي هي من حقها . انتن تعلمن ذلك خير العلم . لقد اوجد الكولخوز نظام يوم العمل . ما يوم العمل ؟ الرجال والنساء امام يوم العمل متساوون . ومن يشتغل اياما اكثر يكسب اكثر . وهنا لا يستطيع لا الاب ولا الزوج ان ينحيا باللوم على المراة لانهما يعيلانها . المراة ، اليوم ، حين تعمل وتقدم وحدات عمل ، تكون سيدة نفسها . انني لاذكر محادثة دارت بيني وبين عدد من الرفيقات في المؤتمر الثاني للنساء الكولخوزيات . قالت لي واحدة منهن ، وكانت من المناطق الشمالية :

«حتى الى عامين من الزمن لم يكن قد تقدم الي خاطب واحد. امراة بلا بائنة ! واليوم اقدم ٥٠٠ وحدة عمل ، فماذا يحدث ؟ لا استطيع تخلصا من الخطّاب . كلهم يريد الزواج مني . لكني انعم النظر في الامر ، ولن اختار واحدا منهم الا بمفردي» .

لقد حرر الكولخوز ، بواسطة وحدة العمل ، المراة وجعلها مستقلة . ما عادت تعمل بعد الان لحساب ابيها ، حين تكون بنتا ، ولا لحساب زوجها حين تتزوج ، وانما تعمل لحساب نفسها اولا . ذلك هو انعتاق الفلاحة ، ذلك هو نظام الكولخوزات الذي يجعل من الشغيلة عديلة الشغيل . وعلى هذا الاساس وحده ، وفي هذه الشروط ، كان يمكن ان تظهر اولئك النسوة العظيمات . لهذا لا اعتبر لقاء اليوم مجرد لقاء عادي بين اناس متقدمين وبين اعضاء الحكومة ، وانما اراه يوما عظيما تسلطت فيه الاضواء على نجاحات العمل النسائي المتحرر وطاقاته . انني اعتقد ان من واجب الحكومة ان تكرّم بطلات العمل اللائي قدمن

الى هنا ليعرضن على الحكومة نجاحاتهن .

«خطاب في الكولخوزيات الطليعيات في حقول الشمندر لدى استقبالهن من قبل قادة الحزب والحكومة» ـ ١٠ تشرين الثاني ١٩٣٥

النساء في الحرب الوطنية

لقد ادت النساء خدمات لا تقدر بثمن للدفاع القومي . انهن يعملن بتفان ونكران ذات في الجبهة ؛ ويتحملن بشجاعة جميع مصاعب زمن الحرب ؛ ويلهبن بأعمالهن الباهرة حماسة مقاتلي الجيش الاحمر ، محرري وطننا . .

لقد اظهرت الحرب القومية ان الشعب السوفياتي قادر على اجتراح معجزات وعلى التغلب على اعتى المحن .

« امر يومي للقائد الاعلى للقوات المسلحة للاتحاد السوفياتي » ـ ١ ايار ١٩٤٤

عمل النساء والاحداث
في ظل الراسمالية

يؤدي ادخال الالات الى الاعتماد على **عمل النساء والاحداث**. وهو ارخص من عمل الرجال وبالتالي اكثر درا للربح بالنسبة للراسمالي . في السابق ، اي قبل ادخال الالات ، كان الانتاج يتطلب مهارات معينة . وفي بعض الاحيان ، كان لا بد من فترة تدريب طويلة لاكتساب هذه المهارات . الان يستطيع حتى الاحداث تشغيل الالة . وكل ما هو مطلوب منهم تحريك الذراع او القدم الى ان يمتلكهم التعب . وهذا هو السبب الذي ادى الى انتشار عمل النساء والاحداث بعد اختراع الالة . والواقع ان النساء والاحداث، على العموم، اقل مقاومة للاضطهاد الراسمالي من الرجال . انهم اكثر استعدادا للطاعة والخضوع ، ولتصديق كلام الكاهن او قبول كل ما يقوله لهم الممسكون بزمام السلطة .

من هنا يلجأ اصحاب المصانع في الكثير من الاحيان الى استبدال العمال الذكور بالنساء ، ويجبرون الاحداث على تحويل دمائهم الى ارباح .

في عام١٩١٣ ، بلغ مجموع عدد النساء العاملات والمستخدمات (وليس فقط العاملات اليدويات) الارقام التالية : فرنسا ...ر٨٠٠ر٦ ، المانيا ...ر٤٠٠ر٩ ، النمسا ـ المجر ...ر٢٠٠ر٨ ، ايطاليا ...ر٧٠٠ر٥ ، بلجيكا ...ر٩٣٠ ، الولايات المتحدة ...ر٠٠٠ر٨ ، انكلترا ...ر٠٠٠ر٦ . اما في روسيا ، فان عدد العاملات في تصاعد مستمر . كانت النسبة ٢٥ بالمئة من مجموع عمال المصانع عام ١٩٠٠ . وارتفعت الى ٣١ بالمئة عام ١٩٠٨ . والى ٤٥ بالمئة عام ١٩١٢ . ويزيد عدد النساء عن عدد الرجال في بعض فروع الانتاج . ففي صناعة النسيج مثلا ، بلغ عدد العاملات عام ١٩١٢ : ...ر٤٥٣ عاملة (بالنسبة الى مجموع قدره ...ر٨٧٠) ، اي ما يزيد على النصف (٥٢ بالمئة) . كذلك ، ارتفع عدد العاملات بشكل ملحوظ خلال الحرب .

ان عمل النساء يؤدي الى تفكك الاسرة العمالية . فماذا يحل بالحياة العائلية عندما تضطر الامهات ، واحيانا الاحداث ، للذهاب الى العمل ؟

عندما تدخل المراة المعمل ، عندما تتحول الى عامل مأجور ، تتعرض ، مثلها مثل الرجل ، لكل اهوال البطالة . يقذفها الراسمالي الى الشارع ، فتضطر للانضمام الى الجيش الاحتياطي الصناعي . وقد تسقط ، مثلها مثل اي رجل ، الى الحضيض . وينتج عن ذلك **البغاء** ، عندما تبيع المراة جسدها لاي عابر سبيل. المراة التي بلا طعام ولا عمل ولا ماوى تضطر الى المتاجرة بجسدها . وحتى لو وجدت عملا ، فالاجور لا تكفي لسد الجوع ... كل هذه العوامل تدفعها الى زيادة مدخولها ببيع جسدها . وبعد وقت ، تصبح هذه مهنة اعتيادية . وهكذا تولد

فئة من المومسات المحترفات .

«الف باء الشيوعية»

حقوق المراة بين البورجوازية والبروليتاريا

اعلنت الديموقراطية البورجوازية بالقول جملة من الحريات، بيد ان هذه الحريات لبثت بعيدة عن منال الجماهير المضطهَدة . وكثيرا ما اعلنت البورجوازية ، في ما اعلنت ، مساواة الاشخاص بلا تمييز في الجنس او الدين او العرق او القومية . واكدت انه في ظل النظام البورجوازي الديموقراطي يتساوى عمليا البيض والصفر والسود ، الاوروبيون والافارقة ، المسيحيون والبوذيون او اليهود . لكن البورجوازية لم تحقق في الواقع شيئا من ذلك كله . بل على العكس ، ففي عصر الامبريالية ، يتفاقم اضطهاد الشعوب والعروق الى حد رهيب . وحتى حيال **النساء** لا تحقق البورجوازية المساواة . فقد بقيت المراة كائنا بلا حقوق وحيوانا بيتيا . وتعاني المراة العاملة من اضطهاد شديد في المجتمع الراسمالي ، وتكون حقوقها اقل حتى من حقوق الرجل العامل التي هي بالاصل شبه معدومة . انها لا تتمتع بالحقوق الانتخابية الا في دولتين او ثلاث دول ، وحقوقها في الوراثة محدودة ، وهي ابدا تابعة للرجل ضمن الاسرة . خلاصة القول ، تسود في ظل النظام الراسمالي الاعراف والعادات نفسها تقريبا التي تسود لدى المتوحشين حيث يمكن ان تباع النساء وتقايض كالماشية او الدمى . يقول مثل سائر روسي في تقريظ وضع المراة في نظام العبودية هذا : «ما الدجاجة بطائر ، وما المراة بإنسان» . بيد ان هذا الوضع ليس بحال من الاحوال في صالح البروليتاريا .

فالنساء يؤلفن قسما لا يستهان به من الطبقة العاملة . ومن البديهي انه اذا لم تكن هناك مساواة بين نصفي البروليتاريا ، فان نضالها سيصيبه وهن شديد بنتيجة ذلك ، اذ ان تحرير العمل والنصر المشترك مستحيلان بدون مساعدة البروليتاريا النسائية . ان مصلحة العامل تقضي بان تقوم الروح الرفاقية وتتوطد بين القسم المذكر والقسم المؤنث من البروليتاريا ، وان تعزز هذه الرفاقية بالمساواة . وقد كانت السلطة السوفياتية اول من طبق هذه المساواة في جميع ميادين الحياة : في الزواج ، في العلاقات العائلية ، في الحقوق السياسية ، الخ . وتتمتع النساء الان في كل مجال بالحقوق عينها التي يتمتع بها الرجال .

ان مهمة حزبنا ان يأخذ بتلك المساواة الى طريق التطبيق العملي. والمطلوب في المقام الاول افهام الجماهير الواسعة من الشغيلة ان عبودية المرأة لا يمكن الا ان تكون ضارة بالنسبة اليهم ايضا . فحتى الساعة الراهنة ، لا يزال العمال يعتبرون النساء كائنات دنيا : ففي القرى لا يزال الناس يسخرون من النساء اللائي يبدين رغبة في المشاركة في الشؤون العامة . وان للمرأة الشغيلة في جمهورية السوفييتات الحق ، مثلها مثل الرجل ، في ان تنتخب وتُنتخب . وفي وسعها ان تشغل منصب المفوض، ان تشغل اي منصب في الجيش والادارة والانتاج القومي . بيد ان النساء العاملات اشد تخلفا عندنا من الرجال بكثير. والاخيرون ينظرون اليهن اصلا من عل . ولا بد من القيام بعمل كثير ، اولا من اجل تعليم الرجال ان يعتبروا النساء العاملات مساويات للرجال العمال ، وثانيا من اجل تنوير النساء وحضهن على استعمال الحقوق التي منحت لهن ، بلا تحرج ولا تخوف .

ينبغي ان نتذكر كلمات لينين : «يجب ان نعلّم حتى **الطاهية** البسيطة كيف تدير دفة الدولة» .

وليس بيت القصيد ان تُمنح حقوق على الورق ، بل ان تتاح **امكانية** ممارستها .

كيف يمكن للعاملة ان تمارس حقوقها اذا كانت ملزمـــة بالاهتمام بشؤون تدبير المنزل ؟

. ينبغي على جمهوريات السوفييتات ان تخفف من وطأة الاعباء التي تنوء بها المراة الشغيلة وان تحرر هذه الاخيرة من الواجبات البيتية التي ترقى الى عهد الطوفان . فتنظيم منازل مشتركـــة (حيث لا تقع مشاحنات) يعيش فيها الناس في اخاء ، ومغاسل ثياب مشتركة ، ومطاعم شعبية ، ودور حضانة ، ورياض اطفال، ومخيمات لعطلة الاطفال الصيفية، ومدارس تقدم الطعام للتلاميذ، الخ ، ان ذلك كله يمكن ان يلقي عن كاهل المراة الاعباء التي تنوء بها وان يتيح لها امكانية الانصراف الى كل ما يثير اهتمـــام الانسان .

وانه لمن الصعب انشاء تلك المؤسسات في فترة البـــؤس والمجاعة هذه (١) . ولكن على الحزب ان يبذل كل ما بوسعه كي يجتذب المراة العاملة الى العمل المشترك .

«الف باء الشيوعية»

---

١ ــ كتب هذا النص في اواخر عام ١٩١٩ ، اي في عز الحرب الاهلية.

ليون تروتسكي

الستالينية والاسرة

وفت ثورة اوكتوبر بكل صدق بالعهد الذي قطعته للمراة . فالسلطة الجديدة لم تكتف بمنح المراة عين الحقوق القانونية والسياسية التي يتمتع بها الرجل ، بل فعلت ـ وهذا اهم بكثير ـ كل ما كان بوسعها ، وعلى كل حال اكثر بما لا يقاس من اي نظام آخر ، كي تفتح لها الباب فعلا وواقعا الى جميع الميادين الاقتصادية والثقافية . بيد ان اقوى الثورات ، مثلها مثل البرلمان الانكليزي «الكلي القدرة» ، لا تستطيع ان تجعل من المراة كائنا مماثلا للرجل ، او بتعبير اوضح ان تجعلها ورفيقها يتشاطران فيما بينهما اعباء الحمل والولادة والإرضاع وتربية الاطفال . لقد سعت الثورة ببطولة الى هدم «البيت العائلي» القديم ، المتداعي ، الذي يشكل مؤسسة بالية ، روتينية ، خانقة ، تقضي على المراة من الطبقات الكادحة بالاشغال الشاقة

من الطفولة الى الممات . وكان من المفروض ، في نية الثوريين، ان يحل محل الاسرة ، من حيث انها مشروع صغير مغلق ، نظام متكامل من الخدمات الاجتماعية : دور توليد ، دور حضانة ، رياض اطفال ، مطاعم ، مغاسل ثياب ، مستوصفات ، مستشفيات ، مصحات ، منظمات رياضية ، دور سينما ، مسارح ، الخ . وكان من المفروض ان يؤدي امتصاص المجتمع الاشتراكي لكامل الوظائف الاقتصادية للاسرة ، عن طريق ربط جيل بكامله بروابط التضامن والمساعفة المتبادلة ، الى تمكين المراة ، ومن ثم الزوجين ، من الانعتاق الكامل من النير الازلي . اما ما دامت هذه المهمة بلا انجاز ، فان اربعين مليونا من الاسر السوفياتية ستبقى ، في غالبيتها الساحقة ، فريسة الاعراف القروسطية ، واسترقاق المراة وهستيرياها ، والإذلال اليومي للولد ، وتطير المراة والطفل على حد سواء وايمانهما بالخرافات . والاوهام غير جائزة البتة في هذا الموضوع . ولهذا بالضبط نجد ان التغيرات المتعاقبة على وضع الاسرة في الاتحاد السوفياتي تعكس على خير وجه الطبيعة الحقيقية للمجتمع السوفياتي وتطور شرائحه الحاكمة .

ان محاولات التصدي للاسرة القديمة لم يحالفها النجاح . وليس السبب في ذلك عدم توفر الارادة الطيبة . كما لم يكن السبب ان الاسرة القديمة راسخة الاسس في القلوب . بل على العكس ، فبعد فترة قصيرة من الريبة تجاه الدولة وتجاه ما انشاته من دور حضانة ورياض اطفال ومؤسسات شتى ، ثمنت العاملات ، ومن بعدهن الفلاحات الأكثر تقدما ، تثمينا عاليا الفوائد الهائلة للتربية الجماعية ولتشريك الاقتصاد العائلي . ولسوء الطالع ، كان المجتمع على درجة هائلة من الفقر وعلى درجة متدنية من الحضارة . وما كانت الموارد الفعلية للدولة تتجاوب وخطط الحزب الشيوعي ونياته . والاسرة لا يمكن ان

تلغى ، انما ينبغي ان يحل محلها بديلها . والانعتاق الحقيقي للمرأة مستحيل فوق ارضية «البؤس المشترك» . وقد اماطت التجربة اللثام بسرعة عن هذه الحقيقة القاسية التي كان ماركس قد صاغها قبل ثمانين عاما .

في سنوات المجاعة كان العمال يقتاتون بقدر الامكان ـ مع اسرهم في بعض الحالات ـ في مطاعم المصانع او المؤسسات المماثلة ، وقد جرى تأويل ذلك رسميا على انه انتصار للاخلاق الاشتراكية . ولا حاجة بنا هنا الى التوقف عند خصائص شتى المراحل ـ شيوعية الحرب ، السياسة الاقتصادية الجديدة ، الخطة الخمسية الاولى ـ بهذا الخصوص . والمهم انه ما ان الغيت بطاقات الخبز في عام ١٩٣٥ حتى شرع العمال الذين يتقاضون اعلى الاجور بالرجوع الى مائدة الاسرة . ومن الخطأ ان نرى في هذا التراجع ادانة للنظام الاشتراكي الذي لم يوضع على محك الامتحان اصلا . بيد ان العمال ونساءهم اصدروا بذلك حكما صارما على «التغذية الاجتماعية» التي نظمتها البيروقراطية . والاستنتاج ذاته يفرض نفسه فيما يتعلق بالمغاسل المشتركة التي يسرق فيها الغسيل ويتلف اكثر مما يغسل . العودة الى البيت ! لكن الطهي والغسيل في البيت ، اللذين يقرظهما اليوم بشيء من الحرج الخطباء والصحافيون السوفياتيون ، يعنيان عودة النساء الى الطناجر والدلاء ، اي الى العبودية السالفة . وانه لمن المشكوك فيه جدا بعد ذلك ان تكون صيغة **الامية الشيوعية** عن «الانتصار الكامل والذي لا عودة عنه للاشتراكية في الاتحاد السوفياتي» مقنعة حقا وفعلا بالنسبة الى ربات البيوت في الضواحي !

ان الاسرة الريفية ، المرتبطة لا بالاقتصاد المنزلي فحسب بل بالزراعة ايضا ، ذات ميول محافظة اقوى بما لا يقاس من الاسرة المدينية . وعلى العموم ، كانت الكومونات الزراعية القليلة العدد هي وحدها التي اقامت عندها في البداية نظام التغذية الجماعية

ودور الحضانة. وكان يؤكد المؤكدون ان التجميع سيؤدي لا محالة الى تحويل جذري للاسرة : افلم تغد لا بقرات الفلاح وحدها بل دجاجاته ايضا خاضعة للمصادرة ؟ على كل حال ، لم تنعدم البيانات عن السير المظفر للتغذية الاجتماعية في الارياف . لكن حين بدأ التقهقر ، اخترق الواقع للحال ضباب الخداع . فالكولخوز لا يعطي الزارع بوجه عام سوى القمح الذي يعوزه والعلف لحيواناته . اما اللحم ومشتقات الحليب والخضار فتأتي بتمامها تقريبا من المستثمرة الفردية لاعضاء الكولخوزات . وما دامت اهم الاغذية ثمار العمل العائلي ، فلا مجال للحديث عن تغذية جماعية . وعلى هذا النحو ترهق قطع الارض الصغيرة ، التي تقدم اساسا جديدا للبيت ، كاهل المرأة بعبء مزدوج .

كان عدد الاماكن الثابتة في دور الحضانة ... ٦٠٠ في عام ١٩٣٢ ، وكان فيها زهاء اربعة ملايين مكان موسمي لزمن العمل في الحقول . وفي عام ١٩٣٥ كان في دور الحضانة زهاء ٥٦٠٠٠٠٠ سرير ، لكن الاماكن الدائمة كانت كما في السابق اقل عددا بكثير . وعلى كل حال تبقى دور الحضانة المتوفرة ، حتى في موسكو ولينينغراد والمراكز الكبرى ، بعيدة عن ان تلبي المطالب الاشد تواضعا . تقول صحيفة سوفياتية كبيرة : «ان دور الحضانة التي يكون فيها الاطفال اسوأ حالا مما في البيت ما هي الا ملاجىء رديئة» . وطبيعي بعد ذلك ان يمتنع العمال الذين يتقاضون اجورا عالية عن ارسال اطفالهم اليهم . والحال ان تلك «الملاجىء الرديئة» هي اقل مما يجب بكثير بالنسبة الى جمهرة الشغيلة . وقد قررت اللجنة التنفيذية مؤخرا ان الاطفال المهجورين واليتامى سيعهد بهم الى افراد ؛ وبذلك اقرت الدولة البيروقراطية ، في شخص هيئتها الاعظم مسؤولية ، بعجزها عن القيام بواحدة من اهم الوظائف الاشتراكية . وقد ارتفع عدد الاطفال الذين استقبلتهم رياض الاطفال في غضون خمس سنوات،

اي من ١٩٣٠ الى ١٩٣٥ ، من ٣٧٠٠٠٠ الى ١١٨١٠٠٠ . ورقم سنة ١٩٣٠ يثير الدهشة بضآلته . لكن رقم سنة ١٩٣٥ تافه قياسا الى حاجات الاسر السوفياتية . والتعمق في الدراسة سيوضح ولا بد ان القسم الاعظم ، وعلى كل حال الافضل ، من رياض الاطفال مخصص لأسر الموظفين والتقنيين والستاخانوفيين (١) ، الخ .

لقد اضطرت اللجنة التنفيذية الى ان تلاحظ مؤخرا ايضا ان «قرار تصفية وضع الاطفال المهجورين وغير الخاضعين للمراقبة الكافية لا يطبق الا تطبيقا واهنا» . ماذا تخفي هذه اللغة الباهتة؟ اننا لا نطلع الا عرضا من خلال بعض المقالات المنشورة في الصحف بأحرف طباعية صغيرة على ان الف طفل ونيفا يقيمون في موسكو «في البيت بالذات في شروط صعبة للغاية» ، وعلى ان دور الاطفال في العاصمة تضم ١٥٠٠ مراهق لا يعرفون إلام سيؤول حالهم ولا افق امامهم سوى الشارع ، وعلى انه في غضون شهرين (من خريف عام١٩٣٥) جرت فيموسكو ولينينغراد ملاحقات قضائية لـ «٥٠٠ من اهالي الاطفال لتركهم اطفالهم بلا مراقبة» . ما جدوى اشباه هذه الملاحقات ؟ كم من آلاف الاهالي امكن لهم تحاشيها ؟ كم من الاطفال «المقيمين في البيت في شروط صعبة للغاية» لم يطلهم الاحصاء ؟ بمَ تختلف «الشروط الصعبة للغاية» عن الشروط الصعبة وحسب ؟ ان هذه الاسئلة وكثيرا غيرها تبقى بلا جواب . ان الطفولة المهجورة ، المنظورة او المستترة ، تمثل آفة ذات ابعاد هائلة بنتيجة الازمة الاجتماعية الكبرى التي توالي الاسرة القديمة اثناءها انحلالها بسرعة اكبر بكثير من قدرة المؤسسات الجديدة على الحلول محلها .

---

١ ـ الستاخانوفيون : ابطال العمل الذين يضربون ارقاما قياسية في المعايير والمردود . «م»

ان المقالات الصحفية الصغيرة العارضة المشار اليها آنفا ، علاوة على زوايا اخبار المحاكم ، تنبىء القارىء ان البغاء ، آخر انحطاط للمراة لصالح الرجل القادر على ان يدفع لها ، موجود في الاتحاد السوفياتي . في الخريف نشرت **الازفستيا** على نحو مفاجىء ان «زهاء الف امراة ممن يتعاطين في شوارع موسكو تجارة اجسادهن سرا ، قد جرى اعتقالهن . ومن بينهن : مئة وسبع عشرة عاملة ، واثنتان وتسعون مستخدمة ، وخمس طالبات جامعيات ، الخ . ماذا الذي القى بهن الى الرصيف ؟ عدم كفاية الاجر ، العوز ، ضرورة «تامين مبلغ اضافي ما لشراء حذاء، ثوب» . لقد حاولنا عبثا ان نعرف ، ولو بصورة تقريبية ، ابعاد ذلك الداء الاجتماعي . فالبيروقراطية السوفياتية الحبية تامر الاحصاء بلزوم الصمت . لكن هذا الصمت القسري يكفي ليشهد بحد ذاته على ان «طبقة» البغايا السوفياتيات كثيرة التعداد . ولا مجال للحديث هنا عن بقيا متخلفة من الماضي اذ ان البغايا يأتين من صفوف الصبايا من النساء . ولن يدور في خلد احد ان يصب جام غضبه على النظام السوفياتي ليحمله مسؤولية ذلك القرج القديم قدم الحضارة. ولكن الحديثعن انتصار الاشتراكية امر لا يغتفر ما دام البغاء باقيا . تؤكد الصحف ، بقدر ما يباح لها التطرق الى هذا الموضوع الحرج ، ان البغاء آخذ بالتناقص ؛ ومن الممكن ان يكون ذلك صحيحا بالقياس الى سنوات المجاعة والفوضى (١٩٣١ – ١٩٣٣) . لكن العودة الى العلاقات المبنية على اساس المال تترتب عليها لا محالة زيادة جديدة في البغاء والطفولة المهجورة . فحيثما وجد اصحاب امتيازات ، وجد ايضا منبوذون !

ان العدد الكبير للاطفال المهجورين هو بلا جدال الدليل القاطع والاكثر مأساوية على وضع الام الصعب . حتى **البرافدا** المتفائلة تجد نفسها مكرهة على الادلاء باعترافات مريرة بهذا الخصوص.

«ان إنجاب طفل امر ينطوي على تهديد خطير بالنسبة الى الكثيرات من النساء» . ولهذا بالتحديد منحت السلطة الثورية المراة حق الاجهاض ، وهو واحد من حقوقها المدنية والسياسية والثقافية الاساسية ما دام البؤس والاضطهاد العائلي قائمين ، وهذا بالرغم من كل ما يمكن ان يقوله الخصيان والعوانس من كلا الجنسين . بيد ان هذا الحق الكئيب يغدو ، بحكم اللامساواة الاجتماعية ، امتيازا . فالمعلومات الجزئية التي تتداولها الصحف عن طرائق الاجهاض لها وقع مؤلم في النفوس : «مئة وخمس وتسعون امراة شوهتهن المجهضات» ، بينهن خمس وثلاثون عاملة ، وثمان وعشرون مستخدمة ، وخمس وستون فلاحة كولخوزية ، وثمان وخمسون ربة بيت ، عولجن في مستشفى قروي في الاورال عام ١٩٣٥ . وهذه المنطقة لا تختلف عن غيرها من المناطق الا بكون المعلومات المتعلقة بها قد نشرت . كم من نساء يتعرضن سنويا للتشويه نتيجة لعمليات اجهاض رديئة التنفيذ في جميع ارجاء الاتحاد السوفياتي ؟

ان الدولة ، بعد ان اثبتت عجزها عن تقديم العون الطبي الضروري والمؤسسات الصحية للنساء المكرهات على اللجوء الى الاجهاض ، تسير على حين غرة في طريق مغاير وتسلك سبيل المنع والتحظير . وكما في حالات اخرى ، جعلت البيروقراطية من الفقر فضيلة . ان سولتز ، احد اعضاء المحكمة السوفياتية العليا والمتخصص في المسائل المتعلقة بالزواج ، يبرر التحظير المقبل للاجهاض بقوله ان المراة لا يمكن ، بالنظر الى عدم وجود بطالة في المجتمع الاشتراكي ، الخ ، ان يكون لها الحق في رفض «افراح الامومة» . وهانحنذا نرى انها فلسفة كاهن مقرونة ، علاوة على ذلك ، بقبضة الدركي . لقد قرانا للتو في صحيفة الحزب المركزية ان إنجاب طفل يشكل بالنسبة الى الكثير من النساء ــ وربما كان من الاصح القول : بالنسبة الى غالبيتهن ــ «تهديدا» . كما استمعنا الى سلطة سوفياتية عليا وهي تلاحظ

أن «تصفية الطفولة المهجورة تتم بوهن» ، الشيء الذي يعني بكل تأكيد زيادة في الطفولة المهجورة ؛ وهوذا رجل قضاء عالي المقام يبشرنا بأن الاجهاضات في البلد الذي «تطيب فيه الحياة» لا بد أن تعاقب بالسجن ، تماما كما في سائر البلدان الراسمالية التي لا تطيب فيها الحياة . واننا لنرى سلفا انه في روسيا كما في الغرب لن يقع بين براثن السجانين سوى العاملات والفلاحات والخادمات في المقام الاول ، نظرا الى انه سيكون من الصعب عليهن اخفاء خطيئتهن . اما «نساؤنا» اللائي يطلبن عطورا من نوعية جيدة وسلعا اخرى من هذا النوع ، فسيواصلن سلوك الطريق التي تروق لهن على مراى ومسمع من العدالة المتسامحة. يضيف سولتز قائلا وهو يغمض عينيه عن وجود الاطفال المهجورين : «نحن بحاجة الى رجال» . ولقد كان في وسع الملايين من الشغيلات ، لو لم تكمم البيروقراطية أفواههن بكمامة الصمت، ان يجبنه قائلات : «انجبوا اذن بانفسكم الاطفال !» . لقد نسي اولئك السادة كما هو ظاهر للعيان ان الاشتراكية يفترض فيها ان تقضي على الاسباب التي تدفع بالنساء الى الاجهاض ، لا ان تستنجد بالشرطي ليتدخل في حياة المراة الصميمة وليفرض عليها «افراح الامومة» .

لقد اخضع مشروع قانون الاجهاض لمناقشة عامة . وقد رشحت الصحافة السوفياتية ، على الرغم من تضييق الخناق عليها ، بالعديد من الشكاوى المريرة والاحتجاجات المخنوقة . وتوقفت المناقشة على نفس النحو المباغت الذي بدات به . وفي ٢٧ حزيران ١٩٣٦ حولت السلطة التنفيذية مشروعا دنيئا الى قانون مثلث الدناءة . وابدى حتى عدد من المحامين المعتمدين من قبل البيروقراطية استياءهم . وكتب لويس فيشر ان القانون الجديد هو في التحليل الاخير سوء تفاهم مؤسف. وفي الحقيقة، ان ذلك القانون الموجه ضد المراة، لكن الذي يستثني «السيدات»،

هو واحدة من الثمار المشروعة للردة الترميدورية (١) .

ان اعادة الاعتبار الاحتفائية الى الاسرة ، التي تمت ـ يـا للمصادفة الالهية ـ في وقت واحد مع اعادة الاعتبار الى الروبل ، نجمت عن عدم كفاية الدولة ماديا وثقافيا . وبدلا من القول : لقد وجدنا انفسنا في حالة من العوز والامية لا تسمح لنا باقامة علاقات اشتراكية بين الناس ، ولسوف يفعل ذلك اولادنـا واحفادنا ـ بادر زعماء النظام الى اعادة لصـق اصص الاسرة المتكسرة ، وفرضوا ، تحت طائلة اقسى العقوبات ، عقيـدة الاسرة ، الاساس المقدس للاشتراكية المظفرة . وانه ليشق على المرء ان يقيس مدى عمق هذا التراجع !

ان التطور الجديد يجرف معه كل شيء وكل انسان ، الاديب والمشرّع ، القاضي والمليشيا ، الصحيفة والتعليم . وحين يسمع شيوعي شاب مستقيم وطيب القلب لنفسه بأن يكتب الى صحيفته بأنه «اجدر بكم ان تتطرقوا الى حل هذه المعضلة : كيف يمكن للمرأة ان تفلت من كماشة الاسرة ؟» ، يتلقى زوجا مـن الكلمات الساخرة ويلزم الصمت . اما **الف باء الشيوعية** فقـد جرى التنديد به بوصفه مبالغة يسارية . وتحت اسم الاخلاق الجديدة ، تبعث من جديد الاحكام المسبقة القاسية والغبيـة للطبقات المتوسطة الامية . وماذا يجري في الحياة اليومية فـي الزوايا الضائعة من البلاد الشاسعة ؟ ان الصحافة لا تعكس الا بمقادير تافهة عمق الردة الترميدورية في مضمار الاسرة .

ان حمية الوعاظ النبيلة تتصاعد حدة مع تعاظم الرذائل ،

---

١ ـ الردة الترميدورية : الوصف الذي اطلقه تروتسكي على الانقـلاب الستاليني ، علما بأن ترميدور هو اشهر الذين اسقط فيه روبسبير وشهـد بداية الردة على الثورة الفرنسية . «م»

والوصية السابعة (١) تغدو شعبية للغاية في اوساط الشرائح الحاكمة . وما على علماء الاخلاق السوفييت الا ان يدخلوا شيئا من التجديد على انشاء الجمل . فلقد شنت حملة على سهولة الطلاق وتواتره . وتفتق الفكر الخلاق للمشرّع عن تدبير «اشتراكي» ينص على دفع غرامة لتسجيل الطلاق وعلى زيادة الرسم في حال التكرار . لم نجانب الصواب اذن حين لاحظنا ان الاسرة تبعث من جديد في الوقت نفسه الذي يتأكد فيه الدور التربوي للروبل . ان الرسم لن يكون عائقا بالنسبة الى الاوساط الحاكمة ، وعلى الاقل لنأمل ذلك . فالاشخاص الذين يملكون شققا جيدة وسيارات وعناصر رغد ورفاه اخرى يسوون بالاصل قضاياهم الخاصة بدون اعلان لا حاجة اليه ، وبالتالي بلا تسجيل . والبغاء ليس له طابعه المذل والشاق الا في حضيض المجتمع السوفياتي ؛ اما في قمة هذا المجتمع ، حيث تمتزج السلطة برغد الحياة ، فان البغاء يرتدي شكلا انيقا : شكل خدمات صغيرة متبادلة ، بل شكل «الاسرة الاشتراكية» . وقد سبق لسوسنوفسكي ان اطلعنا على اهمية عامل «الحريم الذاتي» في انحطاط الحكام .

ان «اصدقاء» الاتحاد السوفياتي الفنائيين والاكاديميين لهم عيون كيلا يروا شيئا . ومع ذلك فان التشريع الذي وضعته ثورة اوكتوبر للزواج والذي كان في حينه موضع اعتزاز مشروع لدى الثورة يغير اليوم ويشوه باقتراضات واسعة من الخزينة التشريعية للبلدان البورجوازية . ولما كان هناك حرص على ما يبدو على قرن الخيانة بالاستهزاء ، فان عين الحجج التي استخدمت في الماضي للدفاع عن حرية الاجهاض والطلاق اللامشروطة ــ «انعتاق المرأة» ، «الدفاع عن حقوق الشخصية»،

---

١ ــ يقصد الوصية التي تقول : لا تزن . «م»

«حماية الامومة» ـ تردد اليوم للحد من الاجهاض والطلاق او لحظرهما .

ان التقهقر يرتدي أشكالا مرائية مقززة للنفس ويشط الى ابعد بكثير مما تقتضيه الضرورة الاقتصادية القاسية . فعلاوة على الاسباب الموضوعية للرجوع الى المعايير البورجوازية ، نظير دفع النفقة الغذائية للطفل ، تنضاف المصلحة الاجتماعية للاوساط الحاكمة في تعميق الحقوق البورجوازية . ولا ريب في ان اقوى حافز لعبادة الاسرة اليوم هو الحاجة التي تخامر البيروقراطية الى تسلسل هرمي في العلاقات والى شبيبة مضبوطة بأربعين مليون بيت هي بمثابة نقاط ارتكاز للهيبة والسلطة .

كانت السلطة ، ما دامت تأمل في ان تعهد الى الدولة بتربية الاجيال الطالعة ، لا تبالي بتعزيز هيبة الكبار ، وبخاصة هيبة الاب والام ، بل تسعى على العكس الى فصل الاطفال عن الاسرة لتحصينهم ضد اخلاق والاعراف القديمة . وحتى الى عهد قريب، في المرحلة الاولى من الخطة الخمسية ، كانت المدرسة ومنظمات الشبيبة الشيوعية تهيب بالاولاد ان يفضحوا الاب السكير او الام المؤمنة ، ان يجللوهما بالعار ، ان يحاولوا «اعادة تربيتهما» . اما درجة النجاح فمسالة اخرى ... بيد ان ذلك النهج كان يهز على كل حال اسس السلطة العائلية بالذات . وقد تحقق في هذا المضمار تغير جذري لا يخلو من اهمية . وقد اعيد اليوم العمل بالوصية الخامسة (١) في آن واحد مع السابعة ، وان من غير تذرع بالسلطة الالهية في الوقت الراهن ؛ بيد ان المدرسة الفرنسية تستغني هي الاخرى عن هذا الشعار ، من غير ان يحول ذلك بينها وبين بث الروتين والنزعة المحافظة في النفوس .

---

١ ـ اكرم اباك وامك . «م»

لقد ادى الحرص على هيبة الكبار الى تغير في السياسة حيال الدين . فقد كان نفي الآلهة ومساعديهم ومعجزاتهم اخطر عنصر من عناصر فصل الاولاد عن الآباء امكن للسلطة الثورية اعتماده . لكن النضال ضد الكنيسة ، بقيادة رجال من أشباه ياروسلافسكي ، غالبا ما ينحط ، مجاوزا في ذلك تقدم الثقافة والدعاية الرصينة الجدية والتربية العلمية ، الى هزل واغاظة . وقد توقف الهجوم على السماء مثلما توقف عن الاسرة . وأوصت البيروقراطية ، الحريصة على طيب سمعتها ، الشبان الملحدين بأن يضعوا السلاح وبأن ينكبوا على القراءة . وما ذلك الا بداية فحسب . فثمة نظام من حياد ساخر يتاسس الان رويدا رويدا تجاه الدين . وتلك هي المرحلة الاولى . ولن يشق علينا ان نتكهن بالثانية والثالثة اذا بقي مجرى الامور مرهونا بالسلطات القائمة وحدها .

ان رياء الآراء السائدة يتعاظم في كل زمان ومكان بمربع او مكعب التناحرات الاجتماعية : ذلك هو على وجه التقريب القانون التاريخي لتطور الافكار مترجما الى مصطلحات رياضية . اما الاشتراكية فانها تعني ، اذا كانت تستحق فعلا هذا الاسم ، علاقات منزهة عن الغرض بين الناس ، وصداقة بلا حسد ولا مكائد ، وحبا بلا حسابات مذلة . والمذهب الرسمي يتشدق بمزيد من القوة بتلك المعايير المثالية التي سبق ان شقت طريقها الى التطبيق العملي طردا مع احتجاج الواقع بمزيد من القوة ايضا على أشباه تلك المزاعم . يقول البرنامج الجديد للشبيبة الشيوعية السوفياتية ، الذي اقر في نيسان ١٩٣٦ : «ان اسرة جديدة ، توليها الدولة السوفياتية اهتمامها لكي تزدهر ، تبعث اليوم الى حيز الوجود فوق ارض المساواة الفعلية بين الرجل والمرأة» . ويضيف تعليق رسمي قائلا : «ان شبيبتنا لا يدفعها الى اختيار رفيق الحياة او رفيقة الحياة غير الحب . ان زواج المنافع البورجوازي لا وجود له بالنسبة الى جيلنا الصاعد»

(**البرافدا** ، ٤ نيسان ١٩٣٦) . وهذا صحيح ما دام الامر يتعلق بالشبان من العمال والعاملات . لكن زواج المنافع قليل الانتشار ايضا بين عمال الاقطار الراسمالية . وبالمقابل ، يختلف الوضع كل الاختلاف لدى الشرائح الوسطى والعليا من المجتمع السوفياتي . فالفئات الاجتماعية الجديدة تنيط بها بصورة آلية مضمار العلاقات الشخصية . والرذائل المتولدة عن السلطة والمال على صعيد العلاقات الجنسية تزدهر في اوساط البيروقراطية السوفياتية كما لو ان هذه البيروقراطية جعلت هدفها اللحاق ببورجوازية الغرب .

ان «زواج المنفعة» ، خلافا لتوكيد **البرافدا** الذي اوردناه ، قد بعث الى الوجود من جديد ـ وهذا ما تقر به الصحافة السوفياتية ـ اما بحكم الضرورة او لداعي الشطط في الصراحة. فالمهنة والاجر والوظيفة وعدد الشارات على الكم تكتسب اهمية متعاظمة لانه بها ترتبط مسائل الاحذية والفرو والمساكن والحمامات وكذلك ـ ذلك هو الحلم الاعظم ـ السيارة . ومحض الصراع على حجرة في موسكو يجمع ويفرق سنويا بين عدد لا يستهان به من القرناء . وقد ارتدت مسالة الاهل اهمية استثنائية . فمن المستحسن ان يكون الحمو ضابطا او شيوعيا نافذا ، وان تكون الحماة اخت شخصية كبيرة . من سيدهش لذلك ؟ وهل يمكن ان يكون الواقع على غير ما هو عليه ؟

يؤلف انفراط عقد الاسر السوفياتية التي اصاب فيها الزوج، العضو في الحزب او العضو الفعال في النقابة او الضابط او الاداري ، حظا من التطور والارتقاء واكتسب مشارب جديدة ، بينما لبثت الزوجة الرازحة تحت عبء الاسرة ونير اضطهادها على مستواها السابق ، يؤلف فصلا ماساويا للغاية في سفر المجتمع السوفياتي . وطريق جيلين اثنين من البيروقراطية السوفياتية مزروع بمآسي النساء المتاخرات والمهجورات . وتلاحظ الواقعة ذاتها اليوم لدى الجيل الفتي . وارجح الظن

اننا سنلاقي القدر الاكبر من الفظاظة والقسوة في الدوائر العليا من البيروقراطية حيث يشكل محدثو النعمة ، الذين لم تتوفر لهم ثقافة رفيعة نسبة مئوية عالية . ولسوف تكشف المذكرات ودوائر المحفوظات ذات يوم النقاب عن جرائم حقيقية اقترفها ضد الزوجات السابقات وضد النساء بوجه عام وعاظ الاخلاق العائلية و«أفراح الامومة» الالزامية وغير القابلة للانتهاك في نظر العدالة.

كلا ، ان المراة السوفياتية لم تغد حرة بعد . والمساواة الكاملة لا تزال تنطوي على قدر من المزايا لنساء الشرائح العليا ، التي تعتاش من العمل البيروقراطي والتقني والتربوي ، والفكري بوجه عام ، اكبر بشكل محسوس من المزايا التي تنطوي عليها بالنسبة الى العاملات ، وبخاصة الفلاحات . وما دام المجتمع في حالة لا تؤهله لتولي اعباء الاسرة المادية ، فلن تستطيع الام ان تتصدى بنجاح لعبء وظيفة اجتماعية الا بشرط ان يكون تحت تصرفها عبدة بيضاء : مرضعة او خادمة او طاهية او غيرها . ان ٥ بالمئة او ربما ١٠ بالمئة من الاربعين مليون اسرة التي يتالف منها سكان الاتحاد السوفياتي تبني بصورة مباشرة او غير مباشرة رفاهها ورغد عيشها على عمل الرقيق المنزلي . ومعرفة العدد الصحيح للخادمات في الاتحاد السوفياتي ستكون نافعة للغاية سواء أمن اجل تقييم وضع المراة ام من اجل تقييم مجمل التشريع السوفياتي، مهما يكن تقدميا ، من وجهة نظر اشتراكية. لكن لهذا بالتحديد يتستر الاحصاء على الخادمات ويخفيهن تحت بند العاملات او «عمال شتى» !

ان وضع ام العائلة ، الشيوعية المحترمة ، التي عندها خادمة ، وتلفون لنقل طلباتها الى المخازن ، وسيارة لتنقلاتها ، الخ ، لا يمت بصلة تشابه ملحوظة الى وضع العاملة التي تجول على الحوانيت وتعد بنفسها عشاءها وتؤوب بأولادها من روضة الاطفال الى البيت ــ هذا اذا ما توفرت لها روضة اطفال . وليس في وسع اي يافطة اشتراكية ان تحجب عن الانظار هذا التباين

الاجتماعي الذي لا يقل حجما عن التباين القائم في كل بلد من بلدان الغرب بين السيدة البورجوازية والمراة البروليتارية .

ان الاسرة الاشتراكية الحقيقية ، التي يعتقها المجتمع من الاعباء اليومية الباهظة والمذلة ، لن تكون بحاجة الى اي تنظيم ، ومجرد فكرة وجود قوانين للطلاق والاجهاض لن تبدو لها احسن من ذكرى بيوت الدعارة او ذكرى الاضاحي البشرية . ولقد كان تشريع اوكتوبر قد خطا خطوة جريئة باتجاه نظير تلك الاسرة . لكن حالة البلد المتأخرة من الناحيتين الاقتصادية والثقافية ادت الى ردة فعل قاسية . وتقهقر التشريع الترميدوري نحو النماذج البورجوازية ، مغطيا تراجعه بعبارات كاذبة عن قدسية الاسرة «الجديدة» . وتهافت المنطق الاشتراكي يختفي هنا ايضا تحت محترمية مرائية .

ان التناقض بين المبادىء السامية والواقع المحزن ، وبخاصة فيما يتعلق بالاطفال ، يلفت انتباه العديد من المراقبين الصادقين. فواقع اللجوء الى عقوبات قانونية صارمة ضد الاطفال المهجورين يمكن ان يوحي بفكرة ان التشريع الاشتراكي لصالح المراة والطفل ما هو الا رياء ونفاق . اما المراقبون من نوع مغاير فان البابهم تفتن برحابة وكرم القصد الذي اتخذ شكل قوانين وأجهزة ادارية ؛ فعند مرأى امهات وبغايا واطفال مهجورين فريسة للبؤس ، يقول اولئك المتفائلون بينهم وبين انفسهم ان تزايد الخيرات المادية سيكسو شيئا فشيئا القوانين الاشتراكية باللحم والدم . وليس من اليسير ان نحدد اية من هاتين الطريقتين في التفكير هي الاشد تزييفا والافدح ضررا . فلا بد ان يكون المرء مصابا بالعمى التاريخي حتى لا يرى سعة القصد الاجتماعي ورحابته وجراته ، واهمية المراحل الاولى من وضعه موضع التنفيذ ، والامكانيات المفتوحة الرحيبة . لكن لا يمكن للمرء ايضا الا يسخط ويغتاظ ازاء التفاؤل السلبي ، واللامبالي في الواقع، لاولئك الذين يغمضون عيونهم عن مرأى نمو التناقضات

الاجتماعية ، ويعزون انفسهم بآفاق ومنظورات مستقبل يحلو لهم ان يدعوا مفاتيحه بكل توقير بين يدي البيروقراطية . فلكان مساواة الرجل والمراة لم تغد ، امام البيروقراطية ، مساواة في نكران كل حق ! ولكانه كتب في سِفر الاقدار ان البيروقراطية لا تستطيع ان تؤسس نيرا جديدا بدل ان تاتي بالحرية !

ينبئنا التاريخ بالشيء الكثير عن استرقاق الرجل للمراة ، وعن استعبادهما كليهما من قبل المستغِل ، وعن جهود الشغيلة الذين ما كانوا يتوصلون، رغم سعيهم الى خلع النير ولو بالتضحية بحياتهم ، الا الى تغيير اغلالهم في الواقع . ولا يروي التاريخ ، في التحليل الاخير ، شيئا آخر . لكن كيف السبيل الى التحرير الفعلي للطفل والمراة والرجل ؟ هذا بالتحديد ما نفتقر الى امثلة ايجابية بصدده . فتجربة الماضي كلها سلبية ، وهي تفرض قبل كل شيء على الشغيلة الحذر والريبة تجاه الاوصياء الراتعين في الامتيازات وغير الخاضعين للرقابة .

«الثورة المغدورة»
الفصل السابع
«ترميدور في البيت»

ماوتسي تونغ

انتحار الآنسة زهاو (١)

انه انتحار متحدد مطلق التحدد بالظروف . هل كانت فكرة الآنسة زهاو الاصلية أن تطلب الموت ؟ على العكس ، فقد كانت تنشد الحياة . ولئن نشدت الآنسة زهاو في خاتمة المطاف الموت بالاحرى ، فهذا لان الظروف قسرتها على ذلك . كانت الظروف

---

١ ــ تحت تأثير حركة ٤ ايار ١٩١٩ ، واحتجاجا على نظام الزواج التقليدي المفروض من قبل الاهل على الاولاد ، استلت الانسة زهاو من تشانغا ، في يوم ١٤ تشرين الثاني ١٩١٩ ، خنجرا وحزت به رقبتها في عين اللحظة التي كانت تتخذ فيها الاستعدادات لرفعها على كرسي الزفاف . وقد اثار انتحارها اصداء واسعة ، ووجد طريقه الى المعالجة في كتابات ماوتسي تونغ تسع مرات على الاقل . «م»

التي تحيا فيها الآنسة زهاو هي التالية : ١ ـ المجتمع الصيني؛ ٢ ـ اسرة زهاو من شارع نانيانغ في تشانغا ؛ ٣ ـ اسرة وو من غانزيون في تشانغا ، اسرة الزوج الذي ما كانت لها به رغبة . هذه العوامل الثلاثة كانت تؤلف ثلاث شبكات حديدية ، يمكننا ان نتصورها مؤلفة لقفص مثلث . ولما وقعت في اسار تلك الشبكات الثلاث ، راحت تنشد الحياة بكل الوسائل المتاحة لها، ولكن عبثا وبلا جدوى ، لانه لم تكن هناك امكانية للحياة في إسارها ؛ ونقيض الحياة هو الموت ، فكان على الآنسة زهاو بالتالي ان تموت ... ولو كان بين تلك العوامل الثلاثة عامل واحد لا يؤلف شبكة حديدية ، او لو قيض لاحدى الشبكات ان تنفتح ، لما كانت الآنسة زهاو بكل تأكيد قضت نحبها . ١ ـ لو ان والدي الآنسة زهاو لم يلجآ الى الاكراه والقسر ، بل انصاعا لارادة الآنسة زهاو الحرة ، لما كانت الآنسة زهاو بكل تأكيد لاقت حتفها؛ ٢ ـ لو ان والدي الآنسة زهاو لم يلجآ الى الاكراه والقسر في تسوية المشكلة ، ولو سمحا للآنسة زهاو بان تصارح برأيها اسرة زوجها المقبل ، وبأن تفسر اسباب رفضها ، ولو كانت اسرة زوجها المقبل انحازت اخيرا الى رأيها واحترمت حريتها الفردية، لما كانت الآنسة زهاو بكل تأكيد لاقت حتفها ؛ ٣ ـ حتى لو كان تعذر على والديها وعلى اسرة زوجها المقبل التسليم بإرادتها الحرة ، فانه لو كان هناك بالمقابل شطر عريض من الراي العام يعاضدها ويساندها، ولو كان هناك عالم جديد تماما يعتبر الهرب من البيت الوالدي واللجوء الى مكن آخر عملا مشرفا لا عملا مخزيا ، لما كانت الآنسة زهاو في هذه الحال بكل تأكيد لاقت حتفها . ولئن باتت الآنسة زهاو اليوم في عداد الاموات ، فهذا لانها نشدت عبثا الحياة وهي مطوقة بقوة بالشبكات الحديدية الثلاث (المجتمع ، أسرتها ، أسرة زوجها المقبل) ، فوجدت نفسها منقادة في آخر المطاف الى نشدان الموت ...

لقد كان حادث الامس هاما. فقد وقع بسبب النظام الشنيع،

نظام الزيجات المدبرة؛ بسبب ظلمات النظام الاجتماعي ونفي حرية الفرد وانعدام حرية اختيار الزوج . وينبغي ان نأمل ان يبادر جميع الذين تعنيهم هذه القضية الى تحليلها في مختلف مظاهرها وجوانبها ، وان يدافعوا عن شرف فتاة ذاقت سكرات الموت شهيدة من اجل قضية حرية اختيار حبها ...

ان اسرة الوالدين واسرة الزوج المقبل متداخلتان كلتاهما في المجتمع ، وكلتاهما جزء من المجتمع . علينا ان نفهم ان اسرة الوالدين واسرة الزوج المقبل اقترفتا جريمة ، لكن منبع هذه الجريمة يكمن في المجتمع . صحيح انه امكن للأسرتين ان تقترفا تلك الجريمة بنفسيهما ؛ لكن قسما كبيرا من الجناية انتقل اليهما بطريق المجتمع . ناهيك عن ذلك ، فلو ان المجتمع كان صالحا لما كانت اتيحت للأسرتين الفرصة لاقتراف تلك الجريمة ، حتى ولو كانت لهما فيها رغبة ...

ما دام مجتمعنا يحمل بين طياته اسبابا ادت الى موت الآنسة زهاو ، فان هذا المجتمع شيء خطر للغاية . لقد امكنه ان يتسبب في موت الآنسة زهاو ، وفي امكانه ان يتسبب ايضا في موت الآنسة كيان او الآنسة صون او الانسة لي . انه قادر على ان يفتك بالرجال فتكه بالنساء . وعلينا جميعنا ، نحن الضحايا المحتملين الكثيرين ، ان نلزم جانب الحذر حيال ذلك الشيء الخطر القادر على ان يسدد الينا جميعنا ضربة قاضية . علينا ان نرفع عقائرنا بالاحتجاج العالي ، وان ننبه ونحذّر الكائنات الانسانية الاخرى التي لما تلاق حتفها بعد ، وان نديين شرور مجتمعنا التي لا يحصيها عد ...

اذا شئنا حملة في سبيل اصلاح الزواج ، فان اول ما يجب هدمه الخرافات والمعتقدات الباطلة بصدد الزواج ، وفي المقام الاول الايمان بأن الزيجات مقدرة ومقررة سلفا من قبل الاقدار. فما ان تهدم تلك المعتقدات وتقوض حتى تسقط وتزول الذريعة

التي تختفي وراءها ممارسة الاهل للزيجات المدبرة ، وعندئذ يظهر على الفور في المجتمع مفهوم «عدم التوافق بين الزوج والزوجة» . وما ان يظهر مفهوم عدم التوافق بين الرجل والمراة، حتى ينهض جيش الثورة العائلية عرمرما متراص الصفوف ، وتنداح في الصين الموجة الكبرى لحرية الزواج ولحرية الحب..

ان موقفي من الانتحار موقف رافض ... فهدف الانسان اولا ان ينشد الحياة ، ولا يجوز له ان يمضي في عكس طريقه الطبيعي وان ينشد الموت ... ثانيا ، بالرغم ان الانتحار ينجم عن حرمان المجتمع للناس من كل امل ، فمن الانسب النضال ضد هذا المجتمع لاستعادة الامل الذي فقد ... من الانسب الموت في معترك الصراع ... ثالثا ، اذا ابدى الناس احتراما حيال اولئك الذين يضعون بكل جراة نهاية لايامهم ، فليس معنى ذلك البتة انهم يحترمون الانتحار في ذاته ، وانما معناه بالاحرى انهم يحترمون روح الشجاعة ، روح «مقاومة القوة الوحشية» التي تدب في عروق المنتحر ... وخير بألف مرة ان يلقى المرء مصرعه اثناء عراك وصراع من ان يحاول الانتحار ! وليس هدف الصراع «لقاء الموت على يد الآخرين» ، وانما «النزوع الى توكيد فردية حقيقية» . واذا لم يتوصل المرء الى ذلك رغما عن كل ما حاوله وجاهده ، واذا صارع حتى الموت ، واذا ضحى بحياته ، فعندئذ سيكون اشجع الشجعان على الارض ، وسيكون لتلك المأساة اعظم الوقع في نفوس الناس ...

مقتطفات من عدة مقالات كتبها ماوتسي تونغ في صحيفة «دا غونغ باو» التي كانت تصدر في تشانغا، ابتداء من ١٦ تشرين الثاني ١٩١٩

الاطاحة بسيطرة الازواج على الزوجات

يخضع الرجال في الصين عادة لسيطرة ثلاثة انظمة من السلطان : ١ ـ نظام الدولة (السلطة السياسية) ، ويمتد من الحكومة المركزية الى المقاطعة ، فالمحافظة ، فالقضاء ؛ ٢ ـ نظام العشيرة (السلطة العشائرية) ، ويمتد من معبد أسلاف العشيرة ومعبد أسلاف الفرع العائلي حتى رأس الاسرة ؛ ٣ ـ النظام الروحي (السلطة الدينية) ، ويمتد من ملك الجحيم الى آلهة المدن وآلهة القرى التي تنتمي الى العالم السفلي ، ومن امبراطور السماء الى مختلف الآلهة والارواح التي تنتمي الى العالم السماوي . اما النساء ، فالى جانب خضوعهن لسيطرة الانظمة الثلاثة السالفة الذكر يخضعن لسيطرة الرجال (سلطة الزوج) . وهذه الانواع الاربعة من السلطة ـ السلطة السياسية ، السلطة العشائرية ، السلطة الدينية والسلطة الزوجية ـ تمثل كل ايديولوجيا ومؤسسات النظام الابوي والاقطاعي ، وتشكل السلاسل الاربع الكبرى التي تقيد الشعب الصيني ، وعلى الاخص الفلاحين .

وقد سبق ان ذكرنا كيف اطاح الفلاحون بالسلطة السياسية للملاكين العقاريين في الريف . ولما كانت السلطة السياسية للملاكين العقاريين هي العمود الفقري لسائر انواع السلطة ، فان انهيارها ادى الى زعزعة دعائم السلطة العشائرية والسلطة الدينية والسلطة الزوجية . وحيثما تكن اتحادات الفلاحين قوية ، فان شيوخ العشائر ووكلاء مال معابد الاسلاف لا يعودون يجرؤون على كبت من هم ادنى مرتبة منهم في عشائرهم او على اختلاس مال المعابد . وقد اطيح بالاشرار من الشيوخ والوكلاء باعتبارهم عتاة محليين ووجهاء اشرارا . ولم يعد اي واحد منهم يجرؤ على فرض العقوبات البدنية القاسية او عقوبة الاعدام التي كانوا ينزلونها

بالفلاحين في معابد الاسلاف مثل «الجلد» و«الاعدام غرقا» و«واد الأحياء» . كما تم القضاء على القاعدة البالية التي تمنع النساء من حضور المآدب الطقسية التي تقام في معابد الاسلاف . وقد حدث ان احتشدت النساء في بايكو من محافظة جنغشان وتدفقن الى معبد الاسلاف حيث احتللن المقاعد هناك واكلن وشربن ، ولم يكن امام أعيان العشيرة الا ان يتركوهن يفعلن ما يحلو لهن . وفي مكان آخر ، واحتجاجا على ذلك التحظير ، اقتحم جمهور من فقراء الفلاحين المعبد واكلوا وشربوا ما طاب لهم ، بينما لاذ العتاة المحليون والوجهاء الاشرار وغيرهم من السادة ذوي الجلابيب الطويلة بالفرار هلعا .

اما السلطة الدينية فقد تزعزعت هي الاخرى في كل مكان بتطور حركة الفلاحين . وقد استولت اتحادات الفلاحين في اماكن كثيرة على معابد الآلهة وجعلتها مقرات لها ... وفي الاماكن التي رجحت فيها كفة سلطة الفلاحين ، لم يعد يؤمن بالآلهة غير المسنين من الفلاحين وغير النساء . اما الفلاحون الشبان والكهول فقد نبذوا ذلك الايمان . وبما ان الفلاحين الشبان والكهول هم الذين يسيطرون على الاتحادات الفلاحية ، فقد نشطت في كل مكان حركة الاطاحة بالسلطة الدينية والايمان بالمعتقدات الباطلة .

اما فيما يتعلق بسلطة الزوج ، فقد كانت على الدوام ضعيفة نسبيا بين الفلاحين الفقراء، لان النساء في الاسر الفقيرة مكرهات لاسباب اقتصادية على المساهمة في العمل بقسط اكبر مما تفعل نساء الطبقات الميسورة ؛ ومن ثم اكتسبن حقا اكبر في الكلام في الشؤون العائلية ، بل حتى في المشاركة في اتخاذ القرارات المتعلقة بها . **وهن يتمتعن ، من وجهة النظر الجنسية ايضا ، بقدر لا باس به من الحرية . فالعلاقات الثلاثية والمتعددة الاطراف**

في القرى تكاد تكون عامة فـــي اوساط الفلاحين الفقراء (١) . وفي السنوات الاخيرة ، تفاقم وضع الاقتصاد الريفـــي وزاد افلاسا ، فتقوضت بذلك الركيزة الاساسية لسيطرة الرجال على النساء . وفي الآونة الاخيرة ، وبالتزامن مع ظهور حركة الفلاحين الحالية ، بادرت النساء في العديد من الاماكن الى تنظيم اتحادات للفلاحات ؛ فقد ازفت الساعة ليرفعن رؤوسهن ، وسلطة الزوج آخذة بالتداعي اكثر فاكثر يوما بعد يوم .

خلاصة القول ، اقترن تعاظم سلطة الفلاحين بتزعزع مجمل ايديولوجيا النظام الابوي الاقطاعي ومؤسساته . بيد ان الفلاحين يركزون جهودهم في المرحلة الحاضرة علـى تحطيم السلطـــة السياسية للملاكين العقاريين . وحيثما تم تحطيم هذه السلطة تحطيما تاما ، بدا الفلاحون في شن الهجوم على مراكز السلطات الثلاث الاخرى : سلطة العشيرة وسلطة الآلهة وسيطرة الذكر على الانثى . الا ان هذا الهجوم لا يزال الان فـــي « بدايتـــه » ليس الا ، ولا يمكـــن ان تتـــم الاطاحة بصورة شاملـــة بالسلطات الثلاث الا بعد ان يحرز الفلاحون انتصارا كامـــلا في الصراع الاقتصادي . وعليه ، فان مهمتنا الراهنة هي قيادة الفلاحين لتركيز اعظم الجهود في المعركة السياسية الفاصلة حتى تتم الاطاحة بصورة نهائية بسلطة الملاكين العقاريين . ويجب ان يعقب ذلك مباشرة النضال الاقتصادي حتى يمكن حل مسألـــة الارض وغيرها من المسائل الاقتصادية التي تهم الفلاحين الفقراء حلا نهائيا .

اما الغاء النظام العشائري والقضاء على الخرافات الدينية وازالة العلاقات الظالمة بين الرجل والمرأة ، فسوف تتم من تلقاء نفسها كنتيجة طبيعية للانتصار فـــي النضال السياســـي

---

١ ــ المقطع المطبوع باحرف ناشة (مسودة) حذف في الطبعات اللاحقة من مؤلفات ماوتسي تونغ . «م»

والاقتصادي . ولكن اذا ركزت الجهود الكثيرة ، بالمقابل ، على ازالة هذه الاشياء عنوة وقبل نضج الظروف ، فلا شك في ان العتاة المحليين والوجهاء الاشرار سيتخذون من ذلك ذريعة لشن دعاية مناهضة للثورة بهدف تحطيم حركة الفلاحين ، مروجين لشعارات من أشباه «اتحادات الفلاحين لا تحتـــرم الاسلاف» و«اتحادات الفلاحين تسخر من الآلهة وتهدم الدين» و«اتحادات الفلاحين تدعو الى اباحة الزوجات» . وخير شاهد على ذلـــك الحوادث الاخيرة التي وقعت في شيانغشيانغ من مقاطعة خونان وفي يانغشين من مقاطعة خوبي حيث استطاع الملاكون العقاريون استغلال معارضة الفلاحين لتحطيم اصنام الآلهة . ان الفلاحين هم الذين صنعوا الاصنام ، وعندما يحين الوقت فانهم هم الذين سيطوحون بها بأيديهم ، وليست هناك حاجة لان يؤدي احـــد غيرهم هذا العمل نيابة عنهم وقبل ان تنضج الظروف . وينبغي على الشيوعيين ان ينتهجوا في الدعاية والتحريض بصدد هـــذه المسألة سياسة «شد وتر القوس ولا تطلق السهم» (١) . يجب ان يتولى الفلاحون بانفسهم تحطيم أصنام الآلهة ، وهدم معابد النساء اللائي لم يشأن ان يبقين على قيد الحياة بعد وفـــاة ازواجهن ، والاقواس المنصوبة تكريما للزوجات العفيفات والارامل البارات ، ومن الخطأ ان يقوم اي شخص آخر بهذا العمل نيابة عنهم .

« تقرير عن الاستقصاء في مقاطعة خونان بصدد الحركة الفلاحية »
آذار ١٩٢٧

---

١ ــ هذه العبارة مقتبسة عن منشيوس ، وهو فيلسوف صيني من القرن السادس قبل الميلاد . «م»

مرسوم حول الزواج

ان الزواج (١) بين الرجل والمراة في ظل السيطرة الاقطاعية مؤسسة همجية ولاانسانية . والاضطهاد والآلام التي تتكبدها النساء اكبر من تلك التي يعاني منها الرجال . وانتصار ثورة العمال والفلاحين ، الذي ستعقبه الخطوات الاولى لتحرير الرجال والنساء اقتصاديا ، هو وحده الذي يحدث تغييرا في طابع علاقة الزواج بين الرجل والمراة اذ يغدو حرا . لقد اكتسب الزواج بين الرجل والمراة في المناطق السوفياتية في الساعة الراهنة اساسا من الحرية . فالزواج يجب ان يعقد على اساس مبدأ حرية الاختيار . اما نظام الزواج الاقطاعي ، بما فيه سلطان الاهل على الاولاد واللجوء الى الاكراه وبيع وشراء شهادة الزواج ، فقد الغي .

بيد ان النساء ، في الوقت الذي تحررن فيه من النير الاقطاعي ، لا زلن يعانين من عوائق مادية ضخمة (مثل الاقدام المعصوبة) ، كما انهن لم يحرزن بعد استقلالا اقتصاديا كاملا . ومن هنا كان الواجب يقضي ، فيما يخص الطلاق ، الدفاع عن مصالح المراة بوجه خاص ، وتحميل الرجال الشطر الاكبر من الالتزامات والتبعات الناجمة عن الطلاق .

ان الاطفال هم سادة المجتمع الجديد ؛ وطبقا لعادات المجتمع القديم ما كانت حماية الاطفال تحظى بالاهتمام . ومن ثم فقد صدر قرار خاص لحماية الاطفال .

---

١ ـ النص الحرفي لمرسوم مؤقت عن الزواج صادر في عهد الجمهورية السوفياتية الصينية الاولى في عام ١٩٣١ . «م»

يصدر هذا المرسوم ويصبح ساري المفعول في ١ كانـــون الاول ١٩٣١ .

رئيس اللجنة المركزية التنفيذية :
ماوتسي تونغ
نائبـــا الرئيس : كسيانغ ينـغ ـ زهانغ غيو تاو .

كيم ايل سونغ

الاشتراكية وواجب الامهات
فـــي تربية اطفالهن

يجب ان ندرك ، اولا وقبل كل شيء ، ان الظروف التـــي نعيش فيها الان تختلف اختلافا جذريا عن تلك التي عشنا فيها في الماضي ، ولذلك فان مهمة امهاتنا ودورهن باتا يختلفان ايضا عما كانا عليه في السابق . ان الامهات ، ايا كن ، يحببن ابناءهن وبناتهن ، ويرغبن في ان يكفلن لهم وضعا افضل في العالم. وفي العصور جميعا ، الماضية منها والحاضرة ، لا يمكن ان توجد ام لا تهتم البتة بتربية اطفالها . لكن طموح الامهات في الماضي الـى تنشئة ابنائهن وبناتهن ليجعلن منهم شخصيات صالحة ومرموقة ما كان له ان يتحقق ...

ما هي المهمة الاكثر صعوبة في بناء المجتمع الشيوعي الذي هو مثلنا الاعلى ؟ هل هو مجرد بناء المصانع ؟ صحيح انه يجب

علينا ان نبني العديد من المصانع ، لكن ذلك ليس بالأمر البالغ العسر ... ان خلق الخيرات المادية سهل نسبيا ، والنتائج تظهر للعيان بسرعة . فلانجاز التحول التكنولوجي في الريف على سبيل المثال ، يكفي ان نبادر الى ادخال المكننـــة والري والكهربـــاء والتسميد الكيمياوي ، فلا تلبث بعد ذلك ان تظهـر النتائج . وهنا نكون مدركين بوضوح لما انجزناه ، وما لم ننجزه بعد ، وما يجب علينا-ان ننجزه مستقبلا ... لكن الشيء العسير هو عمل تربية واعادة تربية الناس وفق المبادىء الشيوعية . ومهما تغزر الخيرات المادية ، لا يسعنا القول اننا بنينا المجتمع الشيوعي اذا كان الناس المتمتعون بتلك الخيرات لا يملكون الافكار الشيوعية .

والحال ان وعي الانسان يتأخر بوجه العموم عن تغير الحياة المادية في المجتمع . والافكار البالية تظل مقيمة في اذهان الناس لفترة طويلة حتى بعد حدوث تحول في النظام الاجتماعي ... ومن البديهي انه لا حاجة بنا الى ان نذكر ان تحررنا لم يمض عليه سوى خمسة عشر او ستة عشر عاما . فهل يمكن لأي واحدة منكن ان تجرؤ على القول انها لا تملك اي فكرة بالية ؟ ارجح الظن ان الناس جميعا واقعون بهذا القدر او ذاك تحت تأثير افكـــار بالية .

ومع ذلك لا نستطيع ان نرى او نقدر لدى من لا تزال الافكار الضارة سائدة والى اي حد . ان المستشفيات تملك اجهزة تقيس ضربات القلب ، لكننا لا نملك اجهزة تقيس كمية الافكار الضارة في اذهان الناس ...

يمكن تغيير الطبيعة بسهولة وسرعة اذا جرى استخـــدام الالات . لكننا لا نستطيع ان نلجأ ، كيما نحول وعي الانسان ، الى قوة الالة او ان نعتمد على مساعدة ما من الخارج . وهذه مسألة لن يكتب لنا النجاح في حلها الا بكفاحنا كفاحا طويـــل النفس وطويل الامد ...

حتى نتمكن من دخول المجتمع الشيوعي ، يجب الا يكون قد

بقي هناك شخص واحد يملك افكارا متخلفة ... وان اعادة صياغة اذهان الناس وفق طراز شيوعي مهمة اكثر تعقيدا من تزويدهم بالطعام الكافي والملابس الكافية .

ان رواسب الافكار البالية تتجلى للعيان في اشكال مختلفة . ولنعدد اولا بعض اشكال تظاهر الافكار البالية التي هي الموضوع المباشر لكفاحنا ...

يجب ان نحارب الافكار الانانية . فالانانية تعني ان يبحث الانسان عن رفاهيته الذاتية دونما اي اعتبار للآخرين . وما الانسان بأناني بطبعه . بل تولد الافكار الانانية مع الملكية الخاصة ... وما لم تتغلبن على الافكار الانانية ، فلا يمكن ان تكنّ شيوعيات او ثوريات ... والافكار الانانية تجد تعبيرا لها في حياة البيت الداخلية ايضا . يريد بعض الرجال تطليق زوجاتهم لانهن لا ينجبن ذكورا . وفي وسع الانسان ان يأسف لانه ليس له صبي ، ولكن اي اهمية كبيرة لذلك بالنسبة الى الشيوعيين ؟ انه لعمل لاأخلاقي ان يهجر المرء زوجته ، التي عاش وإياها في بيت زوجي واحد ، لمثل ذلك السبب وحده .

ثم ان بعض النساء المتأخرات لا يحببن سوى اولادهن وحدهم ، ولا يعبأن باطفال الآخرين . وتبريرا لذلك يقلن : «حتى الحيوانات تعز اولادها» . ولكن اذا ما احب الناس اطفالهم فقط، ولم يعبأوا باطفال الآخرين ، فانهم بذلك لا يختلفون عن الحيوانات . ينبغي ان يعطفوا على ابناء الآخرين وبناتهم عطفهم على اولادهم ...

انني لا اقول لكنّ انه لن يكون ثمة من اسرة في ظل المجتمع الشيوعي ، ولن يكون ثمة من تمييز بين اولاد المرء الخاصين وبين اولاد الآخرين . ففي المجتمع الشيوعي ايضا سيكون للمرء اسرته وابناؤه وبناته . الا انه في المجتمع الشيوعي لن يحب المرء اطفاله وحدهم . ان المجتمع كله سيتحول، حين يقوم المجتمع الشيوعي،

الى أسرة واحدة ، وسوف يحب الناس الاولاد جميعا ، سواء اكانوا اولادهم ام اولاد الآخرين ...

وينبغي بعد ذلك ان نناضل ضد الفساد والفجور . فالفساد والفجور هما من رواسب المجتمع القديم ايضا . يجب ان نضع حدا نهائيا للادمان على الكحول وللقمار وللشطط الجنسي ولحياة الفجور .

ان دور الامهات عظيم جدا في النضال ضد الافكار البالية .

وعلى العموم ، تتم تربية الانسان في الاسرةوالمدرسة والحياة الاجتماعية العامة . والحال ان التربية البيتية تشكل اساس التربية المدرسية والتربية الاجتماعية ، وترتدي اهمية كبرى في تربية الانسان .

ان الاسرة هي خلية مجتمعنا ، حيث يعيش اقرب الناس الى بعضهم بعضا سوية : الآباء والامهات ، الزوجات والاولاد ، الاخوة والاخوات . وفي الاسرة يتلقى المرء منذ نعومة اظفاره تربية يومية على يد اقرب الناس اليه . واننا لنستطيع ان نمارس في البيت لونا من التربية الجيدة لا نتمكن من القيام بنظيره في المدرسة او في المجتمع .

والحال ان الام هي المطالبة بتحمل مسؤولية كبرى في التربية البيتية . فلماذا كانت مسؤوليتها اعظم من مسؤولية الاب ؟ لانها هي التي تنجب الاطفال وتنشئهم . ان الام هي المربية الاولى للطفل . تعلمه كل ما هو ضروري له : ان يمشي ، ان يتكلم ، ان يلبس ثيابه ، ان ياكل ، الخ . وتطور الطفل مرهون الى حد كبير بحسن التربية الاولى التي يتلقاها من امه . واذا افلحت الام في توفير تربية جيدة له في البيت ، فسيكون من السهل جدا تربيته في المدرسة وفي المنظمات الاجتماعية . واذا احسنت الام تربيته ، امكنه ان يتعلم بصورة جيدة في المدرسة وان يعمل بصورة جيدة في المجتمع .

ان ما يتعلمه المرء من امه في طفولته ينحفر في ذاكرته ابد

حياته . والاشياء التي تظل اطول فترة في ذاكرتنا هي كلمات امهاتنا والامثلة التي يضربنها لنا. وما تخلفه الام من انطباعات يعد عاملا عظيما في تكوين طباع الفرد وعاداته . ان الممتازين من الناس في كل العصور قد رضعوا من امهاتهم في طفولتهم تربية جيدة ...

اما اليوم فتتوفر شروط مناسبة لاطفالنا كافة كي يكونوا اناسا ممتازين . فليس هناك عرق بشري رديء باصله. والطبقات السائدة هي التي اخترعت في الماضي اكذوبة الاعراق البشرية الجيدة او الرديئة . والناس ، حين يولدون ، يولدون جميعا مؤهلين لان يصبحوا اناسا ممتازين . وان يغدو الانسان جيدا او رديئا امر مرهون الى حد كبير بما تلقاه من تربية جيدة او تاثيرات سيئة . وتاثير الوالدين عليه يلعب هنا دورا بالغ الاهمية ...

ان امهاتنا يتحملن مسؤولية جسيمة في الوقت الحاضر في تنشئة اطفالهن على نحو يغدون معه بناة ممتازين للشيوعية . وعلى الامهات جميعا ان يعين وعيا اعمق مسؤوليتهن الجسيمة وشرف تنشئة ابطال المستقبل ، ابطال المجتمع الشيوعي ...

ولكي تقمن ايتها الامهات بتربية ابنائكن وبناتكن على خير وجه يجب ان تصبحن انفسكن شيوعيات ممتازات . لا يمكن ان تطلبن من اطفالكن ان يصبحوا اناسا مستقيمين ، في الوقت الذي تتهربن فيه من الدراسة والعمل وتتصرفن بانانية . يجب ان تكون الامثلة العملية سابقة للاقوال في تربية الناس . واذا كان الوالدان يريدان تنشئة الاولاد لكي يصبحوا بناة للشيوعية ، فعليهما نفسيهما ان يصبحا ابا شيوعيا واما شيوعية ...

ليست النساء الاستثنائيات والخارقات هن وحدهن اللواتي يصبحن امهات شيوعيات . ففي وسع اي انسان ان يكون ابا شيوعيا او اما شيوعية اذا ما تخلى عن الانانية وعمل بتوجيهات الحزب .

يجب أن تصبح جميع الامهات شيوعيات ويقمن بتربية ابنائهن وبناتهن وتأهيلهم ليصبحوا بناة للشيوعية .

والآن اسمحن لي ان أتحدث عن مسألة العناية بالاطفال . ففي الماضي كان انعدام الظروف الموائمة قابلا لان يحول دون رعاية الاطفال على الوجه المرام ، اما اليوم فلا يمكن لأي ذريعة ان تبرر ذلك .

ان الشروط متوفرة اليوم للعناية بنظافة اطفالنا واناقة هندامهم . ولقد كان في وسع الواحدة منكن قبل سنتين او ثلاث سنوات ان تتذرع بقلة المال للامتناع عن الاعتناء بنظافة اطفالها واناقة هندامهم ، لكن ما عاد من الممكن ان تشهر مثل هذه الحجة اليوم . اعتقد ان العلة الرئيسية تكمن في واقع ان الامهات لا زلن اسيرات العادات القديمة ، وينقصهن الوعي بخصوص ضرورة الاعتناء بالاطفال ...

لقد قمت بزيارة لاحد البيوت . كان البيت معتنى به . القيت نظرة على داخل الحجرة فوجدت الارضية والجدران مفروشة جيدا وبنظافة، وعدة قطع من ملابس الاطفال معلقة على المشجب. وكان عدد الاطفال في تلك الاسرة اربعة ، ولكنهم كانوا جميعهم متميزين بأناقة الملبس . وقد زرعت امام البيت ازهار ، واحسن ترتيب مدار البيت . وقد بدا كل شيء جميلا وجذابا ايضا . ولما كان الوقت وقت الغداء ، فقد كانت ربة البيت منهمكة في إعداد طبق لذيذ من اليقطين في مطبخ نظيف . وتصفحت دفاتر الاطفال فوجدتها مكتوبة بحروف جميلة . وقد لصقت عليها بترتيب حسن قطع من الجرائد تتضمن بعض معلومات . وعلمت ان الزوجة لا تكسب شيئا ، وان زوجها هو المعيل الوحيد ، وانه يتقاضى حوالي ٤٦ وون شهريا . ومع ان الدخل قليل نسبيا والاطفال عديدون ، فان امور البيت مدبرة على احسن ما يرام .

وقمت بزيارة لبيت آخر كان نقيضا للاول تماما ؛ فقد كان غير نظيف ، وكان منظر الاطفال مقززا ، وكانت الغرفة يغطيها

الغبار ، وأرضيتها وجدرانها متسخة وغير مفروشة . وكان المطبخ في غاية الوساخة ، والاطفال عراة . وفي تلك الاسرة ايضا ما كانت الزوجة تعمل ، وكان الزوج هو المعيل الوحيد ؛ لكن الدخل كان يعادل ضعفي دخل الاسرة السابقة . وقد قرّعت رب البيت قليلا على عدم الاهتمام بنظافة البيت وعدم العناية بالاطفال ، فحاول ان يبرر نفسه بالقول ان حياته اضحت الان ، وبالرغم من كل شيء ، افضل بكثير مما في الماضي . وعندما سألته عما اذا كان من اعضاء الحزب ، اجاب بانه رئيس خلية حزبية . ونظرا الى انه عاش في إدقاع شديد في الماضي ، فمن الممكن ظاهريا ان يعتبر طريقة حياته الراهنة لائقة . لكن من المؤسف جدا ان الرجل الذي يترأس خلية حزبية كسول الى هذا الحد في تدبير شؤون بيته . ومع انه يكسب اكثر مما يكسبه الآخرون ، واولاده اقل عددا من اولاد الآخرين ، فانه مهمل لشؤون بيته واطفاله على حد سواء لا لشيء الا لانه لم يفلح في التحرر من العادات السيئة التي اكتسبها ايام تشرده ...

ان لدينا القدرة في ظروفنا الراهنة على ان نعنى عناية كبيرة بنظافة اطفالنا واناقة هندامهم ، اذا عقدنا العزم على ذلك . وكما لاحظت الرفيقة رئيسة منظمة الاتحاد النسائي في كومونة «سنمي ري» في مداخلتها قبل قليل ، يرجع لب المشكلة الى ان النساء في بلدنا لم يمتلكن الوعي بعد . فلو اولت النساء المزيد من الاهتمام لتنظيم امور الحياة على نحو سليم ، لأمكن ايجاد حل لكل شيء . لكن بعض الامهات لا يعملن ما باستطاعتهن عمله، ولا يعتبرن ذلك خطأ فظيعا . في بعض البيوت تسمح بعض النسوة لاطفالهن بالخروج غير مسرّحي الشعور ولا يكترثن البتة بتزويد اطفالهن بالقبعات وبحقائب المدرسة . ان تزويد الطفل بقبعة وحقيبة لا يكلف الكثير . ان المشكلة اذن هي في انعدام العناية والاهتمام . ان الاطفال لن يحافظوا على نظافة الاشياء في

المدرسة ولن يصبحوا في المستقبل رجالا من طراز جديد ومؤهلين ان يعيشوا حياة متمدينة راقية الا اذا انشئوا في البيت تنشئة حسنة ونظيفة . وعلى الامهات ان يدركن الاهمية الكبيرة لتنظيم البيت وابقائه في حالة دائمة من النظافة وانعكاس اثر ذلك على تربية الاطفال ...

ان المهم هو على الدوام اخلاص الامهات في جهودهن للحفاظ على نظافة اطفالهن واناقتهم . حين كنا صغارا ، ما كان في استطاعتنا ان نشتري فراشي اسنان ، لكننا كنا ننظف اسناننا يوميا بالملح . ان نقص الاشياء المادية ليس سببا مقبولا لترك الاطفال قذرين . واذا ما تحسست الامهات بمسؤوليتهن عن تربية اطفالهن ، فانهن سيجدن الحلول اللازمة لكل مشكلة ...

ان نسبة وفيات الاطفال قد انخفضت في السنوات الاخيرة انخفاضا ملحوظا . واعتقد ان ذلك يعود الى تحسن الظروف المعاشية لشعبنا باسره، والى التطور السريع للمؤسسات الصحية والطبية ، والى ارتفاع وعي الامهات وجهود منظمات الاتحاد النسائي .

ان جهود الامهات تشكل عاملا حاسما في تحسن صحة الاطفال . يجب على الامهات ان يحافظن على نظافة اطفالهن وان ينشئنهم في جو صحي . ويجب ان تمتلك الامهات معلومات كافية في علم الصحة وفي كيفية الوقاية من الامراض والشفاء منها . ومن قبيل ذلك ان يطعمن اطفالهن بصورة مناسبة ، وان يلبسنهم بحسب فصول السنة ، وان يتخذن على الدوام التدابير الكفيلة بالوقاية من الامراض . اننا نقوم اليوم بنشر الثقافة الصحية عن طريق الصحف والمجلات والاذاعة الخ ، ونزود الامهات بالمعارف الضرورية عن طريق مدارس الامهات . واذا ما واظبت الامهات على التعلم في اوقات فراغهن ، فانهن سيصبحن امهات ممتازات يعرفن كيفية ادارة بيوتهن وتربية اطفالهن في مستوى ثقافي وصحي عال . ومن الان فصاعدا يجب علينا ان

نطور حملة واسعة النطاق للعناية بالاطفال ، وللحفاظ على نظافة المنازل وترتيبها ، ولحماية الاطفال من الامراض .

«واجب الامهات في تربية اطفالهن»
من كلمة القيت في المؤتمر القومي
للامهات في ١٦ تشرين الثاني ١٩٦١

دور اتحاد النساء

أود اخيرا ان اتحدث بإيجاز عن عمل اتحاد النساء .

انطلاقا من الدور العظيم الذي تضطلع به النساء في البناء الاشتراكي ، وبخاصة في تربية الاطفال شيوعيا ، ارى انه من الضروري تكثيف عمل الاتحاد النسائي .

لقد حقق الاتحاد النسائي تقدما ملحوظا في عمله قياسا الى ما كان عليه من قبل . وقد تم الان ، خلافا للماضي ، تزويد منظمات الاتحاد النسائي بعدد وفير من الكوادر الممتازة. في الماضي كان عدد غير قليل من النساء لا يبدين اهتماما الا بأناقتهن ، ويتابطن حقائبهن اليدوية المطرزة تباهيا وتظاهرا . وكن معزولات عن الجماهير ويضعن العراقيل الكأداء في وجه تطوير نشاط الاتحاد النسائي . وقد تمت ازاحة هؤلاء النسوة عن مراكزهن ، وجرى تعزيز كوادر الاتحاد النسائي بعناصر حزبية طليعية ذات موقف طبقي صلب . وقد كان ذلك ، كما اعتقد ، اجراء صائبا جدا .

كان بعضهم يعتقد ان المثقفات المتخرجات من الجامعات او المعاهد المختصة هن وحدهن المؤهلات لان يصبحن عاملات في الاتحاد النسائي . وهذا خطأ فادح . فالنساء العاملات في

المصانع والارياف هن اللواتي يتوجب على منظمات الاتحاد النسائي ان تتعامل واياهن . والحال انه كيف كان يتأتى للنساء اللائي يسمين بالمتنورات ان يقمن بعمل الاتحاد النسائي، وهن الجاهلات بحياة المصنع والريف وغير المتقنات الا لفن التبرج وتصفيف الشعور ؟ واذا اردنا الحقيقة ، فان تصفيف الشعر وارتداء جميل الاثواب ليس لا بالامر الكبير الاهمية ولا بالامر الذي يصعب تعلمه . اذ انه في امكان نساء الريف انفسهن ان يتعلمن هذه الامور بسهولة وسرعة اذا ما دربن عليها قليلا . لكن ليس من السهل تحويل النساء اللائي لا يحببن الا التلهي وتزجية الوقت ، متابطات حقائبهن اليدوية المطرزة ، الى عاملات في الاتحاد النسائي قادرات على ان يتنشقن هواء واحدا مع النساء الكادحات ، وعلى ان يناضلن بحزم من اجل تطبيق سياسات الحزب في اوساط النساء .

لهذا فان المأمول ان يجري اختيار الكوادر من بين الرفيقات اللاتي يتمتعن بالحزم والصلابة واللاتي تمرسن بالعمل في المصانع والارياف . وهذا هو شأن الرفيقات اللواتي القين كلمات بالامس : فقد عشن في الماضي حياة شظفة ، وعملن خادمات في مزارع الغير . ومن الطبيعي ان يصبحن عناصر طليعية . واذا كان حزبنا قويا واذا كان بلدنا قويا ، فهذا بالضبط لان اشباه هؤلاء الناس يشكلون الطليعة في جميع الميادين . وفي المستقبل ايضا يجب ان نتمسك بحزم بمبدأ الحزب في اختيار الكوادر وتعيينها، وذلك كي نواصل تعزيز صفوف كوادر الاتحاد النسائي .

انني لم اكن قط ضد تعيين المثقفات ككوادر . لكننا يجب ان نختار للكوادر المثقفين المتصفين بقوة الشكيمة ، ولا بد ان يصبح الجميع في المستقبل من المثقفين . وليس المثقف انسانا من نوعية خاصة . وليس خريجو الجامعات هم وحدهم المثقفين . وفي مستطاعنا القول ان الرفيقات اللواتي القين كلمات هنا الامس واليوم هن جميعا من المثقفات . وليس المثقف الحقيقي

ذاك الذي يحمل شهادة جامعية ، وانما الذي يمتلك المعارف الضرورية للحياة . ربما كان في مستطاع المثقفين الذين كانوا يتبخترون بقبعاتهم المربعة الزوايا في الماضي ان يفهموا الكتب التي درسوا فيها في تلك الايام الخالية ، لكنهم لا يملكون اي معرفة ضرورية لنا اليوم . بيد ان المثقفين الذين تعلموا عن طريق الممارسة العملية يملكون معارف واضحة وصحيحة وغنية بصدد المشكلات كافة .

غني عن البيان ان الرفيقات اللواتي لم يحصلن على شهادات من المدرسة مطالبات بأن يتعلمن المزيد . وفي وسعهن ان يتعلمن في الكليات بالمراسلة او من تلقاء انفسهن . وعلى هذا النحو ، يجب على كوادر الاتحاد النسائي كافة ان يصبحن مثقفات من طراز جديد . وعلينا في المستقبل ايضا ان نسعى باستمرار الى تعزيز صفوف كوادر الاتحاد النسائي بنساء ترعرعن بين العاملات والفلاحات ، ويمتلكن المقدرة على النفاذ عميقا في اوساطهن للعمل بينهن بصورة فعالة ، ويناضلن بثبات من اجل تنفيذ سياسات الحزب . وعلينا ان نواصل بذل جهودنا لرفع مستوى مؤهلاتهن باستمرار .

وتقع على عاتق الاتحاد النسائي مهمة هامة اخرى وهي جعل كل الامهات شيوعيات ومربيات شيوعيات ممتازات للجيل الصاعد ، ودفعهن الى المشاركة بنشاط في البناء الاشتراكي . وان تصبح الواحدة اما شيوعية وان تصبح بانية للاشتراكية ، فليس بين الامرين من انفصال ، وانما هما مترابطان . فالتي تعيش متبطرة وعاطلة عن العمل لا يمكن ان تصبح اما شيوعية . فلكي تصبح اما شيوعية يجب عليها اولا وقبل كل شيء ان تساهم بحماسة في البناء الاشتراكي . فبالمشاركة الفعالة في البناء الاشتراكي تتمكن المراة من مواكبة الواقع المتطور على الدوام ومن التمثل السريع للايديولوجيا الشيوعية . وتوجد في الساعة

الراهنة في بلدنا الف وبضع مئات من خريجات الكليات ممن لا يؤدين اي عمل ، بل يكتفين بقضاء اوقاتهن في البيت . وهذا مع ان خريجات الكليات ملزمات قانونا بالخدمة لمدة خمسة اعوام بعد التخرج من المعهد . والدولة لا تقدم لهن التعليم العالي كي يرعين الاطفال فقط ويطبخن فقط . بل ان مؤسسات تأهيل الكوادر شرعت تتردد في قبول النساء كطالبات ، لان بعضهن تمتنع عن اداء الخدمة بعد نهاية دراستها العالية . من البديهي ان المراة يجب ان تتعلم ، كما يجب ان تكون هناك اعداد كثيرة من المجازات الجامعيات ومن حاملات لقب الدكتوراه . ولكن ليس هناك حتى الان امراة حصلت على شهادة الدكتوراه . وهذا امر يدعو الى الاسف . ويجب ان تبرز من صفوف النساء اعداد اكبر من الكوادر النسائية الممتازة في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية .

كثيرات هن بين النساء عندنا من يعتقدن بأن انجابهن للاطفال وحصرهن انفسهن بين جدران البيت خير واجدى من الخروج للمشاركة في حياة المجتمع النشيطة ولاداء وظائف هامة . وهؤلاء النساء يسخرن على الدوام من الرفيقات اللواتي يتزوجن متأخرات ، متهمات اياهن بالغباء ، ويفترين على اولئك اللواتي يندرن انفسهن للدراسة ويبقين بلا زواج لمدة طويلة .

على الاتحاد النسائي ان يشن نضالا ايديولوجياً حازما ضد هذه الميول السيئة . وهذا لا يعني بالطبع اننا نقف ضد النساء اللواتي يتزوجن وينجبن الاطفال . فتلك هي طبيعة الكائن الانساني ، وذاك شيء جيد بالاصل . انما الشيء الرديء ان تعتقد المراة عن خطأ ان كل الهدف من تعلمها ومن كل شيء هو الزواج وانجاب الاطفال . فحتى بعد الزواج والانجاب ، تستطيع النساء ويتوجب عليهن ان يواصلن الدراسة كي يحصلن على شهادات الاجازة والدكتوراه .

وحتى تتمكن النساء من مواصلة التطور في المجتمع حتى بعد زواجهن ، فلا بد من توفير شروط عدة لهن . يجب بناء العديد من دور الحضانة ورياض الاطفال والمغاسل العامة ، الخ، لمساعدة النساء على المشاركة في النشاط الاجتماعي . والدولة تولي عناية خاصة لبناء مؤسسات كتلك . ولكن نظرا الى انه تجري اليوم اعمال بناء واسعة في الميادين كافة ، فمن الممكن الا تكـــون المؤسسات التي تتولى الدولة بناءها كافية وحدها لسد حاجات النساء. من الطبيعي ان الدولة ستضطلع في المستقبل بمسؤولية بناء جميع المؤسسات الضرورية لمشاركة النساء في حياة المجتمع العامة ، لكنها ليست الان في وضع يؤهلها للقيام بعبء ذلـــك وحدها . بيد ان الاتحاد النسائي اذا تمكن من تنظيم العمل تنظيما جيدا ، فسيكون في وسع النساء ان يجدن بانفسهن حلا للعديد من المشكلات بتضافرهن في جهودهن ...

لقد كانت القضايا الهامة في عمل الاتحاد النسائي في الماضي القضاء على الأمية وتصفية الايديولوجيا الاقطاعية التي كانت تشل النساء ، لكن يخيل الي اليوم ان مثل تلك المهام لم تعد مطروحة على جدول اعمال مجتمعنا . بل على الاتحاد النسائي اليوم ان يجند النساء بفاعلية من اجل البناء الاشتراكي ، وان يركز جهوده على تهيئة الشروط التي تسمح لهن بالعمل على نحو افضل .

«واجب الامهات في تربية اطفالهن»
من كلمة القيت في المؤتمر القومـي
للامهات
١٦ تشرين الثاني ١٩٦١

المراة والعمل الاجتماعي

كما قلت في المؤتمر القومي للامهات ، فان الام هي المربيـــة

الاولى للاطفال . لهذا يتوجب على منظمات الاتحاد النسائي ان تولي اعمق الاهتمام للارتقاء بدور عضواتها وبدور سائر النساء في تربية الاطفال .

ان على منظمات الاتحاد النسائي ان تقيم علاقات وثيقة لا مع دور الحضانة ورياض الاطفال فحسب ، بل ايضا مع المدارس ، كي تعاون بفاعلية في تربية الجيل الصاعد . ان ثمة اعدادا كثيرة من النساء المعلمات في مدارسنا من جميع المستويات . وفي هذه الشروط ، يتوجب على منظمات الاتحاد النسائي ان تزيد من دورها ، بمساعدة اولئك المعلمات ، في عمل تثقيف الجيل الصاعد وتربيته .

ويتوجب بعد ذلك على عضوات الاتحاد النسائي وعلى سائر النساء ان يشاركن بقسط موفور ونشيط في العمل .

من الخطأ الاعتقاد ان مسألة استخدام اليد العاملة النسوية لا يطرحها الا نقص اليد العاملة في بلدنا . صحيح ان اليد العاملة في بلدنا غير كافية قياسا الى المهام الضخمة للبناء الاقتصادي الاشتراكي . وصحيح ان المشاركة في العمل ولو بزيادة امرأة واحدة قمينة بأن تساهم في حل مسألة اليد العاملة ، وهي بالفعل مسألة متوترة. لكن المغزى العظيم لانخراط النساء جماعيا في البناء الاقتصادي يتمثل في واقع ان ذلك يتيح لهن ان يتسلحن بايديولوجيا الطبقة العاملة ...

فعن طريق المشاركة في العمل الاجتماعي فحسب يمكن للنساء الا يتخلفن عن الواقع الذي يتطور باستمرار . فلو حبسن انفسهن في بيتهن العائلي من دون ان يفعلن شيئا ، لما امكنهن ان يتعلمن شيئا ولما تأتى لهن سوى ان يتأخرن اكثر فاكثر .

بيد انهن لو ذهبن الى العمل لانخرطن في الحياة الجماعية ، ولشاركن في اجتماعات شتى ، ولأمكنهن في ابان ذلك ان يتطورن ايديولوجياً وان يرفعن مستواهن الثقافي ، وان يكتسبن

خصلة حميدة ، خصلة التضافر والمساعدة المتبادلة والتشجيع المتبادل . ولسوف يكون في مستطاعهن ان يتعلمن الكثير من الاشياء ولو بمجرد قراءة صحيفة جدارية معلقة في مكان العمل ...

ينبغي ان نولي اهتماما اجتماعيا اكبر لمسالة توفير الشروط الضرورية التي تساعد النساء على الانخراط في النشاطات الاجتماعية وعلى العمل من دون ان يحملن هما . فمن الواجب بناء المزيد من دور الحضانة ورياض الاطفال ، ومضاعفة عدد مؤسسات الخدمة العامة كالمطاعم العائلية والمخازن الغذائية والمغاسل العامة وورشات رفا الثياب ، وذلك بغية تخفيف العبء عن كاهل النساء بقدر الامكان .

وما دامت لما تتوفر الشروط كافة كي تنخرط نساؤنا في المجتمع ويعملن بلا هم ، فسيكون من الصعب عليهن بداهة ان يعملن من الان كما يعمل الرجال . وهذا ينطبق بوجه خاص على النساء العجفاوات وربات البيوت اللواتي لهن اطفال كثيرون واسرة كبيرة التعداد .

لكن هذا لا يعني ان نكتّف ايدينا ونبقى بلا حراك بانتظار ان تتوفر الشروط جميعا وبالقدر الكافي . انما ينبغي علينا ان نتخذ تدابير مناسبة كي تشارك نساؤنا بقسط موفور في العمل وان في الشروط الراهنة ، على ان نشرع بنشاط في الوقت نفسه بالعمل الرامي الى توفير الشروط اللازمة لهن للمساهمة في العمل الاجتماعي .

والاشخاص الضعاف الاجسام ملزمون ايضا باداء عمل خفيف العبء . ويجدر بنا ان نعهد اليهم ، ما امكن ، بعمل يناسب بنيانهم . واخص بالذكر النساء اللواتي عندهن اطفال كثيرون واسرة كبيرة التعداد ، فمن الواجب ان نتيح لهن الوقت الكافي للاهتمام بشؤون تدبير بيوتهن . وعليه ، يجب ان نسهر

على ان تعمل هؤلاء النسوة وفق ظروفهن الفعليـــة ، بحيث لا يتجاوز وقت عملهن ست ساعات او اربع ساعات في اليوم ، بدلا من ثماني ساعات .

ولا يترتب على ذلك اي تعقيد . حسب الورشات ان تنظم الانتاج على نحو يوائم ذلك الهدف ، وان تمنحهن اجر اربـــع ساعات اذا اشتغلن اربع ساعات ، واجرا مماثلا اذا اشتغلن اكثر من اربع ساعات . وعلى هذا النحو ، يجب ان نسهـــر على ان تنخرط جميع النساء بلا استثناء في مسيرة المجتمـــع ، وان يشتغلن بضع ساعات في اليوم على الاقل ، بحيث لا تعود هناك امراة واحدة لا تعمل .

واخيرا ، ينبغي على جميع عضوات الاتحاد النسائي وعلى جميع النساء ان يضاعفن من يقظتهن الثورية وان يقفن على اهبة الاستعداد الدائم للذود عن المنجزات الاشتراكية ضد تطاولات الاعداء ...

اننا نتابع بناءنا الاشتراكي في جو نضال طبقي محتدم ضد الاعداء . لهذا يتوجب على النساء ، كما على سائر الشغيلة ، ان يضاعفن الى الحد الاقصى من يقظتهن الثورية وان يقفن على اهبة الاستعداد لصد اي غزو قد يقوم به العدو وللحفاظ على المنجزات الاشتراكية وحياة الشعب السعيدة .

ينبغي اولا وقبل كل شيء تعزيز التربية الطبقية في صفوف عضوات الاتحاد النسائي وسائر النساء لتسليحهن بروح كراهية العدو .. وينبغي في الوقت نفسه على النساء ، كما على الرجال، ان يشاركن في التدريب العسكري وان يبذلن جهودا صادقـــة لاكتساب المعارف العسكرية ... وينبغي على الاخص على النساء القويات البنية في المناطق المجاورة للحدود في خط الدفاع الاول وعند السواحل ، وكذلك في المصانع ، ينبغي عليهن جميعا بلا استثناء ان يشاركن في التدريب العسكـــري لتمثل المعارف

العسكرية . وفي وسع النساء ايضا ان يصبحن قناصات ممتازات اذا تدربن عسكريا .

وطبقا لتقرير الرفيق وزير الدفاع القومي الذي قام بالتفتيش مؤخرا على وحدات خط الدفاع الاول ، يتقن اعضاء اسر الضباط اطلاق النار اتقانا ممتازا . وقد قلت عندئذ ان ذلك امر جيد جدا . فلئن صارت النساء قناصات ممتازات قادرات على اصابة الهدف في كل طلقة ، فسيكون في وسعهن ان يحاربن وان يصرعن المزيد من الاعداء ، ولو بزيادة واحد ، يوم سيأتون لمهاجمتنا .

كما سمعتن في احدى المداخلات ، شاركت الرفيقة ري يونغ جو ، وهي امراة ، اثناء مرحلة حرب تحرير الوطن ، في عدة معارك والبندقية في يدها جنبا الى جنب مع جنود الجيش الشعبي ، ثم حاربت بعد ذلك ايضا ببسالة وابادت عددا كبيرا من الجواسيس المسلحين . عليكن ان تسعين جاهدات الى الاقتداء باشباه هذه الامثلة الممتازة من البطولة التي دللت عليها النساء في النضال من اجل الدفاع عن الوطن اثناء حرب تحرير الوطن وفي الحقبة التي تلت هذه الحرب .

لقد بينت تجربة حرب تحرير الوطن الاخيرة انه اذا وقف الجميع ، رجالا ونساء ، شيوخا وفتيانا ، وقفة رجل واحد ، وحاربوا ببسالة مثل اهل قرية نامغانغ ، فالنصر لنا ؛ اما اذا ترددنا في محاسبة العدو ولزمنا بيوتنا بدعة وتراخ ، فلن تكتب لنا حتى الحياة .

من كلمة القيت في المؤتمر الثالث للاتحاد النسائي الكوري الديموقراطي.
٢ ايلول ـ ١٩٦٥

الرسالة الثورية
للحاضنات والمربيات

فيما يتعلق بالمهام التي يتوجب على الحاضنات والمربيات القيام بها ، لن أتعرض الا الى بعض النقاط ، لان التقرير حددها بالتفصيل .

قبل كل شيء ، ينبغي ان تشعر الحاضنات والمربيات بان عملهن يعود عليهن بشرف عظيم .

ان الحاضنات والمربيات يؤدين عملا بالغ الاهمية وثقيلا بالمسؤولية في البناء الاشتراكي لبلدنا . فالاطفال الذين يتولين تنشئتهم وتربيتهم يمثلون مستقبلا وطننا واحتياطي البناء الشيوعي ، وعليهم سيقع واجب متابعة التحويل الثوري ...

وبالفعل ، ان عمل الحاضنات والمربيات لم يعد اليوم عمل خادمات للاطفال لدى الغير ، وانما هو عمل ثوري مشرف ، قوامه تربية الاطفال ليكونوا احتياطي البناء الشيوعي ومواصلي عملية التحويل الثوري ، كما انه عمل له اهميته بالنسبة الى مستقبل وطننا . ان الحزب والدولة يحترمان بصدق الحاضنات والمربيات اللواتي يؤدين ذلك العمل المشرف والهام ، ويعلقان آمالا كبيرة على عملهن . لهذا ينبغي للحاضنات والمربيات ان يشعرن بصورة طبيعية بان عملهن يعود عليهن بشرف عظيم وفخر كبير .

والحال ان بعض النساء لا يدركن حق الادراك اهمية العمل في دور الحضانة ورياض الاطفال . بل ان بين النساء من تعتبر مهنة الحاضنة او المربية مهنة تافهة وتقول : أيتوجب عليّ ان اغدو خادمة لاطفال الغير لانني لم اجد احسن من هذه المهنة ؟ لهذا السبب لا تحب بعض النساء ان يعملن حاضنات او مربيات. وطبقا لما جاء في تقرير وزارة التعليم العام يصطدم تجنيد التلميذات لمعاهد الحاضنات والمربيات على الدوام بقدر كبير من الصعاب ، ولا تقبل على التسجيل في هذه المعاهد مكرهات الا

الفتيات اللواتي ما امكن لهن ان ينتسبن الى معاهد اخرى ...

غني عن البيان ان كل العمل التعليمي هام ، لكن الاهم هو بوجه خاص عمل الحاضنات والمربيات اللواتي يتولين تنشئة الاطفال . وبالفعل ، يمكن القول ان تعليم تلاميذ المدارس الابتدائية اصعب بكثير من تعليم تلاميذ المدارس الثانوية ، وان المسؤولية التي تقع على كاهل الحاضنات والمربيات في دور الحضانة ورياض الاطفال اعظم من مسؤولية معلمات المدارس الابتدائية . فكلما كان الاولاد اصغر سنا ، كانت العناية بهم اصعب واشق . وكلما كان المطلوب العناية بأطفال اصغر سنا ، توجب امتلاك المزيد من الكفاءة والمزيد من المعارف والتجارب .

والحال ان نساء كثيرات لا يرغبن في ان يصبحن معلمات في المدارس الابتدائية ، وكم بالاحرى حاضنات ومربيات ، بينما تساورهن الرغبة في ان يصبحن مدرسات في المدارس الثانوية او استاذات جامعيات . وهذا يثبت بلا جدال ان لنسائنا موقفا مغلوطا حيال تربية الاجيال القادمة ، وان الانانية ذات النزعة الفردية وبقايا الافكار البورجوازية والاقطاعية لا تزال راسخة لديهن على نطاق لا يستهان به .

تقع على عاتق النساء ، بحكم طبيعتهن ، مهمة تنشئة الاطفال . بيد ان النظر بعين الاحتقار الى العمل الهام والمشرف الذي هو تربية اطفالنا ، مواصلي ثورتنا واحتياطي البناء الشيوعي ، ما هو ـ في وسعنا تأكيد ذلك ـ بالموقف الذي يجب ان تتبناه نساء عصرنا اللواتي يتقدمن نحو الشيوعية .

وانني لأنتهز هذه المناسبة لأدعو من جديد نساءنا الى التحرر بأسرع ما يمكن من بقايا الايديولوجيا البالية التي ما زلن يخضعن لها ، والى الانتساب طوعا واختيارا الى معاهد الحاضنات او المربيات .

ان السبب الذي يحمل الحاضنات والمربيات والمعلمات على

عدم العمل لفترة طويلة من الزمن في وظيفتهن ذاتها يرجع في الواقع ، الى حد كبير ، الى كونهن لا يعتبرن عملهن مهمة مشرفة .

ان تنشئة الاطفال المفعمين بالبراءة وتربيتهم على الوجه الواجب في دور الحضانة ورياض الاطفال لعمل بالغ الصعوبة ، وكذلك تعليم التلاميذ «الاشقياء» في المدارس الابتدائية . لهذا يتوجب على الحاضنات والمربيات والمعلمات ان يمتلكن قدرا كبيرا من المعارف والتجارب ، وهذا ما يفرض عليهن العمل لمدة طويلة في وظائفهن .

والحال انه زهيد جدا في الوقت الراهن عدد الحاضنات والمربيات اللواتي لهن قِدَم طويل في وظائفهن ، وكذلك قليل هو عدد المعلمات المتقدمات في العمر في المدارس الابتدائية . وكلما كان المطلوب العناية بالاطفال في رياض الاطفال وتعليم الاطفال في المدارس الابتدائية ، توجب ان يتلقوا تربيتهم على أيدي معلمين متقدمين في السن ومحنكين وذوي خبرة كبيرة في مضمار التعليم . لكن امثال هؤلاء الاشخاص قليلون ، وتكاد غالبية المعلمين تفتقر الى التجربة .

ومن الممكن ان نلاحظ ظواهر مماثلة في المستشفيات ، وان كانت لا تنتمي مباشرة الى المشكلة المشار اليها اعلاه . ففي مستشفيات بلادنا يقل عدد الممرضات المتقدمات في السن ، وتكاد جميع الممرضات ان يكنّ من الصبايا اللواتي دخلن الى المستشفى حديثا . وقد ذاع عن بعض المستشفيات انها تصرف الممرضات ما ان يتزوجن ، ولست ادري لذلك سببا . فالمفروض في الممرضات ايضا ان يكنّ من صاحبات الخبرة الطويلة وان يمتلكن الكثير من المعارف لاداء دورهن على الوجه الواجب .

علينا ان نحرص على ان تعمل الحاضنات والمربيات والمعلمات والممرضات في مراكزهن لأطول مدة ممكنة .

واذا كانت الحاضنات والمربيات والمعلمات لا يراودهن شعور

بأن عملهن مصدر شرف وفخر لهن ، واذا كانت النساء لا يقبلن عن طواعية وبملء الخاطر بالعمل في ذلك القطاع ، فهذا يرجع ايضا ، الى حد ما ، الى كونهن لا يلقين التقدير في المجتمع والى ان تعويضهن المادي ليس بمرتفع .

ويزمع الحزب والحكومة في المستقبل ان يزيدا تعويضهن المادي تدريجيا وبحسب ما تسمح به حالة البلاد .

لكن هذه المشكلة لا يمكن ان تحل عن طريق زيادة تعويضهن المادي فحسب . وانه لخطأ فادح ان تعتبرن عملكن مشرفا اذا كان يكافأ بأجر مرتفع ، وغير مشرف كثيرا اذا كان لا يكافأ بأجر كثير الارتفاع . لا يجوز لكن ان تصبحن مرتزقات تعملن من اجل حفنة من القروش . وانما عليكن ان تصبحن حاضنات ومربيات اصيلات للشعب وثوريات حقيقيات تربين جيل الثورة الجديد من اجل الحزب والشعب . واذا كان بينكن من لا يخامرها شعور بالشرف والفخر بسبب عملها لان تعويضها المادي أقل ارتفاعا بقليل من تعويض الاخريات ، فمن المستحيل القول انها من الثوريات الحقيقيات العاملات في سبيل الشعب .

ان الحاضنات والمربيات المشاركات في هذا المؤتمر ينبغي عليهن من تلقاء انفسهن ان يشعرن اكثر من اي شخص آخر بفخر كبير وباعتزاز عظيم بسبب عملهن . وعند أوبتكن يجب ان تبلغن جميع الحاضنات والمربيات في البلاد ان الحزب والحكومة عهدا اليهن بعمل هو من اصعب الاعمال واهمها واجلها خطورة ، وان ثقة الحزب فيهن بالتالي اعمق وابعد غورا ، بحيث يتوجب عليهن ان يبذلن قصارى جهودهن لينشئن ويربين الاجيال القادمة بشعور من الشرف والفخر بعملهن .

وفي الوقت نفسه ينبغي ، في اعقاب المؤتمر الراهن ، شن حملة اجتماعية واسعة ترمي الى ان تغرس لدى الحاضنات والمربيات شعورا بالفخر العظيم بعملهن . وعلى منظمات الاتحاد النسائي واتحاد الشبيبة الشغيلة الاشتراكية واتحاد النقابات ان

تشرع بهذا العمل على مسؤوليتها الخاصة ، وبقيادة منظمات الحزب . وينبغي على هذا النحو السعي الى توعية جميع الحاضنات والمربيات عميق التوعية بمسؤوليتهن ، وينبغي في الوقت نفسه تصحيح موقف الراي العام منهن .

ثمة نقطة مهمة اخرى وهي تنمية القدرات المهنية للحاضنات والمربيات .

فاستجابة لثقة الحزب العميقة ولاهتمامه الكبير ، ووفاء بالمهمة الموكلة اليهن على خير ما يكون الوفاء ، يتوجب على الحاضنات والمربيات ان يشعرن بالفخر بعملهن ، وان يرفعن في الوقت نفسه مستواهن الايديولوجي ومستوى معارفهن في مضمار تخصصهن .

ان على الحاضنات والمربيات ان يتسلحن اولا وقبل كل شيء وبحزم وصلابة بالايديولوجيا الشيوعية. وكما ينبغي على الامهات ان يصبحن هن انفسهن شيوعيات اذا كن يرغبن في تنشئة اطفالهن تنشئة شيوعية ، كذلك يتوجب على الحاضنات والمربيات ان يتسلحن بالايديولوجيا الشيوعية وان يصبحن شيوعيات ممتازات يتمتعن بحميد الخصال الثورية اذا كن يرغبن في تنشئة اطفالنا كي يكونوا احتياطي البناء الشيوعي ...

وانما عندما تصبح الحاضنات والمربيات شيوعيات متماسكات، يمكن تقديم الدليل الساطع على ان التربية الجماعية للاطفال في المجتمع تتفوق على تربيتهم الفردية في الاسرة . ان التربية الجماعية احسن بما لا يقاس من التربية في الاسرة لكي يكون الاطفال بناة للشيوعية في المستقبل . وحين نقول الاسرة ، فانما نشير الى وحدة خاصة من المجتمع ، وحدة يحيط بها سياج الملكية الخاصة . والاكثر من ذلك ، ان الجدات هن اللواتي يتكفلن في غالب الاحيان بالاطفال ضمن نطاق الاسرة . ومن البديهي ان الجدات ، المشبعات اكثر من اي انسان آخر بالافكار البالية ، لا يستطعن تربية الاطفال على الوجه الصحيح وفق

الايديولوجيا الجديدة ، الشيوعية . ان الجدات لا هم لهن سوى ان يدللن احفادهن ، ولا يفكرن ابدا بتقويمهم حتى عندما يأتون امرا إداً . وهكذا نجد ان الاطفال المنشئين على هواهم في اسرتهم يشكون من قدر من النواقص يزيد بكثير على القدر الذي يشكو منه الاطفال المنشؤون في دور الحضانة ورياض الاطفال من منظور التربية .

ان الاطفال الذين نشؤوا في اسرهم ولم يعرفوا الحياة الجماعية واعتادوا سلوك المسلك الذي يحلو لهم ، لا يحبون الحياة الجماعية ، ويدللون على نزعة تسيبية ، ولا ينصاعون للراشدين . ثم ان الاطفال الذين نشؤوا على هواهم في اسرهم لا يعرفون لا الغناء ولا التحية كما ينبغي . ويصعب كثيرا تقويم هذه العادات ، حتى بعد دخولهم الى المدرسة . ويتفق الجميع على القول ان الاطفال المنشئين في اسرهم والمقبولين في المدرسة الابتدائية يكونون ، لفترة من الزمن ، هم الاكثر تأخرا في دروسهم والاشد نزوعا الى العصيان وعدم الطاعة . وبالمقابل فان الاطفال المنشئين في دور الحضانة ورياض الاطفال يعرفون كيف يتقيدون بالانضباط ، وكيف يحبون رفاقهم ويلقون عليهم التحية ، لانهم عاشوا حياة جماعية واحسنت تربيتهم منذ نعومة اظفارهم . وحين يقبلون في المدرسة يسجلون نتائج طيبة في دروسهم ، لانه سبق لهم ان تعلموا اشياء كثيرة منذ نعومة اظفارهم .

وعليه ، ان التربية الجماعية للاطفال في دور الحضانة ورياض الاطفال تغرس فيهم من البداية روح الجماعية والخصال الشيوعية . ولهذا ارتأى انجلز في كراسته الشهيرة **تعاليم الشيوعية** ان واحدا من اهم التدابير الشيوعية هو ان تتولى الدولة ، على نفقتها ، تربية جميع الاطفال في مؤسسات الدولة فور تركهم اثداء امهاتهم .

لقد اولى حزبنا على الدوام اهتماما كبيرا لمسالة تربية

الاطفال على يد الدولة ، واحرز حتى الان نجاحات مرموقة . ان ٨٧٠٠٠٠ طفل يترعرعون اليوم سعداء في بلدنا في دور الحضانة، ويلهو ٧٩٠٠٠٠ طفل كما يطيب لهم ويتلقون تربيتهم في دور الاطفال . هذا يعني ان ما يتراوح بين ٦٠ بالمئة و٧٠ بالمئة من مجمل اطفال بلادنا يترعرعون في دور الحضانة ورياض الاطفال. ويمكننا ان نفخر بما انجزناه حتى الان في مضمار التربية الشيوعية للاجيال القادمة ، وان كان بلدنا لا يملك بعد بوفرة كل ما هو لازم له .

غني عن البيان ان تشريك تربية عدد كبير من الاطفال يشكل عبئا كبيرا على البلد ، وامرا صعبا . لكن علينا ان نؤدي هذه المهمة باي ثمن ، من اجل مستقبل اطفالنا الظرفاء ومن اجل مستقبل البلد والامة على حد سواء . ان الثورة والبناء اللذين ننذر انفسنا لهما اليوم هما كلاهما برسم اجيالنا القادمة ، فهل يمكن ان ندخر جهدا في سبيل تربية اطفالنا ؟ لكننا في الشروط الراهنة لبلدنا لا نستطيع ان نقبل فورا جميع الاطفال في دور الحضانة ورياض الاطفال ، بيد انه يتوجب علينا ، طردا مع تحسن وضع البلد الاقتصادي ، ان نقبل فيها تدريجيا الاطفال كافة .

ان الحاضنات والمربيات مطالبات لا بالتسلح بحزم وصلابة بالايديولوجيا الشيوعية فحسب ، بل ايضا بتمثل معارف تخصصهن واستيعابها على احسن وجه . فعلى هذا النحو فقط سيكون في مستطاعهن ، بالاساليب العلمية ، ان يكفلن للاطفال صحة قوية وان ينشئنهم في جو من المرح ، وان يربينهم ليكونوا احتياطي البناء الشيوعي ...

والطرق الى رفع مستوى المعارف التخصصية للحاضنات والمربيات متعددة . وافضلها قطعا تدريسهن جميعا في المعاهد . لكن متى سيتاح لنا ان نثقف في المعاهد جميع الحاضنات والمربيات اللائي يبلغ عددهن ١٣٠٠٠٠ ؟ ان خير سبيل يسلك

هو ان تثقف الحاضنات والمربيات وان يتعلمن وهن يعملن . وعلى الاتحاد النسائي واتحاد الشبيبة الشغيلة الاشتراكية ان يتكفلا بعملية تبسيط المعارف الضرورية لتربية الاطفال ونشرها بين صفوف الحاضنات والمربيات . ويخيل الي انه من المستحسن تنظيم دروس متنقلة للحاضنات والمربيات بالتوجه الى الاقضية والنواحي .

على السلطات المركزية ان تطبع وتوزع باعداد كبيرة المواد المرجعية الضرورية للحاضنات والمربيات حتى يتمكنّ من تنشئة الاطفال على الوجه المرام وينبغي ان تؤلف موجزات كثيرة ، سهلة الفهم ، وان تنشر مقالات مفيدة في مضمار تأهيل الحاضنات والمربيات في مجلات من اشباه **النساء الكوريات والثقافة في الحياة** .

ثم ينبغي على الدولة والمجتمع ان يساعدا بفعالية دور الحضانة ورياض الاطفال حتى تتمكن من تدعيم اسسها المادية ومن تسييرها على الوجه الواجب .

ان عمل تربية الاطفال لا يمكن ان يتم بجهود الحاضنات والمربيات وحدها وحميئتهن وحدها . فلتنشئة الاطفال وتربيتهم على الوجه الواجب فيدور الحضانة ورياض الاطفال ينبغي، علاوة على حمية الحاضنات والمربيات ، ان تتوفر شروط مادية شتى: دور ظريفة ونظيفة، منشآت لا غنىعنها لتأهيل الاطفال وتربيتهم، والاغذية المقيتة التي يجب تقديمها لهم .

وحتى تتوفر لها هذه الاسس المادية ، لا بد ان تهب الدولة والمجتمع لنجدتها . ويتوجب على الاخص على هيئات الدولة ومؤسساتها وعلى المزارع التعاونية ان تكفل لها تلك الاسس بصورة مسؤولة . اما اذا كان الاعتماد ، كل الاعتماد، على الحركة الاجتماعية وحدها ، فلن يكون في المستطاع تامين المقومات المادية الكافية لدور الحضانة ورياض الاطفال . واقصى ما تستطيع الحركة الاجتماعية القيام به إعداد الباحات ، واقتلاع الاعشاب

الضارة ، وغرس الاشجار . ولا يجوز لنا ان نتوقع منها اكثر من ذلك .

أعتقد انه من المستحسن ان تبادر المصانع والمؤسسات والمزارع التعاونية الى تخصيص جزء من مدخولها لصندوق دور الحضانة ورياض الاطفال . ونظرا الى ان جميع المصانع والمؤسسات والمزارع التعاونية تابعة للاقتصاد المخطط ، فانها لا تملك اي مورد يتيح لها حرية التصرف بأي قدر ، مهما يكن زهيدا ، من المال ، اذا لم تعمد الى توفيره وادخاره على نحو مخطط . وعلى المصانع والمؤسسات والمزارع التعاونية ان توظف ذلك المال في تأثيث دور الحضانة ورياض الاطفال وتجهيزها بالمنشآت اللازمة .

ويتوجب في الوقت نفسه على المصانع والمؤسسات والمزارع التعاونية ان ترصد موارد مالية واعانات تموينية لدور الحضانة ورياض الاطفال الخاصة بها ، وان تجعلها تربي بعض البقرات الحلوب او بعض العنزات حتى تتمكن من تغذية الاطفال باطعمة لذيذة ومقيتة ، وكذلك بحليب البقر ...

هكذا نرى انه يتوجب علينا ان نسعى ونجهد لكي نوفر لاكبر عدد ممكن من النساء امكانية المشاركة في حياة المجتمع العامة والعمل بلا همّ . اما اذا اكتفت النساء بحراسة اطفالهن في البيت ، فلن يكون في وسعهن ابدا ان يتقدمن الى الامام . وانما عن طريق المشاركة في حياة المجتمع العامة والمساهمة بقسط وفير في حياة التنظيم الحزبي او التنظيم الاجتماعي ، سيكون في مقدور النساء ، وكذلك الرجال ، المساهمة في المهمة الثورية والتقدم بهذه السيرورة الى الامام . لهذا فان التسيير الجيد لدور الحضانة ورياض الاطفال وسائر مؤسسات تربية الاطفال لتمكين اكبر عدد ممكن من النساء من المشاركة في حياة المجتمع العامة يرتدي اهمية كبرى لتغيير النساء وفق المثل الاعلى للطبقة العاملة ولتثويرهن وتنويرهن . ولهذا السبب بالذات يعير الحزب

اهتماما كبيرا لحسن تسيير دور الحضانة ورياض الاطفال وسائر مؤسسات تربية الاطفال ، ويكافح الافكار المغلوطة التي ترى ان مشاركة النساء اللواتي لهن اطفال صغار في النشاطات الاجتماعية امر مزعج ...

وينبغي بعد ذلك تشكيل صفوف الحاضنات والمربيات من خيرة النساء . فالحاضنات والمربيات مكلفات من قبل الحزب والدولة بمهمة جسيمة للغاية . لهذا ينبغي ان تشكل صفوف الحاضنات والمربيات على نحو متين وصلب ، بحيث يتمكن من اداء مهمتهن والاستجابة لما ينتظره الحزب منهن . ان على منظمات الاتحاد النسائي واتحاد الشبيبة الشغيلة الاشتراكية ان تختار الرفيقات المتميزات بالثبات الايديولوجي وبحسن السلوك، وان ترسلهن الى مراكز تأهيل الحاضنات والمربيات ؛ وعليها ان تولي عناية خاصة لعمل الحاضنات والمربيات ولمعيشتهن وان تبذل لهن المساعدة الدائمة .

ختاما ، اتمنى ان تحرزن نجاحات جديدة في عملكن المشرف في تنشئة اطفالنا الظرفاء ليكونوا احتياطي البناء الشيوعي ـ ـ اقوياء ، مرحين ، مستقيمين ـ على ضوء روح هذا المؤتمر .

من كلمة في المؤتمر القومي
للحاضنات والمربيات
٢٠ تشرين الاول ١٩٦٦

الفهرس

تقديـم ٥

كارل ماركس

الشيوعية الفجة والمراة ٩
علاقة الرجل بالمراة تحدد علاقة الانسان بالانسان ١٠
انعتاق المراة بين النقد النقدي وفورييه ١٢
الحب والشهوة ١٥
تحلل الاسرة البورجوازية ١٧
البورجوازية وحجاب العاطفية ١٩
الاسرة بين الشيوعيين والبورجوازيين ٢٠
العمل حتى الموت ٢٢
الآلة وعمل النساء والاولاد ٢٥
النساء ومقاومة استبداد الراسمال ٢٦
التاريخ والاسرة ٢٧
النساء والعمل في المناجم ٢٨

اكتظاظ المساكن والفجور ٣١

فريدريك انجلز

الاخلاق والواقع الطبقي ٣٣
الامومة المستلبة ٣٥
انحلال الاسرة ٣٧
العواقب الخلقية لعمل النساء ٣٨
العاملات ورينة سيدات البورجوازية ٤٠
النظام الشيوعي والاسرة ٤٢
فوربيه وتحرر النساء ٤٣
الاسرة وتحولها في راي دهرينغ ٤٣
المادية التاريخية والاسرة ٤٤
بداية التاريخ للاسرة ٤٥
فضل باخوفن وحدوده ٤٨
عادة واد البنات ٤٩
اكتشاف مورغان التاريخي ٥٠
الحيوان ليس مقياس الانسان في العلاقات الجنسية ٥١
تحريم حب المحارم ٥٣
المراة في طور الاقتصاد المنزلي الشيوعي ٥٤
حق الليلة الاولى ٥٥
الزواج الأحادي مأثرة نسوية ٥٦
الهزيمة التاريخية الكبرى لجنس النساء ٥٧
تعدد الازواج والزوجات ٥٧
الاسرة الآحادية ٥٩
الحب الجنسي الفردي ماضيا وحاضرا ومستقبلا ٧٠
التقسيم الاول للعمل وهزيمة النساء التاريخية ٧٧

الخيانة الزوجية بين المرأة الارستقراطية والمـرأة البورجوازية ٧٩

اوغست بيبل

قضية المرأة وجه من المسألة الاجتماعية ٨٠
النسوية البورجوازية وصراع الطبقات ٨١
تاريخ المرأة هو تاريخ اضطهادها ٨٢
النساء والثورة الفرنسية ٨٣
الحب والبؤس ٨٦
المطبخ : عدو المرأة التاريخي ٨٨
امرأة المستقبل ٨٩
الزواج والارث وحرية المرأة ٩١

بول لافارغ

المثل الاعلى للبورجوازية عن المرأة ٩٣
آفاق تحرر المرأة ٩٩

جول غيد

الحرية لا الطلاق ١٠٤
حق المرأة في العمل . ١٠٦

فلاديمير ايليتش لينين

الرأسمالية وعمل النساء ١١٠
الطبقة العاملة والمالتوسية الجديدة ١١٢

المؤتمر العالمي الخامس لمكافحة البغاء ١١٥
حول الحب الحر ١١٧
لا ديموقراطية بدون النساء ١٢٣
الثورة والمراة في المدينة وفي الريف ١٢٣
عبودية الاقتصاد المنزلي ١٢٦
حول مهام الحركة العمالية النسائية في الجمهورية السوفياتية ١٢٨
السلطة السوفياتية ووضع المراة ١٣٥
الى العاملات ١٣٩
في يوم النساء العالمي ١٤٠
يوم النساء العالمي ١٤٢

كلارا زتكين

لينين والمراة ١٤٥

جوزيف ستالين

تثقيف النساء السياسي ١٧٢
الاحتياطي الكبير ١٧٥
النساء الكولخوزيات ١٧٦
دليل التقدم الثقافي في القرية ١٧٨
بطلات العمل الاشتراكي ١٧٩
النساء في الحرب الوطنية ١٨١

بوخارين – بريو براجنسكي

عمل النساء والاحداث في ظل الاشتراكية ١٨٢

حقوق المراة بين البورجوازية والبروليتاريا ١٨٤

ليون تروتسكي

الستالينية والاسرة ١٨٧

ماوتسي تونغ

انتحار الآنسة زهاو ٢٠٣
الاطاحة بسيطرة الازواج على الزوجات ٢٠٧
مرسوم حول الزواج ٢١١

كيم ايل سونغ

الاشتراكية وواجب الامهات في تربية اطفالهن ٢١٣
دور اتحاد النساء ٢٢١
المراة والعمل الاجتماعي ٢٢٥
الرسالة الثورية للحاضنات والمربيات ٢٣٠

تحرر المرأة هو معيار تحرر المجتمع .
فوريبيه – ماركس

الرجل في الاسرة هو البرجوازي
والمرأة هي البروليتاريا .
انجلز

دار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت

الثمن : ٥٠ ل.ل .